

العدد ٤٥٠ ـ السنة ٤٠ - صفر ١٤٢٤هـ - أبريل/ مايو ٢٠٠٣م



د. المنجي بوسنينة:

العالم العربي دخل القرن ٢١ بـ ٧٠ مليون أمي



د. عجيل النشمي:

ضد من يعلن الجهاد يا فقهاء العصر؟

الأمن البيئي في ضوء الشريعة



وصول المساعدات الكويتية للشعب العراقي - أبريل ٢٠٠٣ م

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

سورة الرحمن - الآية ٦٠

الغزو العراقي لدولة الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ م



بقلم : جاسم محمد مطر شهاب

e.mail: alwaei@awkaf.net

وبدأت حرب تحرير العراق



ها قد بدأت حرب تحرير العراق بعدما رفض طاغيتها صدام حسين كل النداءات العربية والدولية للتنحي والتنازل عن السلطة... ورفض بتعنته وصلفه تجنيب الشعب العراقي كل ويلات الحرب والدمار وزيادة المعاناة لملايين العراقيين بالداخل والخارج، ليبقى هو وزبانيته على رأس السلطة، ضارباً بعرض الحائط كل ما يتعرض له الجيش العراقي والمدنيين من احتمالات القتل والتدمير.

إن للحروب مفاسد كثيرة لما تخلفه من سفك للدماء وأرامل وأيتام وتدمير للاقتصاد وقتل للأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى تحمل ظلم الطاغية المتجبر إلى غير ذلك من صور المآسي التي تعتصر لها القلوب على مر التاريخ.

لقد بادرت الكويت ومن منطلق مسؤولياتها الأخوية وروابطها الإسلامية بالشعب العراقي إلى التبرع بـ«٤٥ ألف» وجبة غذائية يومياً للشعب العراقي.

كما ستقوم الكويت بإنشاء مركز صحي في المنطقة المنزوعة السلاح لتوافر العلاج والإسعافات الأولية لأبناء الشعب العراقي، وهي مبادرة إنسانية سامية لدولة الكويت، نأمل أن تحذوا الدول الإسلامية حذوها لدعم ومساعدة أبناء الشعب العراقي الذي يعاني من بطش وتشريد نظام صدام حسين.

في الوقت الذي نقف فيه بجانب إخواننا أبناء الشعب العراقي ومعاناتهم جراء سياسات صدام حسين الأرعن وزمرته التي أوصدت الأبواب في وجه كل الحلول السلمية مع أبناء جلدته والمجتمع الدولي، ما أوصل العراق إلى المواجهة العسكرية التي لم نكن نتمناها.

إننا نضرع إلى الباري عزَّ وجل أن يتلطف بالشعب العراقي للخروج من محنته التي جاءت بسبب عناد صدام، كما نتمنى على الله أن يعجل بالفرج القريب ورفع الظلم والمعاناة عن الشعب العراقي وأن يهيئ له قيادة حكيمة تجمعهم تحت راية (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً).

إننا مطالبون كمسلمين أن نمد يد العون والمساعدة لإخواننا في العراق للعمل على زرع الأمان والاستقرار فيما بينهم كأفراد وبين جيرانهم كإخوة وأشقاء، ومن ثمَّ تهيئة الظروف لعودة العراق إلى حضن أمته العربية والإسلامية حتى يعيش هذاالشعب أجواء الحرية والسلام، ويبقى قوة مادية ومعنوية تنصر قضايا أمتنا الإسلامية بعيداً عن سلطة القهر والتعذيب والتشريد التي مارسها نظام الطاغية صدام حسين.

وبقيت لنا كلمة نوجهها اليوم إلى علماء الأمة الإسلامية ومشايخها، إلى أن يوجهوا الشارع الإسلامي بعامة والشعب العراقي بخاصة الذي يعاني ما يعاني من شتات وتفريق، التوجيه الذي يرتكز إلى العقل والحكمة، فالكلمة التي تخرج من أفواه هؤلاء في هذا الوقت يجب أن توزن بميزان الذهب قبل تصديرها إلى الشارع العربي والإسلامي... فالدعوة إلى الجهاد التي صدرت، يجب أن ندرك مصطلحاتها الفقهية، فهي ترمز إلى سنام الإسلام وعموده، وهي التي تحرك مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن ثمَّ نحن مطالبون قبل إطلاق هذه الكلمة المؤثرة أن ننظر إلى واقع عالمنا الإسلامي، وإلى موازين القوى العالمية، هل نحن دول إسلامية متحدة ومتعاونة أم دول متناحرة؟ أين الروابط الإسلامية والاقتصادية والمصيرية؟ لقد ابتعدنا عن منهج عزنا ورضينا بشعارات الزيف من الشيوعية والرأسمالية والعلمانية وغيرها من الشعارات الزائفة التي تحكم بعض دولنا العربية والإسلامية. يا معشر العلماء إننا اليوم مدعوون أكثر من أي وقت مضى إلى مراجعة واقعنا المرير ومعرفة موازين القوى قبل أن نصدِّر الحديث والفتوى التي تفقد معناها ومبناها لأننا لا نمتلك من تنفيذها سوى الاسم، ومن ثمَّ علينا أن تكون فتوانا نابعة من فهم وإدراك لواقعنا حتى لا تنزل الكلمة على الأرض دون جدوى، إن الشارع الإسلامي ينتظر منكم كلمة تجمع شمله وتوحد كلمته وترفع الظلم عنه وتقوي عزيمته ولا ينتظر الكلمات والفتاوى التي تثيره وتهيجه دون جدوى ودراية بواقع المسلمين لتخرج الآلاف من البشر في مسيرات غوغائية يستغلها بعضهم في بعض العواصم العربية والإسلامية للتخريب والاعتداء على الأرواح والممتلكات وبث الرعب في نفوس الشارع الإسلامي، إذ ربما ينتج من ذلك إزهاق أرواح بريئة سببها حماسة غوغائية غير موجهة ●



إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

العدد 450 - السنة الأربعون - صفر 1424 هـ - أبريل / مايو 2003 م

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

المراسلات كافة
باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة
13097 - الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس: (٩٦٥+) ٥٣٤٨٩٥٤
al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

كلمة العدد

لماذا الحرب على البيئة؟!

عزيزي القارئ

نتابع سوياً ما تلاقيه البيئة من اعتداءات يومية صارخة قد تؤدي بنا إلى الفناء دون شعور منا، ونتابع أيضاً ما لاقته البيئة من ويلات خطيرة لهذه الاعتداءات وبخاصة في الآونة الأخيرة، حيث تُحْرَقُ آبار البترول تحت مبررات واهية ما أنزل الله بها من سلطان، كاستراتيجيات تفرضها الحروب، إلا أن الحرب في الإسلام هي حرب حماية للإنسان ولكل ما يحيط به، ويسخر لخدمته. وقد عبَّر أبوبكر الصديق رضي الله عنه عن مبادئ المحافظة على البيئة بوصيته للجند قبل الذهاب إلى القتال: «لا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تقطعوا شجراً ولا ثمراً إلا لمأكلة، وإنكم ستمرون على أقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم إليه».

هذه هي أخلاقيات الإسلام التي غرسها في نفوس المسلمين وقد ورد أن من شُعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، فما بالنا بمن يجلب ذلك الأذى؟!، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه قال: «نزع رجل لا يعمل خيراً قط، غصن شوك عن الطريق إما كان من شجرة فقطعه وألقاه وإما كان موضوعاً فأماطه فشكر الله له بها فأدخله الجنة» صحيح البخاري رقم ٦١٥.

لذلك سعت المجلة إلى فتح ملف معالجة الإسلام لقضايا البيئة لتوطيد دعائم الإيمان والتمسك بالقيم الموجهة للسلوك الإنساني •





موضوع الغلاف

لقد كان الأمن البيئي هو هاجس المجتمعات البشرية منذ أيامها الأولى، ويقصد به حماية البيئة ضد الجرائم التي ترتكب في حقها والتي تؤدي إلى هلاك الحرث والنسل أو إتلافها فكيف تناولته الشريعة الإسلامية؟

الإشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة
باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

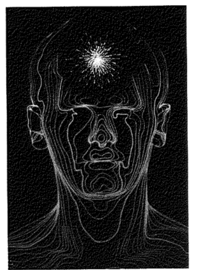
- الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : **دينار** واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٥٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : **دينار** واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله. • اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

في هذا العدد

طب وعلوم

الأمن المطلوب للخريطة الجينية

التقدم العلمي في زماننا يسير بخطاً واسعة في شتى مناحي الحياة، ولعل أبرز الاكتشافات العلمية هو البدء في فك «الشفرة الوراثية» للإنسان ومحاولة التوصل إلى رسم خريطة جينية لكل آدمي.



صفحة 22

قضايا بيئية

معالجة قضايا البيئة في الإسلام

حض الإسلام على المحافظة على البيئة، فنهى عن كل ما فيه ضرر فقال (ﷺ): «الإيمان بضع وستون شعبة» وفي رواية «بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان».

صفحة 38

فكر:

مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي

في العصر الحديث ظهرت محاولات تغريبية لإذابة الفكر الإسلامي واستهدافه، استندت إلى بعض رواسب الفكر المنحرف الذي سبق أن أثقل كاهل الفكر الإسلامي الأصيل، وقد امتدت جذور هذه الرواسب إلى يومنا هذا تتحدى الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً.

صفحة 54

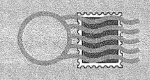
المحتويات

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦

ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

● السودان، الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) ● اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر ● لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ ● الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ● الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع ● مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ● المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ● قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.





بريد القراء

عتاب ونقد

جاء في براعم الايمان العدد ٣١٩ ذو الحجة ١٤٢٣هـ فبراير/مارس ٢٠٠٣م صفحة ٢٤ تحت عنوان: «علماء مسلمون علموا العالم» بقلم: الطيب أديب، وأنا ليس لي على ما كتبه الكاتب أي تعليق أو تعقيب أو نقد، وجزاه الله خيراً.

ولكن نقدي ينصرف إلى الصورة التي رسمها من وقّع عليها باسم «صقر»، وهي توحي أنا للإمام «ياقوت الحموي» وهي صورة كركتيرية، أجلس فيها الرسام الإمام العالم ياقوتاً على مجموعة من الكتب العلمية.

ونحن عهدنا بالعلماء، وصغار طلبة العلم، أنهم يجلّون الكتب العلمية سواء فقهية كانت أو في التفسير أو في الحديث أو السيرة أو في غير ذلك من العلوم الدينية والكونية.

وإن ياقوتاً الحموي ما جلس يوماً من الأيام على كتاب ولا غيره من العلماء فعل ذلك، بل كان احترام كتب العلم أمر ثابت لديهم، وأنه لا يجوز الجلوس عليها، ولا الاتكاء ولا استخدامها استخداماً فيه أي صورة من صور الامتهان، وإن أبناءنا ما فقدوا لذة طلب العلم إلا بعد أن جعلوا كتبهم على ظهورهم، ولم يحملوها في أيديهم عند صدورهم.

فكيف يفعل «صقر» هذا، ويُقعِّد ياقوتاً على كتب العلم، أما كان يكفي الرسام - غفر الله له - أن



يضع كرسياً تحت ياقوت الحموي وأمامه طاولة عليها كتبه ويحمل ريشته بيده اليمنى وخلفه مكتبة عامرة.

وبما أن الوعي والبراعم نهجهما إسلامي بحت، فإنه يجب أن تخلوان من كل ما لا يتماشى مع هذا النجاح، ونقدي هذا اقصد به وجه الله، وأعلم أن الرسام لم ينتبه إلى ما ذكرته وأنه لم يقصد تصوير الإمام أنه يمتهن العلم وكتبه.

وليد عبدالباري الخطيب

المحرر: شكراً للأخ وليد على هذه الملاحظة الطيبة، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على حرص الإخوة والأخوات من القراء على تسديد مسيرة المجلة نحو الأصوب والأحسن وبما يتوافق مع نهج الشريعة الغراء.

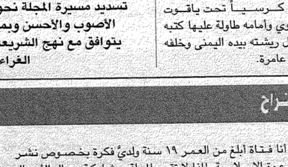
قصور على الرمال

لا أكذب بل هي حقائق عن شباب اليوم الذي يبني أحلاماً على الهواء أو قصوراً على الرمال، فإذا ما جاءت موجة من أمواج البحر الشديدة أو الضعيفة فسرعان ما تنهار تلك القصور.

لماذا لا يعيشون الواقع؟ ظني أنهم في غفلة عمّا يحدث!! ويظنون أنهم على علم بكل شيء، وهذا هو الجهل المركّب، فهناك جاهل بسيط وجاهل مركب، فالأول يعلم أنه جاهل ويريد أن يتعلم، والثاني جاهل ولا يعلم أنه جاهل!!

ولقد رأيت أحدهم عندما واجهه أخوة بالحقيقة بأنه ليس على علم، فكأنما ركبه خمسون شيطاناً، وأخذته العزة لنفسه وغضب غضباً شديداً لا لشيء إلا لأن أحدهم عرّفه بالحقيقة المؤلمة بأنه ليس على علم وأنه جاهل مركّب!

حسن السيد محمد منير - مصر



اقتراح

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٩ سنة ولديّ فكرة بخصوص نشر الدعوة الإسلامية، لماذا لا تقوم المجلة بمشاركة رجال الأعمال المهتمين بأمر الدعوة بتدريب مجموعة من الشباب الراغبين في نشر الدعوة الإسلامية وتهيئتهم لذلك من حيث الإعداد اللغوي والدعوي وكذلك وضع برنامج زمني لفترة التدريب، إضافة لوضع برنامج ينظم عملهم بالدعوة، فالأعداء من اليهود وغيرهم يلعبون في عقول الشباب لإفساد الأمة وتفتيتها، فهل لنا أن نردهم خائبين بالطبع ليحدث ذلك لابد من تدريب هؤلاء الشباب على حب دينهم والولاء له ونشره لمقاومة خطط الأعداء التي تستهدف القضاء على اللغة والحضارة ●

زهراء حمدي

رداً على موضوع الفوائد الربوية

إن فتوى فضيلة الدكتور محمد «سيد طنطاوي» مفتي مصر، ثم شيخ الأزهر الشريف، ثم فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، في إباحة الفوائد المصرفية، التي تتعامل بها المصارف التقليدية، خرقت إجماع الأمة الإسلامية، وناقضت ما عليه المجامع الفقهية، ولجان الفتوى الجماعية، وما اعتقد المسلمون حرمته على مدى الأزمان.

فقد جاءت نشازاً على خلاف ما يتوقعه المسلمون من مقام فضيلته، ومقام مجمع البحوث الموقر، وأغرب ما يلفت نظر السادة العلماء في ذلك، تغير فتوى مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف من النقيض إلى النقيض، من غير دليل راجح أو مصلحة طارئة اقتضت هذا العدول، ومما يزيد الأمر غرابة تعليل مجمع البحوث فتواه بإباحة الفوائد المصرفية، وتكييفه للعلاقة بين المصرف والمودعين فيه بأنها علاقة وكالة، ثم إردافه قوله: «الوكالة أحد أنواع المعاملات التجارية المشروعة، فكل ما يتعلق بها جائز شرعاً»، فإن هذا مخالف للواقع، ومخالف للأحكام الشرعية من وجوه، منها:

١ - لم يقل أحد من الاقتصاديين أو غيرهم، أن إيداع الإنسان بعض أمواله في البنوك التقليدية هو من الوكالة، ولكنه قرض بإجماعهم، وما تكييفه بالوكالة إلا مكابرة وتغيير للواقع، ولو تنازلنا وقلنا بذلك جدلاً لكان مقتضاه أن المال إذا تلف في يد البنك أو خسر، من غير تقصير، تكون مسؤولية ذلك على صاحب المال، وليس على البنك، لأن الوكيل في الشرع أمين، ولم يقل بهذا أحد، والواقع يخالفه، ولا أظن أن أصحاب الفتوى المشار إليها يرضون به.

٢ - إن تعليل مجمع البحوث إباحة الفوائد المصرفية بما تقدم من قوله: «فكل ما يتعلق بها جائز شرعاً»، هو تعليل في منتهى الغرابة، فهل من قواعد الفقه في نظر مجمع البحوث في مصر أن الإنسان إذا وكل آخر في الاتجار بالخمور والخنازير يكون ذلك جائزاً وحلالاً، بناء على هذه القاعدة الجديدة لدى مجمع البحوث؟؟؟



● الدكتور محمد «سيد طنطاوي ●

كل ما أرجو من الله تعالى أن يوفق مجمع البحوث في الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف، إلى أن يعيدوا النظر في فتواهم هذه، وأن يرجعوا فيها إلى ما عليه المسلمون، علماء وعامة، مع تحريم هذه الفوائد، والاستعاضة عنها بالطرق الإسلامية الميسر لاستثمار الأموال.

والله من وراء القصد

وهو أجل وأعلم، والحمد لله رب العالمين ●

* أ.د.أحمد الحجي الكردي - خبير في الموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت - وأستاذ في كلية الشريعة في جامعة دمشق سابقاً.

على أطلال الاستقلال نقول: شكراً

شكراً على سلب الأرض، وتقتيل الرجال، وترميل النساء، وتيتيم الأطفال، وتشريد الشباب، وإبعادهم، ثم شكراً، على أن أعدتم لنا طللاً مع إيقاف التنفيذ، وشكراً أخيرة على ذلك الصلف والمنّ علينا بهبة السلام!! قف بنا نضحك، فنحن في عصر الضحك، الضحك على أنفسنا وعلى الآخرين، لم يعد البكاء سمتنا نحن، وإنما سمت هؤلاء الذين تفضلوا علينا بأعين دامعة وقلوب حزينة بتلك الهبة: أن نعيش معهم في جزء من «أرضنا» في سلام، طبقاً لتعاليم التوراة المحرَّفة ورغبة في حقن دمائهم «الزكية» التي أريقت على أرضنا وتسببنا نحن «الوحشيين» في إراقتها، لأن بعضنا دافع عن أرضه، ولم يقدمها لقمة سائغة لهم!!.

وعفواً وكرماً وصفحاً عنّا أعطونا هذا الطلل، حتى يستعدوا لأخذه مع غيره حين يأتي موعد تنفيذ تلك المبادئ الجميلة العادلة: مبادئ السلام... وإنها للحظة عسيرة على أنفسهم أن ينسوا تلك الجراح، وتلك الأرواح الشهيدة التي ماتت على أرضنا ويقولونها بكل فخر وعزة حين أرادوا هم أن يقولوها لغرض ما في نفس يعقوب: كفى حروباً وهيا بنا إلى السلام، ولماذا الحروب، فلم يعد لها أي داع، الآن فقط يمكن تحقيق كل شيء دون حروب، فهذا هو الاقتصاد قد بيع لهم، وهذه هي السوق الشرق أوسطية قد أتت، وها هم المسلمون يُبادون في كل مكان جهاراً نهاراً، وها هو الإسلام قد ألبس ثوب الإرهاب فأعلنت عليه الحرب بأيد عربية أو أجنبية أو خفية تمهيداً - وهيهات - هيهات - لقتله بعد أن تمقته النفوس، فلماذا إذاً الحروب يا سادة؟!!.

إنه السلام والعمل في هدوء، فقد ولى زمن الحروب والجنود الشجعان، الذين يدافعون عن الدين والأوطان... فمن يحارب هؤلاء؟ أين الجيوش العربية الإسلامية المحاربة؟... ضاعت في زمن الإرهاب اللعين، فلماذا الحروب؟ إنه السلام الموقوت.

لقد ذكرتنا كلمات «أولاد العم» في حفل توقيع إتفاقية «المبادئ الفلسطينية الإسرائيلية» المؤيدة بالتوراة والتراث اليهودي بمقولة الخديوي توفيق لأحمد عرابي: «إن أنتم إلا عبيد إحساناتنا» ولكن لم يذكرنا أحد بمقولة أحمد عرابي ومن قبله عمر بن الخطاب: «لقد خلقنا الله أحراراً» ولم يقسم بعد أحد قائلاً: «والله الذي لا إله إلا هو لن نستعبد بعد اليوم»، لكن... نحن قلناها إن لم نسمعها وقالها ربنا في كتابه العزيز: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

محمد السيد عامر - بورسعيد - مصر

الندوات أكثر من رائعة لكن..



وزارة الأوقاف عقدت الندوة السادسة لمستجدات الفكر الإسلامي

على الرغم من أن الندوات التي عُـقـدت تحت شعار «نحو حوار بنَّاء بين الحضارات» قد أثرت مقولتنا بما طُرح من أفكار وحقائق أتحفتنا بها النخبة المشاركة في الندوات إلا أنه يبقى أمران:

الأول أنها في النهاية تخاطب وجوهاً عربية وعقولاً إسلامية، وبالتالي فهي تخاطب من تنطبق عليهم مقولة: «أهل مكة أدرى بشعابها»، لذا فمثل هذه الندوات والمنتديات تحتاج إلى تفعيل أكثر لتصل إلى «الآخر»، وحين أقول «الآخر» فإنني أعني المواطن الغربي ولا أعني المؤسسات الرسمية لأن الأخير مُسيَّرة وليست مُخيَّرة في ظل نفوذ صهيوني متعاظم.

ويجب ألا يكون هذا الخطاب الموجَّه للرأي العام الغربي لشرح حقيقة الإسلام والحضارة الإسلامية والرغبة في تبادل الحوار ليعلو صوت العقل فوق صوت السلاح عشوائياً أو ارتجالياً، ولكن يجب أن يكون نتاج استراتيجية واضحة المعالم والأفكار والأهداف، وآلية التنفيذ، تشارك في وضعها نخبة من المفكرين على اختلاف تخصصاتهم في العالم الإسلامي من خلال حلقات دراسية على مستوى حلقات «قاعة البحث»، وتشارك فيها نخبة العمل الإسلامي العاملة في الغرب لأنهم أدرى بعقلية «الآخر» وأقصر الطرق لمخاطبته وإقناعه.

وإذا نجحنا في تحقيق هذا الهدف سنصل إلى ما أسميه مرحلة «التفريغ»، وأعني بها التأثير في الرأي العام ليكون مناصراً لعدالة قضايانا ويقف حائلاً بيننا وبين صنَّاع القرار المنحازين للمشاريع الصهيونية أو المغامرات الطائشة التي قد يقوم بها بعض الزعماء في الغرب إرضاءً لغرورهم من مبدأ القوة الغاشمة أو لصرف اهتمام مواطنيهم عن مشكلاتهم الداخلية إلى بؤر صراع خارجية مفتعلة أو عدو وهمي محتمل.

الثاني: إن هذه الندوات ينقصها أمضى سلاح، وأكثرها فاعلية وهي الإعلام، فالتغطية الإعلامية وحدها لا تكفي لأن أقصى ما ستفعله هو نقل مقتطفات مقتضبة مما دار في الندوات، وبالتالي ستحرم الأغلبية العظمى التي فاتها حضور الندوات من الفائدة المرجوة والمناقشات المثمرة التي حفلت بها قاعات فندق شيراتون الكويت، وخصوصاً لو عرفنا عدد الحضور، واستثنينا منه المشاركين في الندوات، لن يتجاوز إجمالاً رقماً يُحسب بالعشرات، ولذلك فإنني أعجب كل العجب ألا أرى بين كل هذه الغابة الكثيفة من الفضائيات العربية والإسلامية، قناة واحدة إسلامية متميزة تشكل قوة جذب للمشاهد المسلم، وتسهم في نقل قضايانا وما نهدف إليه من أفكار إلى العقل الغربي، ولتحقيق ذلك يجب أولاً تطوير مفهوم العمل الإعلامي الإسلامي، لنتجاوز به الأسلوب التقليدي الذي يقوم على استضافة شخص ما، سواء كان فقيهاً أو مفكراً مع محاورة داخل استوديو لمناقشة موضوع ما، مما لا يشكل في مجمله بؤرة اهتمام وجذب للأغلبية العظمى، ولكن للتنمية المهتمة فقط.

هذا التطوير يجب أن ينساح تحت لافتة «كل ما هو ملتزم، هو إسلامي»، لأن الأخلاق بعامة في الإسلام لا يختص بها المسلمون وحدهم.

وعلى الرغم مما يحيط بها من علامات استفهام وما يُقال عنها من سلبيات، إلا أنني أرى في قناة «الجزيرة القطرية» أنموذجاً يُمكن أن يُحتذى به لإنشاء مثل هذه القناة، وأقصد بالأنموذج هنا: الحشد المتميز للطاقات الإعلامية والتقنية والفنية لعناصر العمل داخل هذه القناة، ما أدى في النهاية شئنا أم أبينا، لأن تكون أكثر القنوات الفضائية جذباً للمشاهد العربي والغرب.

وحين نأخذ مثل هذا الأنموذج، فإننا لا نأخذه على علاته، ولكن نأخذ أحسن ما فيه فنجوِّده ونتجاوز ونبتعد عمَّا فيه من سلبيات هي محور النقد الموجه لهذه القناة.

نقطة أخرى أود الإشارة إليها ألا وهي أنه على الرغم من أن العنوان الذي انداحت تحته الندوات كان «الحوار بين الحضارات»، إلا أن المشاركين قد قصروا مفهوم هذه الحضارة على «الحضارة الغربية» بصفة عامة، و«الأميركية» بصفة خاصة، متناسين أن هناك حضارات أخرى لها جذورها الضاربة في التاريخ ولها مظاهر التقدم التكنولوجي والحضاري المعاصر، منها على سبيل المثال لا الحصر حضارة «الجنس الأصفر» في اليابان والصين، وهما حضارتان لا تقلان أهمية عن حضارة الغرب، ومن الممكن إن استطعنا كسبهم إلى صفوفنا أن نحقق مكاسب، على الأقل، على الأصعدة العلمية والتكنولوجية إن لم يكن على الأصعدة السياسية.

وإذا انتقلنا إلى الصورة القاتمة عن المسلمين المترسبة في ذهن «الآخر» وكان لابد من إلقاء اللون على أحد، فإنني أعتقد أن الأسباب من واحد إلى تسعة تقع على عاتق المسلمين أنفسهم، ثم يأتي السبب العاشر ليقع على «الآخر»، وبمراجعة بسيطة ومحاسبة دقيقة لأنفسنا نستطيع أن نكتشف تلك الأسباب ببساطة، وبالتالي فنحن بحاجة لوقفة مع النفس كمسلمين، كل يقف مع نفسه على حدة لتقويمها عملاً وفعلاً قبل القول، ثم نقف مع بعضنا بعضاً لإعادة ترتيب البيت الإسلامي، والعمل على النهوض به لنلحق بركب الحضارة العلمية والتكنولوجية، ولنلحق بالآخر ونقف معه على قدم المساواة وعندها فقط سيتحسن الوجه الإسلامي تلقائياً دون حاجة لعمليات تجميل أو ترقيع لتخفي ما خلفها من قبيح وتخلف سلوكي وتكنولوجي.

وبالنسبة للشكوى الدائمة من الهجمات الإعلامية الشرسة على المقدسات الإسلامية من بعض وسائل الإعلام الغربية، فإن الحل في رأيي يكمن في الأنموذج اليهودي، سواء كان على حق أو على باطل بتهمة «معاداة السامية»، فإننا يمكن أن نلاحق كل من يعتدي على مقدساتنا إعلامياً وقضائياً بتهمة «معاداة الإسلام»، أو «العنصرية»، وإن كان هذا سيأخذ منَّا جهداً وكفاحاً مريرين لجعل الأولى تهمة معترف بها في القانون الدولي.

* د.محمد محمود عمارة





شخصيات

في ذمة الله الشيخ بدر المتولي عبدالباسط

في الثالث والعشرين من شهر فبراير الماضي، ودَّع العالم الإسلامي عالماً من علمائه الفضلاء، هو الشيخ بدر المتولي عبدالباسط. حلَّ هذا العالم في دولة الكويت العام ١٩٧٠م، وكانت حياته حافلة بالعمل والجد والمشاركة في شتى مجالات العلم والدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين، بدأ مهامه العلمية عميداً لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، ثم عمل رئيساً لقسم الشريعة في دولة الكويت في العام ١٩٧٥م، ثم أميناً عاماً للموسوعة الفقهية ورئيس هيئة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، ومن ثمَّ عمل مستشاراً شرعياً لبيت التمويل الكويتي، ورئيساً للجنة الشرعية منذ بدء عملها العام ١٩٨٤م.

لقد كان يرحمه الله عالماً متبحراً وفقيهاً متمكناً، عاش حياة حافلة بالعمل والمشاركة في مجالات العلم والدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين.

ومن آثار الشيخ القيِّمة حصوله على الدكتوراه في الوقف، ومن ثم رسالته في الفقه المقارن، وكذلك كتاب أصول الفقه، وكتاب فقه العبادات، بالإضافة إلى البحوث والمقالات التي تعرض آراءه الفقهية والتي ربما تكون أكثر من أن تُحصى.

ومن أعماله الجليلة - يرحمه الله - أنه كان يتعامل مع كتب التراث، ويعيد صياغة مصطلحاتها بشكل موسوعي، ولدقتها وسهولتها تلمس منها إخلاصه بالعمل الذي يقوم به، ومن بصماته الفذة التي تركها في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الموسوعة الفقهية التي أولاها عنايته ورعايته، ما جعل القارئ إذا ما تناول أي موضوع فيها تناوله بكل سهولة ويسر، قام بهذا العمل مع الحرص على وضوح العبارة وقربها من الأفهام، حيث ستحتاج بعض القضايا المعاصرة إلى اجتهادات لم يسبق القول فيها، كما أن عمله في بيت التمويل «البنك الإسلامي» جعله يبحث المستجدات الاستثمارية والمحاسبية الجديدة وربما لا عهد لبعض الفقهاء فيها من قديم لأن عصورهم التي عاشوها لم تكن بحاجة للتطرق لمثل هذه الموضوعات، والشيخ - يرحمه الله - اختير لهذا المكان لغزارة علمه وحدة ذكائه ونضجه الفقهي والموسوعي، ومثل هذه الأمور المستجدة والضرورات التي ستعترض المسيرة الفقهية، تحتاج إلى دلالات فقهية وأساليب مستنبطة في الاجتهاد وبخاصة في فقه المصالح والمقاصد، والشيخ - يرحمه الله - كان يمتلك الغزارة الموسوعية في هذا المجال فقد عمل في هذا المجال ووفَّاه حقه.



● الشيخ بدر المتولي عبدالباسط ●

ومن ثم فإن استنباط الأحكام المستجدة يجب أن يخضع للأصول الفقهية وفق أصول وضوابط وأساليب الاجتهاد المستحدثة، ولهذا كان الشيخ - يرحمه الله - يجتهد في الوصول إلى الحكم الصواب، وربما يكون أكثر من فتوى في المسألة إلا أنه كان يراعي الاستنباط الأدق إلى الأحكام والأصول الشرعية، وبهذا تحمل - يرحمه الله - مسؤولية الفتوى في النواحي الاقتصادية وهي مشكلة العصر الحديث، حيث إن الأمور الاقتصادية المتعلقة بالبنوك مقتبسة قوانينها من الشرق والغرب مما جعلها بمجملها بعيدة كل البعد عن جادة الشرعية، وبما أن كثيراً من المسلمين يرغب في أن يستثمر أمواله ضمن حدود الشرع، ويرغب أن يبتعد عن الربا فلا بد من اجتهاد فقهي معاصر يواكب طبيعة الحياة الاقتصادية، وهذا لا يتوافر إلا عند القلة القليلة الذين منهم الشيخ العالم بدر المتولي عبدالباسط - يرحمه الله.

ومن ثمَّ اختير - يرحمه الله - لهذا الأمر لأنه يمتلك فكراً عميقاً موسوعياً ناضجاً يستطيع من خلاله أن يوائم بين الحياة الاقتصادية المعاصرة وبين الأمور المالية المعقدة والتي أعاد أصول التعامل فيها إلى الشرع وربطها بالحلال، وأبعدها عن الحرام بفكره الثاقب ونظرته الموسوعية العميقة، وكان يعتمد بينه وبين نفسه على الحديث الشريف «بشِّروا ولا تعسِّروا» وهكذا قدَّم يرحمه الله - خدمة اقتصادية حديثة معاصرة للمسلمين، أعتقهم وبيَّنت لهم طريق الحلال من الحرام، وجعلت لكلٍّ منهم طائره في عنقه، من ناحية الاختيار السلوكي الاقتصادي في العصر الحديث.

وهكذا قدم الشيخ - يرحمه الله - خدمة جليلة عظيمة للإسلام والمسلمين في العصر الحديث تتعلق بالشؤون المالية والاقتصاد الإسلامي، هم أحوج ما يكونون بحاجة إليها في هذا العصر ●



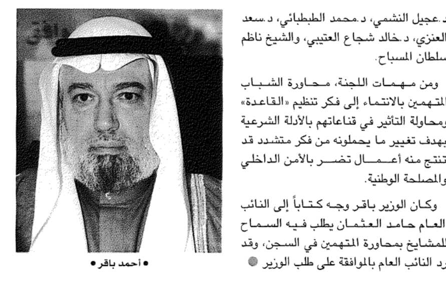
الأوقاف تشكل لجنة لمناقشة الأفكار المتطرفة

أصدر وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر قراراً بإنشاء لجنة تضم مجموعة من علماء الشريعة تناط بها مناقشة الأفكار المتطرفة المتعلقة بالسياسة الشرعية «بهدف حفظ الشباب المتدين في الكويت من الانجراف وراء الأفكار الداعية إلى التغيير بالعنف»، وذلك من خلال إصدار مجموعة من المطبوعات تطرح تلك الأفكار وترد عليها وفق «أدلة مقنعة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء».

وسيكون شعار هذه الحملة العلمية الإعلامية «افتح قلبك»، وضمت اللجنة في عضويتها كلاً من الدكتور خالد المذكور، د.عجيل النشمي، د.محمد الطبطبائي، د.سعد العنزي، د.خالد شجاع العتيبي، والشيخ ناظم سلطان المسباح.

ومن مهمات اللجنة، محاورة الشباب المتهمين بالانتماء إلى فكر تنظيم «القاعدة» ومحاولة التأثير في قناعاتهم بالأدلة الشرعية بهدف تغيير ما يحملونه من فكر متشدد قد تنتج منه أعمال تضر بالأمن الداخلي والمصلحة الوطنية.

وكان الوزير باقر وجه كتاباً إلى النائب العام حامد العثمان يطلب فيه السماح للمشايخ بمحاورة المتهمين في السجن، وقد رد النائب العام بالموافقة على طلب الوزير.



• أحمد باقر •

الوزارة نظمت ندوة لمناسبة ذكرى الهجرة النبوية

دروس وعبر من الهجرة

أقامت وزارة الأوقاف ندوة في مسجد الدولة الكبير لمناسبة الاحتفال برأس السنة الهجرية عنوانه: «دروس من الهجرة النبوية»، وذلك برعاية وزير العدل والأوقاف أحمد باقر، وبحضور الوكيل المساعد للشؤون الثقافية د.عبدالعزيز القناعي، والوكيل المساعد لقطاع المساجد مطلق القراوي ومدير إدارة الثقافة إبراهيم العبيدلي.

حاضر في الندوة كل من د.ابو اليزيد العجمي، والداعية سلمان مندني، وقد تحدث د.العجمي عن الدروس والعِبر المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة، كما تناول في الهجرة أربعة محاور، أولها الهجرة عطاء متدفق والثاني الرسالة المحمدية والإذن بالهجرة، ثم الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة والمحور الرابع: التفكير في التضحية من أجل الدين.

وقال: إن الهجرة حدث يمثل عطاء متدفقاً ينبغي أن تعود إليه الأمة في كل حين، فالهجرة كانت المشروع الحضاري للأمة وتمثل أركان هذا المشروع في شعور المسلمين جميعاً بضرورة المخرج والبحث عن مكان يقيمون فيه ودولة ترفع راية التوحيد وتمتد إلى كل الآفاق لتمثل الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وأضاف العجمي أن الأمر كان الصراع بين الحق والباطل، وهو قانون أزلي وأبدي، ووضع له قوانين تحكمه.

من جهته، تحدث الداعية سلمان مندني عن «الهجرة تحول وأمل»، قائلاً: الهجرة هي بناء الدولة وأساس الحضارة قام بها الرسول ليعلن كيان الأمة الإسلامية من خلال أرض انتقل إليها بأمر الله تبارك وتعالى لتقوم هذه الحضارة، واتسعت وامتدت ليس في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة، وهكذا ليكون للأمة أساس ثابت راسخ قوي تنطلق منه لتعلن عن نفسها أمة منهج ودين وعقيدة، أمة دستور نزل من السماء من خالق النفوس الذي يعلم كينونة النفوس وهوية المشاعر فهو الذي خلقها وبالتالي فإن المنهج الذي نزل

وزير الأوقاف يدعو لتعزيز التلاحم بين شعوب الأمة وقياداتها



دعا وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر المسلمين إلى توحيد وتحديد أولياتهم والتمسك بالتعاليم والمبادئ والقيم الإسلامية من أجل النهوض بالأمة الإسلامية ومواجهة كل التحديات والمشكلات التي تعاني منها، وفي مقدمها تحرير القدس الشريف من العدو الصهيوني.

وطالب الوزير باقر في تصريح لمناسبة ذكرى السنة الهجرية الجديدة الأمة الإسلامية بنبذ كل أشكال التعصب والتطرف، والابتعاد عن الأفكار الهدامة التي تخالف أحكام الشريعة الإسلامية السمحة وتخلق الانقسامات داخل المجتمعات الإسلامية.

وحذّر من خطورة الانقسام الذي تعاني منه حالياً الشعوب الإسلامية الذي أدى إلى شق صفوف المسلمين وضياع حقوقهم وزيادة معاناتهم، موضحاً أن سبب ظهور هذا الانقسام هو تصرفات النظام العراقي وأخطاؤه المتكررة بدءاً من حربه مع جارته إيران، ثم غزوه دولة الكويت، وأخيراً عدم التزامه بتطبيق قرارات الشرعية الدولية والتعاون مع الأمم المتحدة في نزع أسلحة الدمار الشامل لديه.

وأكد أن «النظام العراقي فوّت فرصة ذهبية في مؤتمر القمة الإسلامية إذ عقد قبل أيام بدولة قطر بعد قيامه بمهاجمة دولة الكويت والتطاول على الوفد الكويتي المشارك في القمة بألفاظ يحرمها ديننا الإسلامي الحنيف، الأمر الذي يؤكد استمرار هذا النظام في نهجه وتصرفاته الشريرة التي أدت إلى قتل وتشريد آلاف المسلمين داخل العراق وخارجه.

وذكر أن «مشكلات الأمة الإسلامية زادت بعد ظهور بعض حركات التطرف التي لم تلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية وبالمفهوم الصحيح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «مشيراً إلى أن هذا الفكر المتطرف»، أدى إلى حدوث فتن داخلية وخارجية، في بعض الأقطار الإسلامية، بينما كان الواجب تعزيز التلاحم بين شعوب الأمة وقياداتها وخصوصاً في ظل هذه الظروف التي تحيط بالأمة الإسلامية».

وأشار الوزير باقر إلى ما تتعرض له الأمة الإسلامية حالياً من «هجمة خطيرة تتعلق بالهوية والقيم والأخلاق ومحاولة فرض تشريعات عليها تخالف دينها وأحكام الشريعة الإسلامية».

وطالب المسلمين بالاستفادة من الدروس والعِبر التي تحملها مناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة، داعياً الشعوب الإسلامية إلى ضرورة توحيد جهودهم والتعاون فيما بينهم من أجل المحافظة على حقوقهم وهويتهم وتحرير المقدسات الإسلامية من العدو الصهيوني».

كما طالب بضرورة أن تنعم الشعوب الإسلامية بكل حقوقها، ومنها المشاركة الشعبية وتوفير أجواء الحرية التي وردت في كتاب الله والسنة الشريفة، مشيراً إلى أن «الديكتاتورية وتفرد شخص واحد بمصير شعب بأكمله كان من أسباب زيادة فرقة وتشتت الأمة الإسلامية، كما حدث ويحدث حالياً في العراق».

واختتم الوزير باقر تصريحه بالتوجه إلى الباري عز وجل بأن يحفظ الله الكويت وشعبها وكل شعوب المسلمين من أي أخطار أو تداعيات نظراً للظروف والمستجدات التي تشهدها المنطقة ●

يسير متناغماً منسجماً إلى يوم القيامة.

وزاد: وإن كان هناك تضاد فإنه من انحراف النفس لأن محمداً صلى الله عليه وسلم أراد أن تحيا هذه الأمة بهذا التصور وتلك الرؤية فكانت هجرته التي اتخذ فيها كل أسباب النجاح عن طريق إعداد للراحلة وباختيار الصاحب وباختيار الدليل من خلال تصور واضح.

وأضاف مندني، أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلمنا أن المنهج الواضح الذي تستطيع الأمة من خلاله أن تبني نفسها وأن تهيئ الأسباب وتستعين بالله أولاً وأخيراً للوصول إلى الهدف هي أمة ناجحة ومن غير ذلك لن تنجح أبداً.

وأشار إلى أن الهجرة الزمانية انتهت لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح»، ولكن هجرة الشعور والنفوس والأرواح باقية بقاء المسلمين، بالجهاد والنية، جهاد الفكر والقلب، والنفس، وجهاد الحياة ويبقى الإنسان مجاهداً، مستعداً لمواجهة كل عدو مهما عظمت شوكته أو



● د.عبدالعزيز القناعي

كثر عتاده ولكن الأمة المسلمة المؤمنة هي التي تقاتل كما أمر الله سبحانه.

وقال: هناك مليار مسلم يستطيعون بناء الحضارة من جديد، لكنهم في ظل انعدام وجود المنهج والرؤية الواضحة فإنهم يعيشون وفق الظروف والمستجدات، فلا تبقى هوية للأمة



● مطلق القراوي

وكذلك الفرد، إنما يبني الفرد هويته من خلال العقيدة والمبدأ والفكرة التي ينتمي إليها في الدنيا والآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» ●



قضايا معاصرة

لو تحمل المسلمون تبعات الجهاد منذ زمن لما وصلوا إلى هذه الحال

د. النشمي: ضد من يعلن الجهاد يا فقهاء العصر؟ ولماذا لم ترفعوا رايته يوم استباح صدام الكويت المسلمة؟



فتوى مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر التي أصدرها أخيراً ويحث فيها المسلمين على إعلان الجهاد هي في غير وقتها ولا مكانها.

هذا ما رد به العميد السابق لكلية الشريعة د.عجيل النشمي في حوار مع جريدة الأنباء الكويتية، مؤكداً أن دعوات الجهاد التي أعلنت منذ العام ١٩٤٨م من القرن الماضي، لم تتجاوز أبواب المساجد أو صفحات البيانات التي صدرت على مستوى العالم الإسلامي، وتساءل د.النشمي قائلاً: لنكن صرحاء ضد من نعلن الجهاد اليوم؟ فهل نملك عدته؟ وأين إمام المسلمين الذي أعلنه؟

وأوضح د.النشمي أن فقهاء المسلمين أجمعوا على أن إعلان الجهاد يكون موكولاً إلى إمام المسلمين بعد أن يعد عدته ويعقد رايته لا إلى الشعوب وعوام المسلمين الذين قد يحولون المجتمعات إلى فوضى إن هم أعلنوه دون ضابط شرعي معتبر.

وحذر د.النشمي من إصدار مثل هذه البيانات دون الالتزام بضوابط الشرع أو القيام بمسؤوليتها وإلا كان مصدرها «كمن يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً».

وأضاف د.النشمي: لقد دعا مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف والذي يرأسه د.محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر «العرب والمسلمين في كل أنحاء العالم إلى أن



يكونوا على استعداد للدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم... وألا يهنوا وألا يضعفوا أمام العدوان، وأن الأمة العربية والإسلامية والعقيدة الإسلامية هي هدف أساسي لكل هذه الحشود العسكرية... وإذا نزل العدو في أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، لأن أمتنا العربية والمسلمة ستكون أمام غزوة صليبية جديدة تستهدف الأرض والعرض والعقيدة والوطن».

وعلق الدكتور النشمي قائلاً: هذا القول من الناحية الفقهية سليم وصحيح، فقد قرر الفقهاء أن الجهاد يصبح فرض عين إذا دخل العدو أرضاً إسلامية فيجب قتاله ونصرة أهل تلك البلاد وتجب النصرة على المسلمين جميعاً، وتكون أولية النصرة على البلاد المجاورة ثم التي تليها، واستدرك قوله: لكن هذا الوجوب العيني لم يبدأ اليوم في دخول أميركا الأراضي العراقية وإنما بدأ منذ أمد، ولو أن الأمة الإسلامية تحملت

مسؤولية الجهاد من قبل لما حدث من هذا الذي حدث اليوم، لقد بدأ الجهاد وأصبح فرض عين في العصر الحديث منذ العام ١٩٤٨م، حين دخلت القوات اليهودية وَمَنْ وراءها أرض فلسطين، وبعد الاحتلال وفي مجمع البحوث الإسلامية، اجتمع العلماء من شتى أنحاء البلاد الإسلامية، وعقدوا «مؤتمر الجهاد»، وألقيت الخطب، وقال الإمام «محمد أبوزهرة» كلمته القوية الواضحة: «إن القتال ضد العدو أصبح فرض عين فيجب على كل مسلم في أرض إسلامية أن يتقدم للقتال، ويأخذ الأهبة لذلك، لأن أي جزء من أرض الإسلام لكل مسلم جزء شائع فيه، فمن أخذ جزءاً من أرضنا فقد دخل دارنا، وأن الذين احتلت أجزاء من ديارهم على المسلمين مجتمعين أن ينصروهم ولا يتركوهم «فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله ولا يسلمه» والجهاد يعتبر أشد وجوباً على الأقرب فالأقرب - وإن كانت الفرضية شاملة غير مجزأة، واستطرد قائلاً: رغم أن المؤتمر عقد في زمن كان في الأمة الإسلامية بقية من الروح الإسلامية الجياشة، وبحضور كبار المشايخ ممن لهم حظوة ومكانة علمية وشعبية فإن شيئاً لم يتغير، ولم ترفع للجهاد راية، بل رفعت إسرائيل رايتها على أرض فلسطين والقدس، ثم رفعتها فيما بعد على أجزاء من البلاد الإسلامية.

وزاد: ثم وجب الجهاد وكان فرض عين في «سراييفو»، ونادى الفقهاء بالجهاد ولم ترفع للجهاد يومها راية واحتلت أراض من بلاد المسلمين، وانتهكت الأعراض، وسفكت الدماء، ثم كان الجهاد فرض عين في «أفغانستان»، وعلت أصوات الفقهاء يعلنون الجهاد من المساجد وعلى المنابر، ولم يتجاوز كلامهم المنابر وأبواب المساجد، ومن قبل «أفغانستان» وجب الجهاد كفرض عين على المسلمين حين دهم صدام وحزب البعث الكافر أرض «الكويت» فاستباح الدماء والأموال والأعراض، وارتفعت الأصوات بوجوب الجهاد فما جاءت النصرة من بلاد العرب أو المسلمين حتى تألف العالم للنصرة، سواء لاجتماع المصالح أو لردع الظلم، وخرج العدو من الأرض، وها هو اليوم «العراق» يتعرض أرضه لدخول دول غير إسلامية فيه، ولكن الصورة فيها شيء من التعقيد الفقهي والسياسي، فالأرض إسلامية والشعب مسلم، لكن قيادته بعثية كافرة تعلن عن كفرها في وثائقها ودستورها ونظمها، كما أعلنت عنه في ممارساتها مع شعبها بالإبادة الجماعية بأسلحة الدمار، فحرقت آلاف المسلمين والعديد من علمائهم بالكيماوي، ودفنت الآلاف أحياء فيما سموه «بالأنفال»، ولا نرمي من ذلك استباحة أرض العراق أو دماء شعبه، بل حل دم رأس نظامه وحزبه الكافر فحسب.

وأردف د.النشمي قائلاً: من الناحية السياسية فلنكن صرحاء أيها الفقهاء، وإن لم نكن من أهل السياسة، ضد من نعلن الجهاد؟ هل نمتلك عدة الجهاد التي أمر الله بإعدادها؟ وما المفاسد الواجب درؤها والمصالح الواجب جلبها وما موقع دولنا من موازين القوى في العالم؟ هل نحن دولة أو دولة إسلامية متحدة أو متعاونة أو متناحرة؟

الجهاد إنما يعلن لإعلاء كلمة الله لا لمصالح سياسية أو حزبية

أين الروابط الإسلامية والأخوية والاقتصادية والمصيرية؟ إننا يمكن أن نمتلك من القوة مثل ما تمتلك أميركا وأكثر، فقوتها في اتحاد ولاياتها، فلتكن دولنا ولايات متحدة، وكل عناصر الوحدة متوافرة، فعلينا أن نقر فقط بأن عزنا في ديننا ولا عز لنا إلا بالإسلام، ومتى ارتضينا العزة في غير الإسلام أذلنا الله - كما هو واقع الحال «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وتابع النشمي رده على الفتوى بقوله: لسنا هنا بصدد الكلام على الأحكام الفقهية في حكم الاستعانة بغير المسلمين أو إعانتهم، فهذا ما بيّناه في فتاوى سابقة وبالتفصيل، ولكن المقصود هنا هو التنبيه إلى استخدام الفقهاء في هذا العصر لكلمة الجهاد والمناداة به وهم يعلمون حقيقة الحال، فنهين ونبتذل بهذا كلمة «الجهاد»، من حيث ندرك ونعلم أن كلمة الجهاد من أعظم المصطلحات الفقهية، فهي ترمز إلى سنام الإسلام، وهي أعظم كلمة حق تُقال، وهي الكلمة التي تحرك مشاعر المسلمين في أنحاء الأرض كلها فتجمع قواهم لنشر الدين ورد الظلم عن المسلمين، لقد قادت هذه الكلمة المسلمين ضد الحروب الصليبية، كما قادت من قبل الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فتأسست للمسلمين دولة وحضارة عمَّرت الأرض باعتبارها أطول حضارة سعدت بها الإنسانية وسادت بالعدل والإنصاف حتى سقطت الخلافة الإسلامية العام ١٩٢٤م حين لم يكن الخلفاء أهلاً لهذه الكلمة، ومع هذا فهي الكلمة الماضية إلى يوم القيامة لمن يأخذها بحقها، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

إعلان الجهاد يكون موكولا إلى إمام المسلمين بعد أن يعد عدته ويعقد رايته

وأشار د. النشمي إلى أن أعداء الإسلام عملوا جهدهم منذ أمد بعيد ليفصلوا روح هذه الكلمة عن جسدها، وبذلك يفصلون الرأس عن جسد الأمة وواقعها، وبذلوا في ذلك النفس والمال، حتى أبعدوا المسلمين عن دينهم، ورضي المسلمون بشعارات الزيف تحكمهم باسم الشيوعية والاشتراكية والقومية والرأسمالية والعلمانية وغيرها، مما لم يجن المسلمون من ورائه إلا الفشل والتأخر في كل مجال، ويعيش المسلمون اليوم واقعاً يرضى من الإسلام باسمه، ومن الجهاد بكلمته، والإسلام كلمة، والدين كلمة تسطر في الدساتير، ولا شأن لها بالواقع، وأصبحت بعد ذلك كلمة الجهاد مثل كلمة «دين الدولة الإسلام» كلمة تاريخية، لا روح فيها، تكتب فيها أبحاث، وتزين بها الخطب والبيانات.

ولكي يكون لهذه الكلمة وقعها وتأثيرها، وتكون البيانات لوجه الله خالصة يجب أن يوجه هذا البيان وغيره من البيانات الداعية إلى الجهاد، إلى حكامنا أولاً، لا إلى الشعوب، فالشعوب فيها بقية من دين وحماسة، وتنتظر من حكامها أن يسمعوها كلمة الجهاد، كما أن إجماع الفقهاء منعقد على أن الجهاد يناط إعلانه بالحاكم، إن كان للمسلمين خليفة، أو الحكام إن كانت بلاد المسلمين دولاً، ولم يقل أحد: إن الشعوب هي التي تعلن الجهاد، بل إن إعلان الشعوب الجهاد معناه، إما الفوضى، أو الثورة على حكامها، فيكون الجهاد ضدهم حقاً إن كانوا كفاراً كفراً صراحاً لا شبهة فيه - كحال حزب البعث الكافر - وأمكن قلعهم دون هدر لدماء المسلمين، فيحتمل الضرر الأخف لدرء الضرر الأعظم.

ثم إن عبء هذه الكلمة تتفاوت المسؤولية فيه تبعاً لسعة البلاد وعدد سكانها ومكانتها وتاريخها في حواضر العالم الإسلامي، فليست البلاد الصغيرة كالبلاد الكبيرة، فمن البلاد ما يصلح أن يكون رأساً في الأمور الجسام، وغيرها تبع لها، فإذا ضعفت ضعفوا وإذا قويت سرت القوة إليهم، وينبغي أن يكون البيان بيان الجهاد صدقاً وورقة عمل وحيدة في جدول أعمال الدول العربية والدول الإسلامية في اجتماعاتها المتكررة.

والجهاد قبل هذا إنما يعلن لإعلاء كلمة الله، هذا شرطه المُجْمَعُ عليه، لا لمصالح سياسية أو حزبية، فهل الأمة اليوم والحكومات قبل الشعوب تعمل من أجل ذلك؟ كيف نطالب بإعلان الجهاد وقد ناصرنا القوانين الغربية على شريعتنا وعطلنا الشريعة، وحاربنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بإعلان الربا نظاماً لنا؟ فما أسهل أن تصدر هذه البيانات! لكن إن لم توضع في مكانها أو تتحمل مسؤوليتها، جاءت يوم القيامة حجة على قائليها لأنهم كمن يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً.



أحكـــام

الموقف الشرعي من الاستعانة بالقوى الصديقة

ما حكم الاستعانة بغير المسلمين لمواجهة المعتدين؟ ما حكم الاستعانة بالأميركيين في محاربة المعتدين من المسلمين؟

بقلم: أ.د.مصطفى عرجاوي

الاستعانة بغير المسلمين لرد عدوان المعتدين من غير المسلمين جائز شرعاً، لأن ردع العدوان أو رده مطلوب بكل وسيلة ممكنة، فإن أمكن ذلك بقوة المسلمين، فلا حاجة إلى الاستعانة بغير المسلمين، وإذا تعذّر الأمر عليهم فلا مانع شرعاً من الاستعانة بالمشركين على المشركين أو بغير المسلمين على غير المسلمين، إن تأكدنا من صدق معاونتهم، وأمناً من غدرهم أو انقلابهم علينا بغية مساندة من هم على شاكلتهم من غير المسلمين.

والدليل على مشروعية رد العدوان ودفعه بمثله قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة:١٩٤، وقوله سبحانه: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى:٤٠، وقوله عز وجل: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) البقرة:١٩٠، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة»، ويقول أيضاً: «الجنة تحت ظلال السيوف»، أي أن الجنة لا يستحقها بحق إلا من استشهد دفاعاً عن أرضه أو عرضه، أو لإحقاق الحق وردع الباطل.

ولابد للمعتدى عليه من الدفاع عن نفسه والمقاومة بكل قوة وجسارة، لأن روح المقاومة في الأسد هي التي جعلته لا يمسك للذبح كما تمسك الشاة، وبلا ريب الضرب في الصدر خير من الضرب في الأعجاز وفي الظهور، وآيات الجهاد دفاعاً عن النفس وعن الوطن، وعن الدين من باب أولى... من الكثرة بمكان حتى أصبح الجهاد من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وبخاصة عند مهاجمة الأعداء لديار الإسلام.

هذا هو الحكم العام للاستعانة بغير المسلمين في مواجهة المعتدين من غير المسلمين أو المشركين.

أما الاستعانة بغير المسلمين في رد عدوان بعض المسلمين، فإنه يحتاج إلى تصوير تدقيق، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلابد أن تتصور شكل هذا العدوان، وأهدافه المباشرة، وهل يتستر خلف الإسلام لمجرد تبرير عدوانه أم لا؟. وهل أمكن الاستعانة بالمسلمين ومع ذلك لجأ المعتدى عليه إلى غير المسلمين مفضلاً إياهم على إخوانه المسلمين؟...

لا يمكننا أن نطلق الأحكام الشرعية هباء، أو نحوّل الشريعة الإسلامية إلى مجرد دين تبرير، لا دين تدبير وحكم وتوجيه للذمة في كل شؤونها في حالي السلم والحرب، لأن الإسلام يمنع ويحظر عدوان المسلم على أخيه المسلم مهما كانت الاعتبارات، ومهما بلغت الأسباب أو الدوافع، لأن سباب المسلم لأخيه المسلم فسوق، وقتاله كفر، كما علّمنا المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وعلى ذلك فلا يمكننا أن نتجاهل حقيقة أن العدوان يدفع بالدولة المعتدى عليها السعي إلى رد العدوان بكل ما تملك من قوة، فإذا تعذر هذا عليها، فلها الحق كل الحق أن تستعين بغير المسلمين إذا لم تجد في صفوف المسلمين القوة أو القدرة على رد أو ردع العدوان الموجه إلى ديارها، لأن الدولة





المعتدى عليها في هذه الحال تكون في حال ضرورة «والضرورات تبيح المحظورات» بناء على قاعدة: «الضرر يزال»، وقاعدة: «إذا دار الأمر بين محظورين، نرتكب أخف الضررين» فهل تلجأ الدولة للاستعانة بغير المسلمين في حال الضرورة لرد العدوان أم لا؟

إنها بلا ريب تملك هذا الحق في حدود ما يحقق لها ما يدفع عنها ضرر العدو إن كان مسلماً، لأن الإسلام لا يبرر هدم البيوت، واحتلال الأوطان، وتشريد الناس، والاعتداء على أعراضهم وأموالهم وتخريب بيوتهم، بل إعمال يد القتل والتشريد فيهم... بلا ذنب أو جريرة، بالمخالفة لحكم الشارع جل في علاه، قال تعالى: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) المائدة:٣٢. هذا هو حكم من قتل نفساً واحدة من المؤمنين، وهذا القاتل جزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه، ولعنه وأعد له عذاباً أليماً، والقرآن الكريم فيه من الآيات ما يؤكد هذا المعنى بقوة ووضوح، وبصورة لا تحتاج إلى تأويل أو مجرد تفسير بسيط.

وعلى ذلك فإن الاستعانة بالأميركيين لمقاتلة المعتدين على دولة الكويت، بعد استنفاد كل الطرق السلمية، والوساطات بل التدخلات الإسلامية والعربية، أمر تستلزمه حال الضرورة، لاستنقاذ شعب الكويت من براثن الطغاة.

والإنسان العادي قد يضطر إلى بتر جزء من جسمه لاستبقاء حياته، طالما أن الوباء السرطاني قد دمر هذا الجزء، ويهدد باقي الجسد بالفناء، ولذلك قالوا: «إن آخر الدواء الكي»، وفي زماننا آخر الدواء للعدوان على الكويت هو الردع، أو الكي بآلة القوة التي لا يفهم غيرها دكتاتور النظام المعتدي، فرعون العصر الحديث، بل مصاص الدماء الذي لم يرحم حتى أقرب أقربائه فغدر بهم وقتلهم بدم بارد.

لذا نحن نتعامل مع حال ضرورة، وإذا كان للمضطر أن يأكل الميتة في حال الجوع ليحفظ حياته هو فحسب، فما بالكم بحفظ حياة أمة إسلامية مسالمة.

إن الواجب علينا أن نلجأ لقوى الخير في العالم مهما كانت هويتهم أو عقيدتهم لندفع بهم عدوان المعتدي، وإن كان من المسلمين، لأن الإسلام لا يمكن أن يتخفى خلفه القتلة من المعتدين المجرمين، والعدوان هو العدوان، والرذيلة هي الرذيلة، فلا يوجد عدوان إسلامي ورذيلة غير إسلامي، ولا رذيلة إسلامية وغير إسلامية، لأن الإسلام هو دين العدل والفضيلة والقيم النبيلة، إنه دين الرحمة والمرحمة، تحيته سلام، وشعاره السلام، ودعوته كلها سلام، وجنته دار السلام، فأين السلام في ظل العدوان؟

لذلك نؤكد على مشروعية الاستعانة بالأميركيين لردع عدوان المعتدين وإن كانوا من المسلمين ●





فكـر

الإنسان والدين ومقوّمات الحياة السامية

بقلم: محمد حسن بدرالدين

دعت آيات القـــرآن المسلمين في وقت مـبكر إلى النظر في السـماوات والأرض والـنـبـــــات والمخلوقات باعتبارها آيات دالة على حكمة الله وعظمتـه، وداعيـة إلى تعظيمه سبحانه والخضوع له، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (قل انظروا مـاذا في السـمـاوات والأرض ومـا تُغني الآيات والنذر عن قـــوم لا يؤمنون) يونس:١٠١، وقـوله تعـالى: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الأنعام :٩٩، كـمـا أمـرت آيات أخـرى المسلمين بالسّير في الأرض والنظر في مـصـائر الأمم ونهاية الكافرين ومآلهم، كما حضّت على النظر في نظام الكون وظواهر الليل والنهـار والنوم والسحاب ونزول المطر، وكلّها تهدف إلى إيقاظ الحواس والتعامل الحيّ مع الطبيعة وإطلاق التفكير وملكات التعقل.

بل إنّ القرآن الكريم قدّم أفـقـاً جديداً في تناول مـصـادر المعـرفـة عندمـا نسب الوعي إلى الحـواس: (لنجـعلها لكم تذكرة وتعـيـهـا أذن واعـيـة) الحـاقـة:١٢، وهذا أمـر في غـايـة الرّوعـة والعـمـق، والعلوم المعرفية الحديثة في ميدان الدماغ والأعـصـاب تميل إلى تقـرير هذه الوحـدة العـضـوية عند تناولهـا الإنسـان في تمظهراته البيولوجية والنفسية والعقلية مجتمعة.

في الجـانب الآخر من منهج بناء العقل المسلم أشار القرآن إلى آيات ودلائل تستدعي إعمال التفكير مثل خلق الأزواج والنحل والعـــســل والجـبـال الممدودة وتعـاقب الليل والنهار، وأكـثـر من ضـرب الأمـثـال عن الحـيـاة وآثارها وقـصـص الأمم الغابرة وكفاح الأنبياء، وكلّ ذلك من أجل إثارة دوافع التفكير والتدبّر، بل إنّ الآيات حـذّرت من مغبة عدم استـعـمـال قدرات العقل: (ويجعلُ الرّجس على الذّين لا يعـــقـلـون) يونس:١٠٠.

وفي مـقـابل ذلك ورد لفظ الجـهل ومشتقّاته في القرآن الكريم أكثر من عشرين مـرّة، وباسـتـقـراء المواضع التي ورد فـيـهـا يتبين أنّه يُطلق على مـعـاني الضـلال وعدم المعرفـة، في مـقـابل الهُـدى والعلم، وهـو بهـذا الاعـتـبـار يمثل عـقـبـة تحـول دون وصول الإنسان إلى الحقّ والالتزام به، إلى جانب عقبات أخرى عدّها القـرآن من أهمّ الموانع التي تحـرم الإنسان من الفوز بالحـقـيـقـة مثل اتّبـاع الظنّ والتـقـليـد والخـضـوع لهوى النفس.

ومن المرجّح أن تحرّر الإنسان من هذه العـوائق يقـوم في البداية على مبدأ السّعي نحو المعرفة والبحث عن الحـقـيـقـة بعيداً عن كل الأوهام والظنون.

الموقف من الدّين وعوائق التواصل

كيف يبني الإنسان آراءه وأفكاره ويتخذ موقفاً من الدين ؟

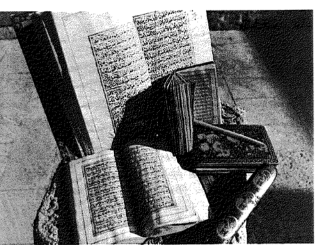
إن التكوين الذي يتلقاه في مرحلة النضج هو الذي يحـدّد هذا الموقف والذي يتّـخـذ طابع التلقين في أغلب الحـالات، سـواء أكـان مـعـارضـة أم تأييداً، ولكنّ هذه الأسانيد الوراثية لا أهمية لها من الناحية التأصيلية، لأنـهـا رهينة المحـيـط والمناخ الذي عاش فيـه وتلقى العلم، أو خـاضـعـة



لتأثيرالأشخاص الذين تفاعل معهم، ولكنّ المفكرين والمثقفين الواعين والمستنيرين رغم أنهم يبنون أيضاً آراءهم من خلال ذلك المناخ، إلاّ أنّهم سرعان ما يتجاوزونه إلى مستوى أرقى: هو مستوى النقد والدعم الفكري، وعلى الأغلب يكتفي الإنسان في مسار حياته العلمية بتقوية موقفه وتأييده بكتابات وآراء تظل دوماً تصبّ في الاتجاه عينه لخدمة الموقف الأول. وحتّى إذا ما وجد دليلاً أو رأياً مخالفاً لموقفه فإنّه لا يتوقّف عنده بالبحث، بل يضيع في خضمّ الأفكار والآراء الأخرى التي تشكّل موقفه الأول، وهذا عمل نفسي يريح الإنسان نفسياً وعقلياً، والقلائل هم الذين يعرّضون تكوينهم الكامل للنقد والتضحية وراء البحث عن حقائق جديدة ومخالفة، فلدى الإنسان استعداد دائم لعدم التخلّي عن أفكاره ومعتقداته حتى ولو رأى براهين وحججاً دامغةً.

والقارئ للقرآن الكريم يكتشف أنّه يقبل معارضة الدّين إذا كانت مبنيّة على الحجج والبراهين، بل يقبل التشكيك في الإيمان ذاته إذا كان للإنسان براهين وبيّنات، كما يرفض بشدّة الهوى والتسيّب والظنّ، فهل استعدّ المعارض للدّين يوماً ليتقبّل ما عند المؤيدين وسماع حجج مخالفيه؟.

لقد اعتمد القرآن الكريم الطريقين في حواره مع أهل الأديان والأفكار، وحاجّهم واستمع إليهم وردّ عليهم وأفحمهم بالحجة. وإذا كان المقصود بالدين هو أي دين إلا أن الإسلام باعتباره آخر الأديان وأقواها هو المرشّح الأوّل للحوار، لأنّ ما سواه تعرّض للتحريف بشهادة أصحابه. فما هي النقاط الأساسية التي يطرحها الإسلام ويجعلها قضية جوهرية لكلّ إنسان؟ إن هناك حداً أدنى ينبغي العلم به لاتخاذ الحكم، أما التخصّص فهو لأهله. وهذا الحدّ الأدنى يتضمّن الإيمان بالله تعالى خالقاً، وأنّه أرسل الرسل للهداية، وأنّه يدعو للإيمان بذلك، والاستقامة على طريق يراه الأصلح للإنسان لأنه أدرى بشؤون البشر، وأنّ



الحياة مرحلة تكليف، تعقبها مرحلة للجزاء والخلود. هذه الأمور لم يعرضها الدّين من دون حجج وبيانات بل أقام عليها البراهين الكثيرة وهي الحجج العقلية والعلمية والتاريخية، ولكنه يرى أن الاستفادة لا تتحقق من دون الاستعداد لطلب الحق: (ويهدي إليه من أناب) الرعد:٢٧.

والوحي هو مرجعية هذا الحق تُؤخذ منه الحقائق المعروضة للإيمان والتصديق، وهي ترجع باختصار إلى أصلين هما القرآن الكريم والسنة الثابتة، ولكن التعصّب أو معاداة فكرة معينة تجعل الناس في حالات كثيرة يرفضون الحق والصواب عناداً وجدلاً أو غروراً ومكابرة، وهؤلاء لا ينفع معهم العلم إلا إذا تخلّوا عن غرورهم. والبحث في سيكولوجية المعرفة يقودنا إلى قاعدة اعتبرها القرآن أساسية وهي أن العوائق كلّها نفسية تنبع من الداخل. قال تعالى: (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١، وقد يكون التقليد واتّباع السائد من أخطر العوائق في طريق المعرفة الصحيحة، يقول الدكتور المهدي المنجرة: «فيما يتعلق بموضوع التربية فإننا لم نحتفظ بالتربية التقليدية ولم نحقق نماذج تربوية صالحة وجديدة، لأن النماذج المستعملة اليوم مستوردة تعتمد التقليد». وقد رأى محمد الغزالي ويوسف القرضاوي وعمر عبيد حسنة وجودت سعيد، وغيرهم من العلماء المسلمين أن المشكلات الحقيقية في العالم الإسلامي تنبع من البناء الذاتي وليس الخارجي وأنّ الإصلاح تربوي بالأساس، أي أن أطاريحهم تتجه إلى تغيير النفس وتكوين الإنسان، وتهتم بالأمور المعنوية وتعتبرها الأساس في حركية المجتمع والتاريخ، في مقابل الأطاريح المادية التي تقلّل من هذه الجوانب وتضخّم أدوار الاقتصاد أو الاجتماع مثلاً، والتي يقول عنها مالك بن نبي: «ليس لها نظرية محددة لا في أهدافها ولا في وسائلها، وسبيلها الوحيد هو أن تجعل من المسلم زبوناً مقلّداً دون أصالة لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر مما تفتح أبواب مدارسها، مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل استخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم».

مظاهر الصراع والجدل بسبب الموقف من الدين:

يحمل كثير من الناس تصوّراً غامضاً عندما تُذكر كلمة الدّين فهم تحت وطأة المشاغل الحياتية لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث في هذا الموضوع ولذلك فتصوّرهم ناشىء بالضرورة عن الصور المعيشية والممارسات الاجتماعية التي عاشوا في ظلها. وهم إذ يستأنسون بتلك المفاهيم والمقولات، يتناسون حقيقة خطيرة، وهي أن التخلّف عندما يصيب أمّة تتعرّض جميع الممارسات والأفكار إلى أباطيل وأوهام، فكيف يثقون إذن بما لديهم من معرفة موهومة؟

إن الإسلام يقدّم نفسه على أنّه دعوة إلهية لا يمكن التسليم بها إلا عن اقتناع وبرهان ولذلك فهو شديد الإلحاح على ضرورة استعمال العقل والحجة في قضايا العقيدة والدين، لما يترتب عليهما من تبعات خطرة في حياة الإنسان ومصيره

إن بعض آيات القرآن الكريم لا تقبل الاحتكام إلى غير سلطة العقل أو البرهان في قبول الدعوى ولو كانت كفراً: من ذلك مثلاً قوله تعالى: (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) الأنبياء:٢٤، وقوله تعالى: (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه) المؤمنون:١١٧.

شروط أخرى للحوار

إن الدّين بوصفه قيمة غيبية في بعض جوانبه وظاهرة اجتماعية في جانب آخر، لم يتعرض للتشكيك والإلغاء على نطاق واسع وباسم العلم والعقل والتقدم ومسميات أخرى، إلاّ في رحم الممارسة الغربية. وأكثر الناس يميلون إلى الاعتقاد بواقعية الدين الغيبية وفوائده الاجتماعية، ولذلك يذكر علماء التاريخ والأجناس أنّه لم توجد أمة في التاريخ من دون دين مطلقاً . وفي حياتنا اليومية كثير من مظاهر الصراع والجدل الثقافي هي في صميمها وجوهرها بسبب الموقف من الدين وقد اتخذت سبلاً متباينة من أجل تحقيق الغلبة لهذا الموقف دفاعاً أو هجوماً، فهي تارة حوار فكري هادىء في الندوات والمحاضرات وهي في موقع آخر صراع على مستوى وسائل الإعلام

تسرب موجة الشك في الدين على نطاق واسع بدأت مع الاحتكاك بثقافة الغرب

والتوجيه المتنوعة، وقد وصل إلى التلفزيون عن طريق المسلسلات والمقابلات. وفي هذا الصراع يحاول كل فريق كسب المعركة لصالح الرأي الذي يدافع عنه، إلى أن أصبح هذا التضارب في وجهات النظر أمراً أليفاً في حياتنا الثقافية. ورغم أن الحوار في حد ذاته مطلب زكّاه القرآن ودعا إليه في جميع آياته إلا أنّه نبّه إلى خطر الجدل المذموم الذي لا يهدف إلى البحث والمعرفة و نشدان الحق بل يبغي المغالبة والعناد وإظهار الذات.

يصف القرآن هذا الجدل بأنه منافٍ لكمال العقل لأنه يُستعمل في ذاته غاية: (ما ضربوه لك إلاّ جدلاً) الزخرف:٥٨، وبأنه نابع من غرور ملام وحقد دفين لا يطلب علماً أو استفادة وإنّما مهاترة وتشويشاً متعمّداً: (إنّ الذّين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) غافر:٥٦.

أسباب الصدمة

إن تسرّب موجة الشك في الدين على نطاق واسع بدأت مع الاحتكاك بثقافة الغرب المسيطرة ولا يعني هذا أنها كانت معدومة قبل ذلك وإنما اقتصرت على حالات معدودة ممثّلة في حركة الزندقة أو الشعوبية التي تراءت دفاعاً ضد الثقافة القومية التي أبداها بعض الأفراد من الأمم التي ذابت في تيار الحضارة الإسلامية العام، ولكن روح الأمة وكيانها الاجتماعي جميعهما كانا يقومان على الدين ومقتضياته.

ولكن القوّة الحضارية الغربية ممثلة في أسلحتها الفتاكة وثقافتها الجديدة المهيمنة استطاعت أن تزعزع عناصر الثقة في نفوس قطاعات عريضة من الأمة وتصنع حالة من الصدمة والحيرة قد ترجع في تقديرغالب إلى ثلاثة أسباب هي:

١ ـ انهيار الوعي الديني الصحيح وإغراق المجتمعات الإسلامية في الانحطاط والجمود والجهل.

٢ ـ بريق التفوق المادي والاحتلال العسكري الذي نجح في زرع مفاهيم جديدة تماماً على الوعي الإسلامي الساكن.

نبه القرآن إلى خطر الجدل المذموم الذي لا يهدف إلى البحث والمعرفة و نشدان الحق

٣ ـ تلاشي أنماط المعيشة وتدفق غرائز الاستهلاك تحت تأثير غزو الأسواق بالبضائع والوسائل الحضارية المتنوعة التي تجعل الفرد المسلم يركض وراء الحصول عليها طيلة حياته، وبعبارة أخرى نشر الديانة الاستهلاكية الجديدة التي أخضعت الناس لطقوسها وبدّلت في مفاهيم الاقتناء والملكية والاقتصاد.

وقد مثلت هذه العوامل مجتمعة، تحديات رهيبة للعقل المسلم وضميره وطرائق حياته. ولا يمكن أن يفرح المسلم بهذا الوضع إلا إذا كان فارغاً، ولا يمكن أن يشعر بالانسجام والولاء مع منظومة القيم السائدة إلا إذا بُذلت جهود عظيمة على المستويات الاجتماعية والثقافية من أجل إعادة تشكيل العقل المسلم وبنائه البناء الإسلامي الصحيح وإصلاح مجالات الحياة العديدة التي أغرقتها سيول الحضارة الحديثة في فوضى عارمة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بعمل جماعي رشيد يأخذ بأسباب الحضارة والعلم ويتميز في الوقت عينه بمنظومة قيم أصيلة تنبع من الميراث الحضاري الإسلامي وخصوصيات الثقافة الذاتية.

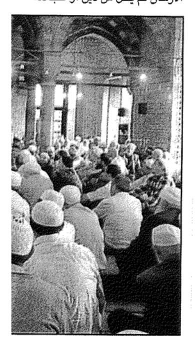
الدّين في عصر العلم ضرورة أخلاقية واجتماعية

ورد مصطلح اللعب في القرآن الكريم مقترناً بتحديد مفهوم الحياة الدنيا وتصوير موقف المكذبين من الدين والحياة، وهذا الاقتران له أبعاد فكرية دقيقة ومترابطة ؛ منها أنّ القرآن الكريم عندما يصوّر الحياة الدنيا بكونها لعباً ولهواً وزينة لا يقصد من وراء ذلك الحطّ من قيمة الحياة التي اعتبرها دار ابتلاء وعمل، وإنّما التأكيد على موقف معظم الناس الذين يتخذونها لعباً وزينة.

ولذلك قرنت معظم الآيات التي تناولت هذه المسألة بين موقف البشر من الدنيا وموقفهم من الدين أيضاً، فهم ينظرون إلى الدين بالمنظار عينه، ولذلك يقول القرآن الكريم: (الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا) الأعراف:٥١، وفي موقع آخر يقول: (وذرالذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا)الأنعام:٧٠، نلاحظ أن القرآن الكريم عطف في الآية الأولى اللعب على اللهو وفي الآية الثانية جاء العطف معكوساً ولكن المتعلق واحد وهو الدين، وهذا المصطلح ورد ذكره في القرآن أكثر من ستين مرة أما مصطلح الدنيا فقد ورد أكثر من مئة مرة ويذهب علماء اللغة والتفسير إلى أن لفظ الدين مشتق من الدينونة بمعنى العقيدة من دان يدين بالشيء أي اعتقد به وبهذا الاعتبار فإنّ الدّين هو الاسلام لأنه يضم مجموعة من العقائد منها ما يتعلق بالسلوك ومنها ما يتعلق بالفكر، وآيات القرآن الكريم كما هو معلوم تنقسم وفق ذلك إلى آيات تتعلق بالسلوك وتسمى الأحكام أي تقويم الأعمال والحكم عليها من خلال أقسام الحكم الشرعي المعلومة وهي: الواجب والمحرّم والمباح والمكروه والمندوب. وهناك ما يتعلق بتقويم الفكر وهو العقيدة من حيث كونها نظراً في الكون وتأملاً في مخلوقات الله تعالى ووصولاً إلى الاقتناع بوجوده سبحانه والاعتقاد في ألوهيته وربوبيته. ومن لطائف القرآن أنّه رغم تعدّد وجوه إعجاز أساليبه المبرهنة على قدرة الله في الخلق والتدبيروالجلال لم يستعمل الآيات للبرهنة على الوجود الإلهي نفسه لأنّه لا يحتاج إلى دليل: (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) إبراهيم:١٠، على أنّ مصطلح الشك نفسه الذي ورد ذكره في القرآن خمس عشرة مرة يستخدمه القرآن الكريم في صيغة النكرة دائماً للدلالة على أنه مجرّد شك غير منهجي ويقرنه بموقف المكذبين بالدين والدنيا أيضاً، ولهذا السبب يربط ربطاً أخّاذاً بين الشك واللعب: (بل هم في شكّ يلعبون) الدخان:٩.

ويرى بعض العلماء أن الدين مشتق من حيث الأصل من العادة: فدان بالشيء اعتاد عليه وهذا تخريج طريف وعميق لأنه يتصل بتاريخ الإنسان. إذ هناك صلة وثيقة بين العادة والعقيدة لأن الإنسان عندما يعتقد بشيء ويعتاد عليه يصبح مألوفاً ومعتاداً فيدخل في معتقداته، لكن الإسلام يرفض هذا المسلك ويريد من معتنقيه أن يسلموا به عن طريق الاقتناع والتدبر لا عن طريق العادة والإلف. يقول القرآن ناعياً على بعض الناس منهج الخضوع للعادات والتقاليد: (وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) البقرة:١٧٠.

على أن ربط الدين بالعادة كما يرى بعض العلماء مسلك يراد منه البحث في مصدر الدين وتاريخه باعتبار أن تاريخ المجتمعات عبر الأزمان لم يخل من دين أو عبادة،



فقد نجد مجتمعاً ليس فيه مدارس أو مستشفيات أو معاهد ولكن لم يوجد أبداً مجتمع بلا دين أو عبادة والسبب في ذلك أن التفلسف في أصل الكون و مصيره واتخاذ معبود من الأمور الضرورية والطبيعية في فكر الإنسان وسلوكه، وقديماً قال الفيلسوف «ارسطاليس»: «إنّ أصل التفلسف هو الدهشة» بمعنى أنّ الإنسان يتطلع دوماً إلى البحث فيما وراء الطبيعة ويتساءل عن طبيعة الكون ووجوده ومصيره وهذه الاسئلة تتجسم في عقيدة ودين ولذلك ارتبط الدين دائماً بالفلسفة والتطلع الروحي وبالتالي بأصل عادات الإنسان وما ألفه من نظم عقدية وتعبديّة.

وعلى العموم منذ أن يولد الإنسان تولد معه الحاجة إلى الدين يعني أنه لا بد من دين يشبع تطلعاته ويجيب عن أسئلته ومشاغله الفكرية والوجودية، فالدين من هذه الناحية ضرورة عقلية ومنطقية.

فهل هناك ضرورة ثانية للدين جعلت منه لازمة من لوازم الوجود البشري؟ نعم إنها الضرورة الأخلاقية والقانونية.

الضرورة الأخلاقية والقانونية للدّين:

إلى جانب الضرورة العقلية التي تملأ الفراغ الروحي وتريح الإنسان من عناء البحث الوجودي وتجعله يشعر بالاطمئنان والاستقرار النفسي توجد قاعدة أخرى تجعل الإنسان في أمسّ الحاجة إلى الدين وربما تكون في درجة الأهمية عينها مع القاعدة الأولى لأنها تتعلق بالنواحي العملية في حياته، فالإنسان يعيش في مجتمع محكوم بالقوانين ولكن هذه القوانين لا تقدر أن تحل مشكلاته، وسائل الضبط والأمن موجودة ولكنها لا تقدر أن تمنع الجرائم والسرقات وصور العدوان التي تجعل أفراد المجتمع يعيشون في خوف ورعب، وجميع الناس يشتكون باستمرار من الغش والظلم والفساد الاجتماعي رغم وجود القوانين والمحاكم والشرطة والسجون، ولا يمكن لأي دولة مهما كانت قوتها أن تمنع حدوث الجرائم والسرقات إذ لا يمكنها أن تضع على رأس كل واحد رجل أمن وفي كل بيت رجل شرطة، وقد كان يُظنّ أن العلم والتعليم ونشر الثقافة على نطاق واسع ستكون قادرة على منع

الوازع الديني يضبط سلوك الإنسان بصفة مطلقة في حالة ظهور القانون أو غيابه

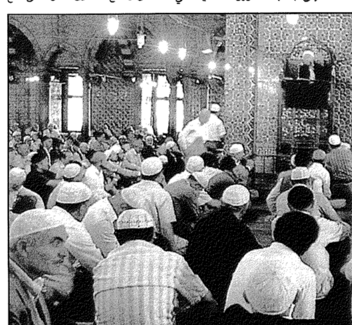
الجرائم والتعدّي وإزالة كل مظاهر الخداع والمكر والجور، ولكن ذلك تراءى سراباً بعيد المنال ولذلك نجد أن أكثر البلدان والدول علماً وتقدماً أكثر الدول إجراماً وتعدّياً، فقد تزامن العلم والتعليم مع انتشار القتل والنهب وعصابات السرقة وتجار المخدرات، وهذا كله يفسّر لنا لماذا يعتبر الدين ضرورة أخلاقية واجتماعية، فهو وحده الذي يضبط سلوك الإنسان وهو وحده الذي يمنع الجرائم بمختلف أنواعها. ولو كانت المجتمعات التي تنتشر فيها هذه الجرائم تملك ديناً حقاً لكان كفيلاً بمنعها والقضاء عليها بسبب تهذيبه للسلوك الإنساني وسيطرته على غرائز الإنسان، فهو بهذا الاعتبار أكبر رادع نفسي وزاجر قاطع، ولكن مع الأسف فإن الدول والشعوب المثقفة والمتقدّمة أيضاً الإجرام فيها معمّق ومتجذّر أكثر من الدول البدائية، ومع ذلك لا تريد الاعتراف بأهمية الدين في القضاء على الإجرام والفساد، وتعتبر ذلك ضريبة طبيعية للتقدم وأن الدين لم يعد صالحاً للعصور المتقدمة مادياً ومعرفياً، والحق أن العلم لا يستطيع أن يسيطر على سلوك الإنسان ويهيمن على مشاعره لتوجيهها نحو الفضائل وهذا ما فطن إليه العالم «أنشتين»، الذي قال: «العلم بلا دين أعمى» ويؤثر عن الفيلسوف الفرنسي «رابلى» أنه كان يقول في هذا المجال: «علم بلا ضمير هلاك للروح».

الدين وحتمية الضبط الاجتماعي

إن القوانين التي يضعها البشر من أجل تحقيق النظام والأمن يمكن أن تضبط سلوك الإنسان في الظاهر لكنها تعجز أن تحقق ذلك في الباطن وبمعنى آخر فإن القانوق يمنع الإنسان من التلبس بالجريمة ظاهرياً ويعاقبه عليها بالفعل ولكن من يمنع الإنسان من التفكير في الجريمة وارتكابها عند غياب القانون، وعندما لا يكون مراقباً من أحد؟ إنه لا يمكن أن يحقق ذلك غير الدين الذي ينبعث من داخل الإنسان، والدليل على ذلك أنّ أكبر نسب الجرائم المنتشرة في العالم إنّما ارتكبت مخالفة للقانون أو تحايلاً عليه، فوجود القانون واحترام الناس له في الظاهر لا يمنع الجريمة، وإنّما يمنعها الوازع الديني الذي يضبط سلوك الإنسان بصفة مطلقة في حالة ظهور القانون أو غيابه.

وقد تمثل المسلمون الأوائل هذه الروح وطبقوها أحسن تطبيق فقد حدث أنّ الفاروق عمر رضي الله عنه التقى هو وصحابته الكرام خارج المدينة بأحد رعاة الغنم فأراد اختباره ورغب إليه أن يذبح لهم شاة فقال: إن الأغنام ليست ملكاً لي فقال له الفاروق: نعطيك عليه أجراً عظيماً وإن صاحبها لن يراك فقال: إن كان صاحب الأغنام لا يراني فإن الله يراني، ومن مظاهر تحقيق هذا اللون من المراقبة الذاتية والخوف من الله ما يؤثر عن أحد الجنود في معركة القادسية فقد وقعت يده على أحد كنوز حاكم الفرس يزدجرد الثالث، فما كان منه إلاّ أن قدمها لقائده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ولم يشأ أن يعرّف بنفسه أو اسمه لأنه يريد لعمله أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

وهكذا فإن جميع مظاهر المراقبة الأمنية ومستويات الرقي المادي والتوعية الفكرية ليست كافية لمنع الجريمة ونشر الأمان في أي مجتمع من دون تحقق العقيدة الإيمانية الخالصة التي تؤمن بالله واليوم الآخر والجزاء والعمل الصالح كما جاء في مثل قوله تعالى: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة:٦٢.





فكـــر

هل تجنبت أمتنا منزلقات الأمم السابقة؟

بقلم: غازي التوبة . altawbah@al-ommah.org

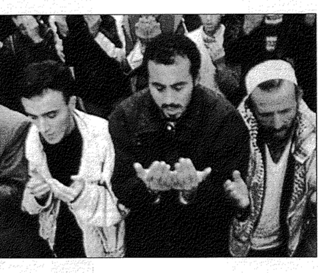


كان التوحيد أبرز حقيقة دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أثار استغراب المشركين واستنكارهم لذلك قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عُجاب) ص:٥، وتذكر الروايات أنه لما نزلت آية (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة:١٦٣، تساءل المشركون: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة:١٦٤، وبيَّن الله لهم في هذه الآية أن هذه الظواهر الكونية على اختلافها وتنوعها وكثرتها لا تناقض بينها ولا تصادم مما يدل على الله الواحد الأحد الذي يجمع بينها ويصرِّفها ويسيِّرها، وهذا يحتاج إلى تدبُّر وتعقُّل، ويحتاج إلى قوم يستخدمون عقولهم استخداماً صحيحاً وسليماً، واستكملت المصادر الإسلامية من قرآن وسنة عرض حقيقة التوحيد، ففصلت عن صفات الله وأسمائه وأفعاله، ومَن الذين يحبهم الله ومَن الذين يبغضهم الله، وكيف يمكن للعبد أن يستجلب رضوان الله تعالى، وكيف يمكن أن يتجنب غضبه سبحانه وتعالى... إلخ، كما وضَّحت ـ تلك المصادر ـ بشكل جليّ أن العلاقة بين الإنسان وبين الله، هي علاقة عبودية وليست شيئاً غير ذلك، قال تعالى: (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز) فاطر:١٥-١٧، وإذا أراد الإنسان أن يحوز على رضا الله فعليه أن يعبِّد ذاته إلى الله، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الإسراء:٢٣، وقال أيضاً: (الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصِّلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير) هود: ١ ـ ٢، وقال تعالى أيضاً: (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب) الرعد:٣٦، وقد حقق الرسول صلى الله عليه وسلم هذه العبودية خير تحقيق، لذلك نعته القرآن الكريم في رحلة الإسراء والمعراج بـ«عبده» فقال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء:١، وعندما يعبِّد الإنسان ذاته لله تعالى يكون منسجماً مع الكون المحيط به، إذ تعبد المخلوقات الموجودة فيه الله، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه العبادة بالتسبيح فقال تعالى: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الإسراء:٤٤، وعبَّر القرآن الكريم عن هذه العبادة بالسجود أيضاً فقال تعالى: (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) الرعد:١٥، كما عبَّر القرآن الكريم عن ذلك باستسلام المخلوقات طوعاً وكرهاً فقال تعالى: (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) آل عمران:٨٣، كما بيَّن القرآن الكريم خضوع السماء والأرض لله وطاعتهما له فقال تعالى: (ثمَّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت:١١، كما وضَّح القرآن الكريم خضوع المخلوقات غير العاقلة لله تعالى فقال تعالى: (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) النحل:٤٩، ووضَّح القرآن الكريم أن الدعوة إلى التوحيد كانت رسالة الأنبياء السابقين إلى أممهم فقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل:٣٦.

يجد الدارس لمسيرة الأمة الإسلامية انتشار التصوف بشكل كبير في مختلف مناطقها، ويجد ترويج التصوف لهاتين الفكرتين

ألغى الإسلام الوساطة بين الله وبين عباده لذلك دعا القرآن الكريم العباد إلى دعاء الله مباشرة دون وساطة، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا

دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة:١٨٦، كما أمر الله العباد بدعائه سبحانه وتعالى فقال: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) غافر:٦٠، لذلك نعى القرآن الكريم على المشركين توسيطهم الأصنام إلى الله مع ادعائهم عدم عبادتهم لها فقال: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) الزمر:٣، لذلك رفض وجود طبقة لرجال الدين، ويكون بذلك قد منع أي جهة أو شخص من ممارسة دور بين العبد وربّه.



ولما كان التوحيد هو الأصل الأبرز الذي دعا إليه الإسلام، كان الشرك هو الذنب الأبرز الذي حذَّر منه فقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء:١١٦، وبيَّن عدم استقامة دعوى الشرك، ومثَّل على ذلك باستحالة انتظام الكون في حال وجود أكثر من إله فقال تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء:٢٢، وقال أيضاً: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون:٩١، لم يكتف الإسلام بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، بل دعم ذلك بعرض التجارب التاريخية للأمم السابقة، فبيَّن أبرز الأخطاء التي وقعت فيها، وكانت المسيحية أقربها عهداً ومكاناً بالمسلمين، لذلك نعى القرآن الكريم على النصارى غلوّهم في المسيح - عليه السلام - وتأليههم إياه فقال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عمَّا يقولون ليمسَّن الذين كفروا منهم عذاب أليم) المائدة:٧٣، وقال أيضاً: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) المائدة:١٧، وبيَّن أن تأليه المسيح ناتج من اتباع ضلالات قديمة فقال تعالى: (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) المائدة:٧٧، ثم لفت القرآن الكريم الأنظار إلى تناول عيسى وأمه الطعام فقال تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) المائدة:٧٥، وقد ذكرت آيات متعددة أن المسيح وصف نفسه بعبد الله سواء عند ولادته أو في كبره، قال تعالى: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) مريم:٣٠، وسينفي يوم القيامة أن يكون قد طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، قال تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) المائدة:١١٦، وقد أجرى القرآن الكريم ذلك النقد الواسع من مختلف الجوانب لقولة حلول الله في المسيح لكي يحصّن الأمة الإسلامية من أن تقع في الخطأ نفسه الذي وقعت فيه الأمم السابقة، والسؤال الذي يرد الآن: هل استطاعت الأمة الإسلامية أن تتجنب المنزلقين السابقين اللذين وقعت فيهما الأمم السابقة وهما: عدم قبول فكرة حلول الله في العبد، أو الكون، وعدم توسيط أحد بين العبد وبين الله؟

ألغى الإسلام الوساطة بين الله وبين عباده لذلك دعا القرآن الكريم العباد إلى دعاء الله مباشرة دون وساطة

يجد الدارس لمسيرة الأمة الإسلامية انتشار التصوف بشكل كبير في مختلف مناطقها، ويجد ترويج بعض التصوف المنحرف لهاتين الفكرتين، فقد استهدف هذا التصوف من المجاهدات الكثيرة التي يؤديها المتصوف إلى أن تجعل العبد يتحد بالله أو أن تجعل الله يحل بالعبد أو أن يكتشف المتصوف وحدة الوجود، وقام مشايخ التصوف بدور الوساطة بين العبد وربه إذ ألزموا المتصوف باتباع الشيخ ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان، وألزموه بالاستسلام له كما يكون الميت بين يدي المغسّل، وعظّموا مشايخهم واعتقدوا أن لهم تأثيراً في الأسباب، وأقاموا عليهم الأضرحة والمشاهد، واتخذوهم وسطاء إلى دعاء الله، فما السبب الذي جعل هذه الأمور تروج في الأمة الإسلامية مع كل الحقائق التي أبرزها الدين الإسلامي حول مبادئ العلاقة بين المسلم والله وأنها علاقة عبودية وحول عدم قبول أي وساطة بين العبد وبين الله؟ السبب في ذلك، أمور عدة:

الأول: اتباع التصوف أسلوب الإسرار، وإخفاء الجوانب المتعلقة بحلول الله في العبد، وعدم الإعلان عنها في عرضه لآرائه وأهدافه وحقيقة وجهات نظره، وأحلوا دم من أباح هذه الأسرار.

الثاني: الجفاف الذي عرفته كتب العقيدة المتأخرة في قواعد العقيدة الإسلامية من مثل: شرح العقائد النسفية للتفتازاني، وشرح جوهرة التوحيد للباجوري، وشرح العقائد العضدية... إلخ، فركزت تلك الكتب على الجوانب العقلية في العقيدة وعلى الرد على الفرق الأخرى دون إبراز الجانب المعنوي والنفسي في العقيدة والذي يتحدث عن حب الله والخوف منه وتعظيمه... إلخ.

الثالث: إغفال كتب العقائد المتأخرة الحديث عن الشرك وصوره وأنواعه، فلو تصفحنا أي كتاب فيها لا نجد فيها شيئاً من ذلك مع أن القرآن عندما دعا إلى التوحيد حذَّر من الشرك بالمقدار عينه.

الرابع: اقتصار كتب الفقه على صورة العبادة وإطارها من ركوع وسجود وقيام وقراءة... إلخ، دون الحديث عن الجوانب النفسية والمعنوية فيها من مثل الاطمئنان والخشوع والتعظيم والرجاء والإخبات... إلخ

أدرك الغزالي هذا النقص في ساحة العقائد والفقه فملأه بكتاب «إحياء علوم الدين»، ولكن ملأه لصالح التصوف، لذلك كان الكتاب المذكور سابقاً أكثر الكتب رواجاً خلال القرون السابقة لأنه عالج وجعاً، وسد فراغاً ●



طــب وعلــوم

الأمن المطلوب للخريطة الجينية

بقلم: أ.د.عبدالفتاح محمود إدريس. أستاذ الفقه المقارن. بجامعتي الأزهر والإمارات والجامعة الأميركية المفتوحة

التقدم العلمي في زماننا يسير بخطى واسعة واثقة في شتى مناحي الحياة، سواء في الزراعة، أو الصناعة، أو الإعلام، أو التجارة، أو العلم، أو الطب، أو ارتياد الفضاء، أو غيرها من مجالات، ولعل أبرز الاكتشافات العلمية التي اختتم بها العلماء القرن الماضي، والتي أسفر عنها التقدم العلمي في مجال الهندسة الوراثية، هو البدء في فك الشفرة الوراثية للإنسان، ومحاولة التوصل إلى رسم خريطة جينية لكل آدمي.

ومن الجدير بالذكر أن محاولات التعرف إلى المجين «الجينوم» البشري، بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي، حيث اكتشف في سنة ١٩٥٢م أن الحمض النووي الريبي المنزوع الأكسجين (Deoxyribo Nucleic Acid)، الذي يرمز له بالأحرف (DNA)، هو المادة الوراثية الحاملة لكل المعلومات الوراثية، وفي سنة ١٩٥٣م اقترح العالمان «واتسون» و«كريك» تكوين الحمض النووي الريبي المنزوع الأكسجين (DNA) على هيئة حلزون مزدوج، وفي سنة ١٩٥٨م تم التوصل إلى التكرار النصف احتفاظي لهذا الحمض، وفي سنة ١٩٦٨م أمكن ربط جزيئات هذا الحمض باستعمال إنزيم «الليغاز»، وفي سنة ١٩٧٠م، تمكن العلماء من إظهار إنزيم النسخ العكسي، كمحول للحمض النووي الريبي إلى نووي ريبي منزوع الأكسجين، وفي سنة ١٩٧٣م، تم بناء جزيئات مهجنة من الحمض النووي (DNA)، وفي سنة ١٩٧٧م وضعت التقنيات العلمية لتحديد توالي هذا الحمض في الخلية، وفي سنة ١٩٨٥م، حدث التفاعل المتسلسل «للبوليمراز»، وهي التقنية المستخدمة لتضخيم الجينات.

وفي سنة ١٩٨٦م بدأ مشروع المجين «الجينوم»





البشري، والشروع في تحديد توالي هذا المجين بأكمله، حيث نودي في الولايات المتحدة الأميركية في الثمانينيات من القرن الماضي، بأن تتولى الدولة مشروعاً عالمياً لتحديد تتابع القواعد في المجين البشري، الذي يحتوي على ثلاثة بلايين قاعدة تقريباً، يتكلف تحديدها ثلاثة بلايين دولاراً، ويتطلب حشداً من المتخصصين في هذا المجال، وتخصيص مختبرات كثيرة غاية في الدقة والتقدم، وقصرها على إنجاز هذا العمل لعدة سنوات، ويعد هذا المشروع أضخم مشروع بيولوجي عرفته البشرية في القرن الماضي، وقد شرع في تنفيذ أجزاء منه سنة ١٩٨٩م، وتم توزيع تكاليف إنجازه على بعض الدول الغربية، حيث خصصت له أميركا أربعة مليارات من الدولارات، وخصصت له فرنسا أربعة مليارات من الفرنكات، ويأمل المشاركون في هذا المشروع أن يتمكنوا من حل رموز الشفرة الوراثية لهذا المجين مع حلول سنة ٢٠٠٥م، ويهدف هذا المشروع إلى تحقيق أمور عدة، منها: وضع الخرائط الوراثية والشكلية لكل كروموسوم في الخلية البشرية على حدة، والبحث عن مؤشرات وراثية جديدة، وتحسين وسائل التجديد الآلي لتوالي الحمض النووي الريبي المنزوع الأكسجين (DNA)(١).

وقد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى مما يتوقعه العلماء القائمون على إنجاز هذا المشروع، إذ تظلنا سنة ٢٠٠٣م، وحسب ما أمله هؤلاء العلماء لم يبق إلا سنة وبضع الأخرى، للإعلان عن إتمام فك رموز الشفرة الوراثية للمجين البشري، وقد يبدو الأمر طبيعياً لكثير من الناس حيال اكتشاف هذا المجين أو حتى عدم اكتشافه، ولكن الأيام والليالي حبالى يلدن كل جديد، فمن المتصور بعد إتمام هذا المشروع، وتعميم تقنيته على دول العالم، أن يطلب من كثير من الناس تقديم شهادة بخرائطهم الجينية، إذا أرادوا العمل في بلد أو جهة معينة، أو رغبوا في الهجرة إلى بلد معين، على غرار شهادات الفحوص الطبية والمعملية، التي يطلب من الراغبين في العمل تقديمها إلى البلاد أو الجهات التي يريدون العمل بها، أو التي تطلب من راغبي الهجرة تقديمها إلى البلاد التي يريدون الهجرة إليها، وأن يطلب مثل ذلك من طالبي العلم عند الالتحاق بالمؤسسات التعليمية، وأن يطلب ذلك ممن يريدون إنشاء مشروعات خاصة: زراعية أو صناعية أو زراعية، أو تجارية أو حرفية أو غيرها، وأن تطلبها شركات التأمين التجاري من طالبي التأمين على حياتهم، «وإن حظرت الشريعة الإسلامية هذا النوع من التأمين»، وأن يطلب من مريدي الزواج ذكوراً كانوا أو إناثاً إجراء مثل هذا الفحص الجيني، لوقوف كل طرف على الخريطة الجينية للطرف الآخر قبل إبرام العقد، فيقدم على الزواج منه أو يعرض، على غرار الفحوص الطبية التي تجرى لمن يقدم على الزواج من الجنسين في كثير من البلاد، وأن تطلب هذه الخريطة الجينية ممن يرغبون في الاستشفاء من الأمراض، أو إجراء عملية جراحية لهم، أو استبدال بعض أعضائهم التالفة بغيرها بطريق الزرع أو النقل، أسوة بما يجري لهؤلاء من فحوص طبية قبل العلاج أو الزرع أو النقل، وأن يطلب ذلك ممن يرغبون في الإخصاب الصناعي الخارجي، لتوقي الأمراض والتشوهات الوراثية التي قد تنتقل من الوالدين إلى الجنين الناشئ عن لقيحتهما، إلى غير ذلك من مجالات قد تطلب فيها هذه الخريطة الجينية.

المجين الجينوم البشري يتكون من جينات تبلغ عدتها فيه مئة ألف أجين تقريبا لا يعرف منها إلا نسبة ضئيلة

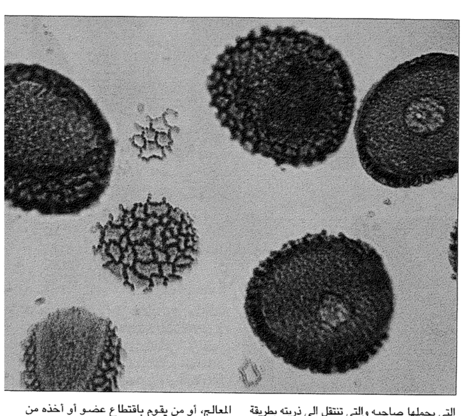
والمجين «الجينوم» البشري يتكون من جينات، تبلغ عدتها فيه مئة ألف أجين تقريباً، لا يعرف منها إلا نسبة ضئيلة قد تصل إلى ١٠٪ من هذا المجين.، والجينات الحاملة للشفرة الوراثية لا تشغل من هذا المجين البشري إلا نسبة قليلة كذلك، وهي من ١ ـ ٢٪، في حين يتكون بقية المجين البشري من حمض نووي ريبي ناقص أكسجين غير حامل لشفرة وراثية، ويأمل المشاركون في مشروع المجين البشري من فك رموزه كاملة مع حلول سنة ٢٠٠٥م(٢).

والجين هو شريط من الحمض النووي الريبي ناقص أكسجين، يحتوي على المعلومات الوراثية للخلية، ويوجد على نحو متميز في الكروموسومات، ويتكون هذا الحمض من شريطين ملتصقين أو حلزون مزدوج، وفقاً للنموذج الذي اقترحه «واتسون» و«كريك» سنة ١٩٥٣م، يصل طولهما في الكروموسومات البشرية إلى ما يزيد على المتر، ويتكون كل شريط منهما من وحدات متصلة فيما بينهما، هي النيوتيدات (Nucleotides)، التي تتكون كل واحدة منها من: سكر خماسي «رايبوز، وديوكسي رابيوز»، وقاعدة نتيروجينية «بيورين، وبايريمدين»، وحامض الفوسفوريك، ويوجد في

جزيء الحمض النووي الريبي ناقص أكسجين، أربعة أنواع من القلويات النيتروجينية، تمثل قاعدة عضوية لمحتواه، هي: آدنين (Adenine)، وجوانين (Guanine)، وسيتوسين (Cytosine)، وثيمين (Thymine)، ويرمز لهذه القلويات بالأحرف (A.G.C.T)، وهي الأحرف الأولى للأسماء الكيمياوية لتلك القواعد، ويرتبط شريطا الحمض النووي الريبي ناقص أكسجين، باتحاد القلويات النيتروجينية الموجودة في أحد الشريطين، مع مثيلاتها في الشريط الآخر المقابل بروابط هيدروجينية، بحيث يرتبط كل قلوي في أحد الشريطين مع قلوي في الشريط المقابل بنظام محدد، فالآذنين في أحد الشريطين يرتبط مع الثيمين في السلسلة المقابلة، ويرتبط الجوانين في أحد الشريطين مع السيتوسين في الشريط المقابل، وهكذا(٣).

ويمثل الحمض النووي الريبي هذا وثيقة ضخمة، كتب نصها بأربعة أحرف، هي (A.G.C.T)، وتوجد فيها كمية من المعلومات الوراثية الضرورية داخل نواة كل خلية، إذا استخدمت هذه المعلومات في تأليف كتاب فقد تستغرق كتابته خمسة وعشرين عاماً، لكثرة عدد حروفه، التي تبلغ ثلاثة مليارات ونصف المليار من الحروف، ومن ثمَّ فإن هذا الحمض يحمل لغة خاصة، ممثلة في ترتيب وتعاقب القلويات النيتروجينية، التي تعرف باسم الشفرة الوراثية (Genetic Code)، وهذه الشفرة عبارة عن مجموعة من الكلمات المتتالية، تتكون كل منها من ثلاثة أحرف، وكل حرف منها هو قلوي نيتروجيني، فإذا تغيَّر حرف من هذه الكلمة تغيَّر معنى الكلمة، واستتبع هذا تغيير معنى الجملة ومغزى الرسالة، وإذا تغيَّرت طبيعة الجين نتيجة لذلك، نشأ ما يُسمَّى بالطفرة الوراثية، التي تحدث نتيجة تغيّر في المادة الوراثية، لتنتقل بعد عملية الانقسام إلى الأجيال التالية بصورة مطابقة لما في أصلها.(٤)

فالشفرة الوراثية لكل فرد من البشر عبارة عن كتاب، يحوي بين دفتيه الكثير من المعلومات الخاصة بصاحبه، والتي تمثل أدق أسرار حياته، بل وحياة ذريته التي تنسل منه، وحياة والديه كذلك باعتبار أن هذا الجين بما يحتوي عليه من جينات تشفر في نواة الخلية البشرية لصفات أو أمراض أو تشوهات وراثية معينة، يكون مرآة صادقة إلى حد بعيد لما يكون عليه صاحبه، وما تكون عليه ذريته وأصوله من صفات وراثية، كالطول أو القصر، والسمرة أو الشقرة، وقوة البنية أو ضعفها، والسمن أو الهزال، والخصوبة أو العقم، ونحو ذلك، بل يكون مرآة للأمراض والتشوهات



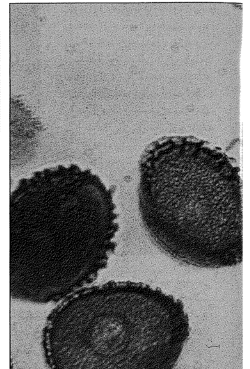
التي يحملها صاحبه والتي تنتقل إلى ذريته بطريقة سائدة أو متنحية، كالودانة «القزامة»، وأمراض الدم: مثل: الأنيميا المنجلية، والثالاسيميا، والهيموفيليا، وأمراض القلب والأوعية الدموية: مثل: وجود الثقوب بين تجاويف القلب، وضيق الصمامات، وارتفاع ضغط الدم، وفرط أو ارتفاع الكولسترول بالدم، ومرض السكر، وأمراض الجهاز المناعي، ومرض البله المميت، هذا بالإضافة إلى التشوهات الكروموسومية الجسمية والجنسية التي تنتقل إلى الذرية، وتؤدي إلى إجهاض الأجنة، أو إصابة المولود بالتشوهات الخلقية التي لا يعيش بها حياة سوية.

وكتاب يحوي كل هذه المعلومات لابد أن تكون له درجة كبيرة من السرية، بحيث لا يطلع على محتواه إلا من لهم غرض صحيح يقره الشرع الحنيف، ويجعله مسوغاً للاطلاع على ما يحتوي عليه من أسرار صاحبه، كالطبيب

إفشاء سر صاحب الخريطة الجينية إلى غير من يعنيهم الأمر، يمثل إضرارا جسيما به وبذريته وبذويه

المعالج، أو من يقوم باقتطاع عضو أو أخذه من صاحب الخريطة الجينية لزرعه في غيره أو نقله إليه، أو من يقوم بعملية الإخصاب الصناعي الخارجي، أو الجهات الأمنية بالدولة، أو جهات الضبط القضائي، أو جهات جمع الأدلة في التحقيقات الجنائية، للتثبت من البصمة الوراثية لصاحب الخريطة الجينية عند الاشتباه الجنائي فيه، أو جهات الطب الشرعي عند إثبات النسب أو نفيه عن صاحب الشفرة الوراثية أو غير ذلك، أو الطبيب الذي يسند إليه فحص راغبي الزواج ذكوراً وإناثاً، للوقوف على مدى التوافق الجيني بين من يريدان الاقتران ببعضهما بعقد نكاح، حتى لا يترتب على الدخول في هذه العلاقة إنجاب ذرية حاملة لجينات مشوهة أو ممرضة، ونحو هؤلاء ممن تقتضي طبيعة عملهم الاطلاع على الخرائط الجينية للناس ويقرهم الشرع على ذلك.

وإذا كان هؤلاء يرخص لهم شرعاً في الاطلاع على الشفرة الوراثية للناس، تبعاً للأغراض المشروعة التي كان اطلاعهم على الشفرة من أجل إنجازها، فإن ما اطلعوا عليه من معلومات وبيانات تضمنتها هذه الشفرة الوراثية، يعد سراً مهنياً، لا يجوز لهم شرعاً إذاعته أو إعلام غير المختصين به، أو إفشاؤه أو تمكين غير المختصين من الاطلاع عليه، بحسبان أن هذه المعلومات والبيانات أمانة أودعها أصحاب هذه الشفرة



الوراثية لديهم، لمقتضيات أعمالهم، ولولا هذه المقتضيات لما أعطيت إليهم، ولما مكنوا من الاطلاع على محتواها، ومن ثمَّ فلا يجوز شرعاً إفشاء محتواها إلى غير المعنيين بها.

وقد أمر الشارع بحفظ الأمانات، إذ قال الحق سبحانه: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء:٥٨، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»(٥)، واعتبر عدم حفظها خيانة، وجعل من يخون الأمانة فيه صفة من صفات المنافقين، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»(٦)، قال النووي في هذا الحديث: المحققون والأكثرون على أن هذه الخصال هي خصال المنافقين، فإذا اتصف بها أحد من المصدقين أشبه بالمنافق، فيطلق عليه اسم النفاق مجازاً، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهو موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه، وقال الخطابي: إن هذا الحديث لتحذير المسلم من أن يعتاد هذه الخصال، التي يخاف عليه منها أن تفضي به إلى النفاق الحقيقي، وقد تأيد هذا بقصة ثعلبة الذي قال فيه الحق سبحانه: (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) التوبة:٧٧، إذ آل بثعلبة خلف

الشفرة الوراثية لكل فرد كتاب يحوي الكثير من المعلومات الخاصة بصاحبه والتي تمثل أدق أسرار حياته

الوعد والكذب إلى الكفر، فيكون الحديث للتحذير من التخلق بهذه الأخلاق التي تؤول بصاحبها إلى النفاق الكامل(٧).

وإفشاء سر صاحب الخريطة الجينية إلى غير من يعنيهم الأمر، يمثل إضراراً جسيماً به وبذريته وبذويه كذلك، وقد نهى الشارع عن الإضرار بالغير، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»(٨)، وفي الحديث نفي للضرر، وهو نفي بمعنى النهي، بمعنى: أنه لا يحل لأحد أن يضر غيره بوجه من الوجوه، وإذا كان إيقاع الضرر بالغير محرماً شرعاً، فإن من أوقعه بغيره يكون آثماً، ويلزمه أن يعوض المضرور من إفشاء هذا السر عمَّا أصابه من ضرر، سواء في ذلك صاحب الخريطة الجينية، أو من يلحقهم الضرر من إفشاء ما ورد فيها من بيانات ومعلومات، فإن قواعد الشريعة تقرر أن: «الضرر يزال»(٩)، ولا يتصور إزالة الضرر الناشئ عن إفشاء المعلومات والبيانات، التي تتضمنها الخريطة الجينية بعد وقوعه، ولهذا كان للمتضرر من ذلك المطالبة بالتعويض، ولما كان إفشاء محتوى هذه الخريطة الجينية، يمثل جريمة تعزيرية، باعتباره إخلالاً بواجب كتمان السر، الذي اطلع عليه الموظف المختص بمقتضى مهنته أو وظيفته، فإن لولي الأمر أن يعزر من أفشى ذلك وأخل بواجبات وظيفته، بالعقوبة التي يراها مناسبة لعظم الجرم المقترف، وحال من اقترفه، وظروف ارتكابه، والضرر الناجم عنه، والموضع الذي اقترف فيه، حتى تحقق العقوبة الغاية المرجوة منها، من ردع الجاني وزجر غيره واستتباب الأمن في المجتمع، ويدخل في هذا الإطار ما تقوم به الجهات التي يتبعها من أفشى السر بحكم عمله، كنقابة الأطباء، أو وزارة العدل، أو الداخلية، أو نحوها، من توقيع العقوبات المسلكية أو المهنية المختلفة، كالحرمان من مزاولة العمل مدة معينة، أو سحب ترخيص المشروع الخاص الذي يباشر فيه عمله، أو حرمانه من الاطلاع على أسرار العملاء أو المرضى، أو نحو ذلك من عقوبات.

ويأخذ الحكم عينه، من اطلع على المعلومات والبيانات التي تضمنتها الخريطة الجينية بمقتضى مهنته أو وظيفته، ثم استعملها ضد صاحبها، كأن يفشيها صاحب عمل - أقال صاحبها من مصنعه أو مؤسسته أو استقال منهما - إلى الجهات التي يتوقع أن يلتحق العامل بها، بغية تفويت فرصة العمل عليه، أو نحو ذلك، بحسبان ذلك خيانة للأمانة، يستتبع الجزاء المترتب عليه، ويمثل هذا الإفشاء بمجرده إضراراً بصاحب الخريطة الجينية وذريته وذويه، يضاف إليه الضرر الناجم عن استعمال المعلومات والبيانات التي تضمنتها الخريطة الجينية ضده، وهذه الأضرار تخول للمتضرر مطالبة المتسبب فيها بالتعويض، دون إخلال بالمطالبة بتوقيع العقوبة التعزيرية أو المسلكية أو المهنية عليه، نتيجة لإخلاله بواجبات عمله ●

الهوامش:

١ - د.عبدالهادي مصباح: العلاج الجيني/ ٦٥، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، د.ثورية بنغزو: التناسل الانتقائي لتحسين النسل البشري، بحث ضمن أعمال ندوة الانعكاسات الأخلاقية للأعمال المتقدمة في علم الوراثة/ ١٧٢، منظمة الإيسيسكو - المغرب.

٢ - د.عبدالحافظ حلمي: تحسين النسل البشري، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة/ ١٤٧، التناسل الانتقائي لتحسين النسل البشري - مرجع سابق/ ١٧٢.

٣ - د.عدنان العذارى: أساسيات في علم الوراثة/ ٢٤٩ - ٢٦٧، الطبعة الثانية ١٩٨٧م - الموصل، د.محمد خليل يوسف وآخرون / ٢٦ - ٢٨، منشأة المعارف - الإسكندرية.

٤ - د.محمد الربيعي: الوراثة والإنسان/ ٢٠٩، عالم المعرفة، الكويت، أساسيات في علم الوراثة - مرجع سابق/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٤ - ٢٦٥، د.عبدالعزيز بيومي: أساسيات الوراثة والهندسة الوراثية، بحث ضمن أعمال الندوة السابقة/ ٣٧ - ٣٨.

٥ - أخرجه البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك وأبوداود والترمذي والدارقطني في سننهم، ورمز له السيوطي بالصحة، السيوطي: الجامع الصغير ١٤/١، مكتبة مصطفى الحلبي - القاهرة.

٦ - متفق عليه، الصنعاني: سبل السلام ١٨٧/٤، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.

٧ - سبل السلام ١٨٨/٤.

٨ - أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وأخرجه أحمد في مسنده والبيهقي وابن ماجة والدارقطني في سننهم «الحاكم: المستدرك ٥٧/٢، مسند أحمد ٣١٣/١، البيهقي: السنن الكبرى ٦٩/٦، سنن ابن ماجة ٧٨٤/٢، سنن الدارقطني ٧٧/٣.

٨ - ابن نجيم: الأشباه والنظائر/ ٨٦.





طب

مرض «البول السكري»

بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر

إن البول السكري من الأمراض المعروفة للإنسان منذ زمن بعيد، فالإغريق وصفوا المرض، وأطلقوا عليه اسمه الذي لا يزال يعرف به إلى اليوم، لكن يبدو أن معرفة الإنسان بهذا المرض الشائع ظلت مقصورة على الأطباء والمشتغلين بالطب، بحيث لا تزال معرفة الجمهور مقصورة على حدّ ألفة الاسم، دون «أسرار» المرض! ولأن أعراض المرض لا تظهر دائماً في وقت مبكر يُمكّنُ من تشخيص المرض لمجرد الإصابة به، ولأن مضاعفات خطيرة يمكن أن تترتب على عدم العلاج، فإننا نفرد الصفحات التالية لإلقاء الضوء على البول السكري.

ما السكر؟!

المحور الرئيس الذي يدور حوله مرض البول السكري هو كلمة السكر، لذا يتعين أن نعرف ما السكر، قبل أن نخوض في أي تفاصيل عن هذا المرض.

السكر المَعْني هنا هو المعروف باسم «جلوكوز»، والجلوكوز هو الناتج النهائي من عملية هضم المواد النشوية «الكربوهيدراتية» التي يتناولها الإنسان، وتشمل المواد النشوية فيما تشمل أنواعاً أخرى من السكر، مثل سكر الفواكه الذي يعرف باسم «فركتوز»، وسكر اللبن الذي يسمّى «جالاكتوز».

والجلوكوز هو النوع الوحيد من السكر الذي يوجد في تيار الدم، لذلك فإن استخدام كلمة سكر فيما يلي من كلام يكون بديلاً لكلمة جلوكوز.

بلغة الكيمياء، فإن الجلوكوز سكر بسيط «أحادي» رمزه الكيميائي «ك٦ يد١٢ أ٦» ($C_6H_{12}O_6$)، والجلوكوز هو وقود الجسم، أي المادة التي يحصل الجسم من احتراقها على الطاقة اللازمة لكل أوجه الحياة، واحتراق جرام واحد من الجلوكوز ينتج منه نحو أربعة آلاف وحدة حرارية. «الوحدة الحرارية أو السُّعر الحراري هو المقدار من الحرارة الذي يرفع درجة حرارة الماء درجة مئوية واحدة، بالتحديد من ١٥م إلى ١٦م».

وبلغة التغذية، يحتاج الرجل البالغ متوسط النشاط إلى ثلاثة آلاف سعر حراري كبير كل يوم، بينما تحتاج المرأة البالغة متوسطة النشاط إلى اثنين وعشرين ألف سعر حراري كبير، «السعر الحراري الكبير يساوي ألف سعر حراري»، وبعد تغطية حاجة الجسم من الطاقة، فإن ما يتبقى من الجلوكوز يختزن في الكبد على هيئة سكر مركب اسمه «جليوكوجين».

غدة البنكرياس

في الجهة اليسرى من تجويف البطن، وخلف المعدة، تقع غدة صغيرة اسمها «البنكرياس»، وهذه الغدة التي تعتبر جزءاً من الجهاز الهضمي، والتي تفرز عدداً من الإنزيمات الهاضمة، تلعب دوراً رئيساً في تمثيل السكر في الجسم. «المقصود بالتمثيل الغذائي استفادة الجسم من نواتج الهضم».

فمن تجمعات خلايا معينة في البنكرياس، تسمى «جزر لانجر هانز» «نسبة إلى اسم الطبيب الذي اكتشف وظيفتها» ينتج عدد من الهورمونات «أربعة» يهمنا منها في هذا السياق هرمونان: أحدهما اسمه «إنسولين» والثاني اسمه «جلوكاجون».

أما هورمون «إنسولين» فيسهل دخول الجلوكوز إلى الخلايا الحية، للاستفادة منه كوقود لإنتاج الطاقة اللازمة لأنشطة الحياة، كما يحث هورمون «إنسولين» عملية تخزين الجلوكوز في الكبد على هيئة «جليكوجين».

وعلى ذلك، فيمكن القول: إن الأثر النهائي لهورمون إنسولين هو إنقاص «أو تخفيض أو تقليل» نسبة الجلوكوز في الدم، ذلك أن الجلوكوز إذا ترك تيار الدم العام ليدخل إلى الخلايا الحية، تحت تأثير «إنسولين»، وإذا جرى تخزينه في الكبد، كذلك بتأثير مباشر من الهورمون، فمن الطبيعي أن ينخفض تركيز الجلوكوز في الدم.

والحقيقة أن هورمون إنسولين هو المسؤول عن حفظ نسبة «أو تركيز» الجلوكوز في الدم عند حد معين، وتتراوح تلك النسبة بين سبعين إلى مئة وعشرة ملليغرامات من السكر في كل مئة ملليليتر من الدم «٧٠ ـ ١١٠ مغ جلوكوز / ١٠٠ مل دم».

«المللیغرام جزء من ألف جزء ينقسم إليها الجرام الواحد، والملليليتر جزء من ألف جزء ينقسم إليها اللتر الواحد».

أما هورمون «جلوكاجون» الذي تنتجه غدة البنكرياس، فله تأثير

هورمون إنسولين هو المسؤول عن حفظ نسبة الجلوكوز في الدم عند حد معين

معاكس تماماً لتأثير هورمون إنسولين، فمن ناحية، يحوّل هورمون جلوكاجون دون دخول الجلوكوز إلى الخلايا الحية، وبذلك يرفع نسبة السكر في الدم، ومن ناحية أخرى، يحض هورمون جلوكاجون عملية تحويل سكر جليكوجين المخزون في الكبد إلى جلوكوز، وهذا يؤدي بدوره إلى رفع نسبة السكر في الدم، أي أن الأثر النهائي لهورمون جلوكاجون هو رفع تركيز الجلوكوز في الدم ـ عكس أثر إنسولين تماماً.

هذان الهورمونان ينتجان من غدة البنكرياس في توازن بديع، ويقومان بعملهما في تناغم وانسجام، على الرغم من تعارض تأثيرهما! وهذه واحدة من عدد لا يحصى من آيات إبداع صنعة الخالق جل وعلا، فحين يرتفع تركيز الجلوكوز في الدم، بعد وجبة طعام أو كوب من عصير الفاكهة مثلاً، فهذا وقت عمل هورمون «إنسولين»، وحين تنخفض نسبة السكر في الدم، من جوع أو صيام أو نوم، فهذا وقت عمل هورمون «جلوكاجون»، فسبحان (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).

أنواع المرض وأسبابه

عندما تخفق غدة البنكرياس في إنتاج هورمون «إنسولين» ترتفع نسبة الجلوكوز في الدم، والإخفاق أو العجز من جانب غدة البنكرياس لإنتاج إنسولين قد يكون تاماً «أو مطلقاً»، بمعنى أن الغدة لم تعد قادرة على إنتاج أي مقدار من هورمون إنسولين، والشخص المصاب بهذه الحالة يوصف بأنه «معتمد على إنسولين» ـ أي يلزم أن يتعاطى الهورمون بصفة دائمة طوال الحياة، وغالباً ما يحدث هذا النوع من المرض في السنوات الأربعين الأولى من العمر، «تسمية أخرى لهذه الحالة: النوع الأول من مرض السكر».

أما إذا كان عجز غدة البنكرياس عن إنتاج هورمون إنسولين نسبياً، بمعنى أن الغدة تنتج مقداراً أقل من المقدار الطبيعي المطلوب، فإن المصاب بهذه الحالة يوصف بأنه «غير معتمد على الإنسولين»، وليس يعني الاسم أن المريض لا يلزم علاجه بتعاطي هورمون إنسولين، أو بغير ذلك من طرق العلاج التي سيلي بيانها، وإنما معنى التسمية أن الهورمون ليس ضرورة في ضرورات الحياة في هذه الحال، كما في الحال السابقة، وغالباً ما يظهر هذا النوع من المرض بعد سن الأربعين وخصوصاً عند ذوي البدانة. «وتسمى هذه الحالة: النوع الثاني من مرض السكر».

هذان هما نوعا المرض، والملاحظ أن النوع الأول «المعتمد على إنسولين» يصيب الذكور بدرجة أكبر، بينما يظهر النوع الثاني «غير المعتمد على إنسولين» عند الإناث بمعدل أكبر!.

أما أسباب المرض فتبقى غير معروفة في معظم الحالات! إلا أن العوامل التالية يعتقد أن لها دوراً يذكر في نشأة المرض:

١ ـ العمر: قد يظهر المرض في أي مرحلة من مراحل العمر، بيد أن ثمانين في المئة من الحالات تظهر بعد سن الخمسين! وعلى ذلك، فإن البول السكري من أمراض أواسط العمر وأواخره ـ على النقيض من الظن الشائع بأن المرض لا يصيب من تجاوز منتصف العمر!.

٢ ـ الجنس: «الذكورة أو الأنوثة» صغار السن من المرضى غالباً من الذكور، بينما كبار السن من الإناث!.

٣ ـ الوراثة: تلعب الوراثة دوراً قوياً في النوع الثاني من المرض «غير المعتمد على إنسولين».

٤ ـ المناعة الذاتية: هناك أكثر من دليل على أن عجز غدة البنكرياس الكامل عن إنتاج هورمون إنسولين «النوع الأول من المرض» راجع إلى أن جهاز المناعة في جسم الشخص المصاب بهذه الحالة ينتج أجساماً مضادة للخلايا في غدة البنكرياس التي تنتج هورمون إنسولين! لماذا يحدث ذلك؟! سؤال لم تعرف إجابته بعد!.

٥ ـ السمنة: هناك علاقة وثيقة بين السمنة وبين النوع الثاني من المرض «غير المعتمد على إنسولين»، لكن من غير المعروف ما إذا كانت السمنة سبباً في حدوث المرض أم أنها ناتجة منه!.

٦ ـ الغذاء: تناولُ مقادير كبيرة من الطعام، خصوصاً مع عدم وجود نشاط بدني يذكر، يؤدي إلى ظهور البول السكري عند البالغين في أواسط العمر.

وفي حالات قليلة يكون سبب المرض معروفاً، وعندئذ يوصف المرض بأنه ثانوي، مثال ذلك إصابة البنكرياس بالتهاب أو سرطان، أو ترسب عنصر الحديد فيه نتيجة زيادة نسبة العنصر في الجسم، وقد يكون المرض في الكبد، كما في حالات تليف الكبد والتهاب الكبد. «في هذه الحالة لن يستطيع الكبد تخزين الجلوكوز، فترتفع نسبة السكر في الدم»، وقد ينتج مرض البول السكري من تعاطي أنواع معينة من العقاقير والهورمونات.

أعراض المرض

قبل الكلام عن أعراض المرض، نشير إلى أن الكليتين تقومان بعملية «ترشيح» مستمرة للدم، فكل دقيقة، يمر على الكليتين نحو ربع مقدار الدم الموجود في الجسم «تقريباً ١,٣ ليتر» للترشيح، والمقصود بالترشيح تنقية الدم، بحيث تخرج المواد غير

تناول الطعام بمقادير كبيرة مع عدم وجود نشاط بدني يؤدي إلى البول السكري

النافعة مع البول، بينما تعاد المواد النافعة للجسم إلى تيار الدم.

والجلوكوز من المواد عظيمة النفع للجسم، فهو مصدر الطاقة للخلايا ـ في الأحوال الطبيعية. وعندما يكون تركيز الجلوكوز في الدم عند معدله الطبيعي فإن كل الجلوكوز الذي ترشحه الكليتان يُعادُ إلى الدم، بحيث لا يخرج أي مقدار منه مع البول، أما إذا زادت نسبة الجلوكوز في الدم عن معدلها الطبيعي، فإن الكليتين لا تستطيعان التعامل مع الزيادة، فيخرج الجلوكوز من البول، ومن هنا جاءت تسمية المرض: «البول السكري» (Diabetes Mellitus).

أثناء عملة ترشيح الدم وتكوين البول في الكليتين، يؤدي وجود الجلوكوز في البول إلى زيادة كثافة البول المتكون، وهذه الزيادة تؤدي بدورها إلى جذب مزيد من الماء لتخفيف البول المتكون، وتنعكس النتيجة النهائية لهذه العمليات الكيمياوية في الكليتين في صورة بول كثير، لذلك فإن أول أعراض مرض السكر هو التبول بكثرة، حتى في أثناء الليل.

والبول في حقيقته ليس إلا ماءً مذاباً فيه مواد يريد الجسم التخلص منها، وعندما يتكون البول، فإن الماء المستخدم في تكوينه يأتي من الجسم، فإذا كثر البول المتكون، نقص الماء في الجسم، ونقص الماء يولد الشعور بالعطش، مما يدفع الإنسان إلى شرب سوائل أكثر لتعويض النقص، وعلى ذلك فإن الشرب الكثير عرض آخر من أعراض البول السكري.

وقد ذكرنا سلفاً أن هورمون إنسولين يسهل دخول الجلوكوز إلى الخلايا الحية للاستفادة منه كمصدر للطاقة، فإذا نقص هذا الهورمون أو انعدم، نقص بالتالي تأثيره أو انعدم، لكنَّ الخلايا الحية تحتاج إلى مصدر للطاقة بغض النظر عن وجود الهورمون أو عدمه، لذلك فإنها تبحث عن مصدر بديل للطاقة، وهذا المصدر هو الدهون المخزونة في الجسم.

وعجز الجلوكوز عن الدخول إلى الخلايا الحية، على الرغم من ارتفاع تركيزه في الدم، يؤدي إلى شعور المريض بالجوع والتعب، لذلك يشعر مريض السكر بالجوع بسرعة، كما يشعر بالتعب بسرعة كذلك، وخصوصاً عندما يقوم بجهد بدني.

الجلوكوز من المواد عظيمة النفع للجسم، فهو مصدر الطاقة للخلايا ـ في الأحوال الطبيعية

واستخدام الدهون المخزونة في الجسم كمصدر للطاقة يترتب عليه أمران:

الأول: هو نقص وزن الجسم تدريجياً.

والثاني: تكون مواد عضوية نتيجة إحراق الدهون للحصول على الطاقة المطلوبة.

هذه المواد العضوية التي تسمَّى «مركبات الكيتون» هي المسؤولة عن رائحة النفس «هواء التنفس» المميزة لمرضى البول السكري، وفي بداية المرض، حين يكون الاعتماد على الدهون بسيطاً وتدريجياً، فإن الجسم يستطيع التخلص من مركبات الكيتون بطردها مع البول. لكن عندما تزيد مقاديرها نتيجة اعتماد متزايد على الدهون كمصدر للطاقة، فإن الكليتين تخفقان في تخليص الجسم من المتكون من مركبات الكيتون، عندئذ يرتفع تركيز مركبات الكيتون في الدم، مؤدية إلى اضطراب خطير في كيمياء الجسم، ينتهي في معظم الأحيان إلى الإغماء وفقدان الوعي ـ وهو ما يوصف بـ«غيبوبة السكر» وما لم يتم تصحيح الأوضاع بسرعة، فغالباً ما تذهب الغيبوبة بحياة المريض!.

المضاعفات

حجر الزاوية في مرض السكر هو ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم، وعجز الجسم عن الاستفادة من الجلوكوز ـ على الرغم من زيادة نسبته ـ نتيجة نقص أو انعدام هورمون إنسولين من غدة البنكرياس.

وقد ذكرنا جانباً من اختلال العمليات الكيمياوية في الجسم نتيجة هذا الوضع غير الطبيعي، والاختلال الكيمياوي ليس إلا واحداً من عمليات مرضية عدة تقع في جسم مريض السكر، وحدوث المضاعفات مرتبط ارتباطاً مباشراً مع زمن المرض دون علاج، ومدى نقص هورمون إنسولين في الجسم، وبالتالي مدى ارتفاع نسبة السكر في الدم، والجدير ذكره أن التلف الناتج من مضاعفات المرض يمكن إيقاف تقدمه بالعلاج، لكن لا يمكن إرجاع الأمور إلى حالها الطبيعية.

سنقتصر هنا على ذكر أهم المضاعفات وأخطرها، دون التعرض بالتفصيل لكيفية حدوثها:

١ ـ غيبوبة السكر: غالباً ما تتفاقم الأمور تدريجياً، نتيجة تراكم مركبات الكيتون في الدم، إلى أن تؤدى إلى الغيبوبة، وأحياناً تحدث الغيبوبة في غضون ساعات قليلة، وفي كل



الأحوال، يجب علاج غيبوبة السكر بسرعة مطلقة، وإلا لقي المريض حتفه، والعلاج يحتاج إلى درجة كبيرة من المعرفة المتخصصة بحيث يكون من الأفضل تنفيذه في مستشفى.

وهناك غيبوبة تحدث نتيجة العلاج، وذلك حين يتعاطى المريض جرعة كبيرة من الإنسولين، أو المواد المخفضة لنسبة سكر الدم، بينما يكون المريض جائعاً خاوي المعدة، وهذه الغيبوبة تسمى «غيبوبة نقص السكر».

٢ ـ الأوعية الدموية: يتأثر الغشاء القاعدي في الشعيرات الدموية، في جميع مناطق الجسم، بارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم، فيصبح أكثر سُمكاً «ثخانة» وأكثر إنفاذاً من ذي قبل، وأكثر الشعيرات الدموية حساسية هي تلك الموجودة في العينين والكليتين والمخ، لذلك تظهر التغيرات المرضية في تلك الأعضاء ـ بالترتيب نفسه، وسرعان ما يعقب التلف الأول في الشعيرات الدموية تلفٌ آخر في الأوعية الدموية الأكبر، وحصيلة التغيرات المرضية في الأوعية الدموية، هي في النهاية فقدان البصر التدريجي، وإخفاق الكليتين التدريجي، وحدوث نزيف المخ.

وتلف الأوعية الدموية عند مريض السكر يجعله أكثر عرضة للإصابة بالذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم، خصوصاً إذا كان مدخناً، ويزداد احتمال الإصابة أكثر إذا كان المريض بديناً.

٣ ـ الجهاز العصبي: يفقد المريض الإحساس باللمس في أصابع القدمين، وسرعان ما يعقب ذلك فقدان الإحساس بحركة أصابع القدمين، وبينما يشعر المريض في البداية بالتنميل أو الألم في القدمين، فإنه يفقد الإحساس بالألم في مرحلة تالية، وهذا ما يجعل القدم عرضة لمختلف الإصابات، ومع تقدم المرض ينتشر فقدان الأحاسيس المذكورة ليشمل القدم كله ثم الساق، «هذه التغيرات تحدث على جانبي الجسم في الوقت نفسه».

ومع تلف الأوعية الدموية في الساقين والقدمين، إضافة إلى فقدان الإحساس، فليس عجيباً أن تكون قدم مريض السكر عرضة للإصابة بالغرغرينا.

وعند الرجال، يؤدي تلف الجهاز العصبي الذاتي إلى الإصابة بـ«العنة» «العجز عن الانتصاب» وإلى عدم التحكم في الإخراج: البول أولاً، يعقبه الغائط «البراز» ثانياً.

التشخيص والعلاج

أي إنسان عرضة للإصابة بالبول السكري في أي مرحلة من العمر، وقد يحدث المرض دون أن يؤدي إلى ظهور أعراض لعدة سنوات! وحتى عند ظهور الأعراض، فإن ذلك قد لا يلفت انتباه الإنسان إلى إصابته بالسكر! فكثير من الناس يحب شرب السوائل بكثرة، دون أن يكون مريضاً بالسكر، وكثيرون آخرون يقبلون على تناول الطعام بشراهة دون أن يكونوا مرضى، ثم إن معظم أعراض السكر الأولية قد تشبه أعراضاً تنشأ نتيجة أسباب أخرى لا علاقة لها بالجلوكوز والإنسولين بالمرة ـ كما في حالات القلق.

ليس غريباً والحال كذلك، أن يكون فحص البول والدم لكشف وجود السكر، فحصاً روتينياً ضمن أي فحوصات أخرى تجرى على أي مريض، بغضِّ النظر عن شكواه، وليس غريباً كذلك أن نضيف أن البول السكري مرض يكتشف بالمصادفة غالباً ضمن فحص روتيني يُجرى لغرض آخر!.

فحص البول وعينة من الدم لكشف وجود السكر، يكفي لاستبعاد احتمال الإصابة بالمرض، لكن إذا حدث وكشفت إحدى العينات عن وجود السكر، فغالباً ما يُجرى فحص ثان، وربما ثالث، فإذا ثبت وجود السكر في البول في العينات كلها «لا يوجد أي مقدار من الجلوكوز في بول الإنسان السوي» وإذا زادت نسبة السكر في عينات الدم عن معدلها الطبيعي، فعادة يجرى اختبار حاسم لتشخيص المرض، وهذا الاختبار يسمَّى «احتمال الجلوكوز»، ويتلخص في إعطاء الشخص المشتبه في إصابته بالمرض جرعة من الجلوكوز في صباح يوم يكون الشخص قد صام ليله، وتؤخذ عينة من الدم قبل تناول جرعة الجلوكوز، ثم عينة كل نصف ساعة بعد تعاطي جرعة الجلوكوز لغاية ساعتين، وبتحديد نسبة الجلوكوز في كل العينات يمكن إصدار قرار حاسم بالإصابة أو بالعافية.

أما العلاج فيهدف أساساً إلى خفض نسبة الجلوكوز في الدم، وإلى تسهيل دخول الجلوكوز إلى الخلايا الحية، أما الهدف الأول فيتم تحقيقه بالتحكم في الغذاء، بينما يتحقق الهدف الثاني بتعاطي إنسولين، أو بتعاطي أدوية معينة لحث غدة البنكرياس على إنتاج مزيد من الهورمون.

ونظراً لأن هورمون إنسولين نوع من البروتين، لذا يجب تعاطيه بالحقن، إذ لو تعاطاه الإنسان بالفم هضمته المعدة كما تهضم أي بروتين غيره.

وأهم ما في علاج البول السكري هو تعليم المريض حقائق المرض، وكيف يؤثر في جسمه، وكيف يستطيع التعايش معه، بقي أن نقول إن مريض البول السكري الذي يخضع للإشراف الطبي والعلاج المنتظم ويعمل على تنفيذ نصائح الطبيب بدقة، يكون إنساناً طبيعياً تماماً من كل ناحية ويكون بمنجاة من حدوث مضاعفات المرض ●



تلف الأوعية الدموية عند مريض السكر يجعله أكثر عرضة للإصابة بالذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم



حــوار

الدكتور المنجي بو سنينة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لـ الوعي الإسلامي

العالم العربي دخل القرن الحادي والعشرين مثقل بسبعين مليون أمي معظمهم من النساء

حاوره مدحت الأزهري - القاهرة



لقد ظل التعليم دائما وليد المجتمع وتابعا لحركته العامة ولذلك فإن أي محاولة لتجديد معالم التعليم المستقبلية لابد أن تقوم على أساس تحديد طبيعة وشكل مجتمع المستقبل في سياقاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ومن أجل التعرف إلى واقع التعليم العربي الراهن والتحديات التي تجابه المنظومة التعليمية العربية والآفاق المستقبلية لتجويد التعليم في عالمنا العربي وتجويده.

التقت «الوعي الإسلامي» الدكتور «المنجي بو سنينه» المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التونسي الحاصل على الدكتوراه في الأدب والعلوم الإنسانية في الجغرافيا الاقتصادية والبشرية والتخطيط التربوي، وله الكثير من الإصدارات في التربية والثقافة.

● بدءاً نود أن نستوضح من سعادتكم كيف هو واقع التعليم في العالم العربي؟

- لقد بذلت الدول العربية جهوداً كبيرة في سبيل نشر التعليم أثمرت في انتشار التعليم بين النشء على حين صمدت الأمية أمام محاولات القضاء عليها فظل مستوى التحصيل العلمي الإجمالي منخفضاً بصفة عامة بين السكان البالغين في البلدان العربية ، وعلى الرغم مما حققته البلدان العربية من تقدم واضح في مكافحة الأمية فقد انخفضت نسبة الأميين من ٦٠ إلى ٤٣ ٪ إلا أنها ما زالت أعلى من متوسط معدلاتها في البلدان النامية ناهيك عن البلدان المتقدمة وما فتئ عدد الأميين في تزايد مستمر حتى إن البلدان العربية دخلت القرن الحادي والعشرين وهي مثقلة بنحو سبعين مليون أمي معظمهم من النساء وعلى الرغم من تفوق نسب الاستعياب الإجمالية في المستويين الثاني والذي يدور نحو ٥٤ ٪ والثالث حول ١٣ ٪ عن البلدان النامية إلا أنها تبقى دون المستوى في البلدان المتقدمة والتي تصل إلى ٩٦٪ في المستوى الثاني و٦٠٪ في المستوى الثالث.

● وما دلالة هذه الأرقام؟

- يعني ذلك ضرورة أن يستمر سعي البلدان العربية لتوسيع نطاق الالتحاق بمراحل التعليم كلها

مع التركيز على التعليم قبل المستوى الأول والمستويات العالية ولهذا التصور تبعات مهمة بالنسبة لتمويل التعليم يجب عدم التنصل منها، فهناك دعوات لإعادة توزيع الموارد المخصصة للتعليم لمصلحة التعليم الأساسي على حساب المستويات الأعلى تحقيقاً للعدالة الاجتماعية بينما المطلوب هو توافر موارد أكبر للتوسع في جميع مراحل التعليم في البلدان العربية وخصوصاً الأعلى منها، ويضاف لأعباء التوسع الكمي في التعليم أعباء التجويد النوعي التي لا حد لها ما أدى لتعاظم نفقات التربية وزاد من صعوبات تمويل النظام التربوي حتى في البلدان النفطية الغنية نسبيا ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الدول العربية بالتعاون مع المنظمات العربية والدولية من أجل تجويد التربية في شتى مقوماتها وأبعادها فقد ظلت مطالب التوسع الكمي تطغى على مستلزمات التجويد النوعي وانصرف الإنفاق على التربية إلى استيعاب الكم على حساب النوع والجودة. الأمر الذي أدى إلى انخفاض مستوى مخرجات التعليم وهبوط ملاءمتها لسوق العمل وحاجات التنمية.

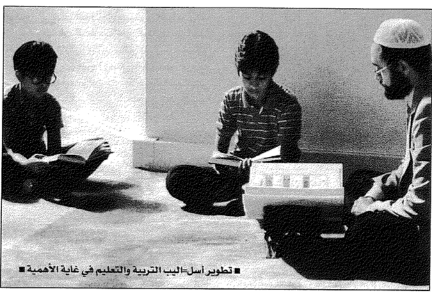
الحرمان من التعليم قبل المدرسة والتسرب المرتفع من التعليم الإلزامي أهم مصاعب التعليم في العالم العربي

● **وما أهم المصاعب التي تواجه التعليم في البلدان العربية؟**

- يمكن تلخيص أهم مصاعب التعليم في البلدان العربية في الوقت الحاضر في حرمان الأطفال من التعليم قبل المدرسي، وتدني نسب الالتحاق الخام والصافية وبخاصة في المرحلة الأولى الإلزامية مقرناً بذلك ارتفاع في معدلات التسرب في بداياتها والذي يزيد على ٢٠ ٪ الأمر الذي يضيف إلى الرصيد المرتفع أصلاً للأمية بين الكبار والذي يدور حول ٥٠ ٪ ويرتفع إلى ٦٥ ٪ عند الإناث يضاف إلى هذا أمية ثقافية تصيب نحو ٨٠ ٪ من مجمل السكان كما يعاني نحو ٨ ٪ من الذين تزيد أعمارهم عن ١٥ عاماً من الأمية التكنولوجية، كما تتعدد أبعاد المآخذ على محتويات المناهج وعلى أسلوب التعليم، وهناك مثالب كثيرة رصدتها الدراسات في عملية إعداد المعلمين وفي ضعف الإنتاج البحثي للأساتذة التربويين وأساتذة الجامعات وضعف نسبة الإنفاق على التعليم ومعالجته بأساليب تضعف من كفاءته وضعف القدرات الإدارية بما في ذلك إدارة التعليم وغياب المسؤولية الإدارية.

● **وما أبرز التحديات الدولية والإقليمية الراهنة التي تؤثر على منظومة التعليم في العالم العربي؟**

- تتمثل هذه التحديات في ثورة العلم والمعلومات والنمو والتركيب السكاني والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والقيم



■ تطوير أساليب التربية والتعليم في غاية الأهمية ■

الجمالية والفنية والقيم الأخلاقية فلعل مما ينبغي الالتفات إليه أنه في كل تخصص علمي يزداد كم المعلومات والحقائق والنظريات والاكتشافات بصورة مذهلة، الأمر الذي أدى ليس إلى عدم قدرة المتخصصين على الالتزام بها وملاحقتها فقط بل أدى كذلك إلى زيادة فروع المعرفة، ففي كل يوم نشهد قيام فرع أو تخصص معرفي جديد، ومن جانب آخر أدى التفجر المعرفي إلى التنبه إلى أهمية بناء قنوات بين الفروع والتخصصات العلمية القديمة والجديدة، وأصبح كل متخصص يحتاج إلى معرفة بفروع وتخصصات لم يكن في السابق يحتاج إلى معرفتها أو التعامل معها.

● **وما تأثير الانفجار المعرفي على حياة الناس وخصوصاً فيما يتعلق بمجالات التربية والتعليم؟**

- الثورة في مجال العلم والمعرفة والمعلومات والاتصالات جعلت العالم أكثر اندماجا كما سهلت وسرّعت حركة الأفراد ورأس المال والسلع والمعلومات والخدمات، ومن جانب آخر سهلت انتقال المفاهيم والأذواق والمفردات فيما بين الثقافات والحضارات، وفي تقدير كثير من المتخصصين فإن الثورة العلمية وتقانة المعلومات والاتصالات ستكون الطاقة المولدة والمحركة للقرن الحادي والعشرين في كل سياقاته، وقد أحدثت

العالم العربي دخل القرن الحادي والعشرين مثقلا بسبعين مليون أمي معظمهم من النساء

هذه الثورة منذ بداية التسعينيات تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر بها الناس إلى أدوارهم وإلى أسلوب التعامل مع بعضهم بعضاً ومن ثمّ إلى التعامل مع الأحداث القريبة والبعيدة فالتفكير العلمي سيكون أسلوباً للحياة والتعامل لتسيير الأمور العامة والخاصة والعلم المعرفي والمعلومات ستصبح وبشكل متزايد أساس القوة والغنى والتقدم على المستويين الفردي والدولي وآثار ذلك على التربية والتعليم متعددة وهائلة، فالانفجار المعرفي يحتم على المؤسسات التعليمية أن تعيد النظر في أسس اختيار وتخطيط بناء المناهج والمحتوى الدراسي وأساليب التعامل مع المعرفة من حيث طرق تدريسها وأسلوب تعامل التلاميذ والمعلمين معها ويرى بعضهم أن التوجه القديم القائم على نقل وتلقين المعرفة والحقائق لن يكون مناسباً وعلينا أن نتجه إلى تعليم الأطفال أساليب الوصول إلى المعرفة المناسبة والمطلوبة والقدرة على الاختيار منها والتعامل معها مما يتطلب توجيه التلاميذ إلى تعليمهم أنماط التفكير وأساليب الوصول إلى المعرفة والتعامل معها بدلا من حفظها وتذكرها.

● **وما مبررات الإسراع بالأخذ بالتقانات الحديثة في التعليم؟**

- تعود مبررات استخدام تقانة المعلومات إلى مشكلات حالية وتوجهات مستقبلية للتعليم من بينها عجز الأنظمة التعليمية الحالية عن تقديم خدمة التعليم للأعداد الضخمة المتزايدة الراغبة في التعليم في مراحله الأساسية فضلا عن الأعداد الغفيرة الأخرى الراغبة في مواصلة التعليم من أجل تطوير المهنة والتدريب وعدم التوازن في التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية نتيجة للتركيز على المناطق المكتظة بالسكان والمناطق الحضرية على حين يتعذر الحصول على الخدمات التعليمية في المناطق النائية والريفية والصحراوية

يضاف إلى ذلك انخفاض مستوى التعليم وعدم قدرة المؤسسات التعليمية على الوفاء باحتياجات المجتمع في التنمية وكذلك تدفق المعلومات بصورة غزيرة وتعدد مصادرها وصعوبة متابعتها من قبل المعلمين والمتعلمين واعتماد أسلوب التعليم الذاتي في التعليم المستمر وحق المتعلم في تعليم نفسه بنفسه واختيار نوع التعليم والأساليب والوقت والمكان الذي يريده للتعلم.

التكنولوجيا لن تغني عن المدرّس ولكنها ستغير دوره ومهامه

هناك تخوف يتردد على ألسنة الكثيرين من أن التقانة سوف تحل محل المدرسين، فهل لهذا التخوف ما يدعمه وما تأثير التقانة على دور المدرس ومهامه في العملية التعليمية؟.

ليس هناك أي مبرر للتخوف فطريق المعلومات السريع لن يحل محل المدرّس وإنما سيتحول دور المعلم من المنفذ إلى المخطط ومن المسيطر إلى الموجه والمرشد، ومن الملقن إلى المناقش والمحاور، فلم يعد المعلم المصدر الوحيد للتعلم والمعلومات فظهور مصادر التعليم والمعلومات الحديثة مثل الشبكة العالمية للمعلومات وشبكات الحاسوب المحلية وقواعد المعلومات وبنوكها أثّر بشكل كبير على دور المعلم في العملية التعليمية فأصبح المعلم موجها ومرشدا للمتعلمين للاستفادة من مصادر المعلومات وكيفية توظيفها في التعلم ويقتضي تحديث النظم التربوية على هذا النحو ضرورة المشاركة الاجتماعية في توافر حاجات التعليم وهي مشاركة لابد منها من أجل تحمل بعض أعباء التعليم ونفقاته وأيضا من أجل أن يصبح التعليم شأنا اجتماعيا يعنى المجتمع بأسره ما دامت نتائجه الحسنة أو السيئة ترتد على المجتمع بأسره.

● وما المزايا التي تقدمها التقانات الجديدة للعملية التعليمية.

- الوسائل متعددة الوسائط ستمكن المدرسين من إنتاج المنهج الدراسي الجماعي وفقا للمواصفات الفردية داخل مجموعات طلابهم أي أن التعليم الجماعي وفقا للخصائص الفردية سيصبح ممكنا ومن جانب آخر فإن تقانة المعلومات سوف تسرع وتمكن من أن يصبح التعليم متاحا أمام الطلاب غير المنتظمين في مختلف أنحاء العالم، وسيكون بإمكان الناس في أي مكان الحصول على أفضل الدورات الدراسية التي يدرِّسها مدرِّسون أكفاء وسيجعل طريق المعلومات السريع تعليم الكبار بما في ذلك التدريب المهني ودورات التطوير المهني متاحاً بصورة أكثر فاعلية وسهولة.

● هل يعني ذلك أن الأخذ بالتقانات الجديدة سيؤدي إلى إيجاد حلول لجميع المشكلات التقليدية التي تعتري العملية التعليمية.

- ينبغي التأكيد على أن ثقافة المعلومات لن تحل الكثير من المشكلات الخطيرة التي تواجه التعليم من حيث تخفيضات الميزانية والعنف والمخدرات ومعدلات الغياب العالية أو المشكلات الاجتماعية كما أنها لن تحل مشكلات المدرِّسين المشغولين بتدبير أسباب العيش أكثر من انشغالهم بقضايا التعليم وبشكل عام فإن أشكال التغيرات الاجتماعية المتوقع حدوثها في القرن الحادي والعشرين ستؤثر في شكل ومعالم المؤسسة المدرسية وما تقوم به من وظائف وأدوار وفي صلتها وتعاملها مع المؤسسات الاجتماعية الأساسية وبخاصة الأسرة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الأخرى وعلى كل الأحوال فإن المدرسة في المستقبل يجب أن تهدف إلى أن تكون غايتها القصوى تمكين كل المتعلمين من تطوير مواهبهم الفكرية واستعداداتهم الطبيعية للسعي لحل مشكلات الحياة المعقدة والشاملة ومتعددة الأبعاد وتمكين المتعلمين أيضا من تعليم أفضل وأسرع وأكثر مدى الحياة مع تطوير صفات التفتح الفكري وحب الإطلاع وتطوير الخيال للتعلم بصفة أحسن وللإدراك بصفة أفضل فضلاً عن تطوير المعارف والكفايات والمهارات والسلوكيات لاكتساب القدرة على التكيف في محيط متغير وغير محقق وفي مثل هذه المدرسة تكون مقاربة المعرفة مغايرة لمقاربة التعلم ففي المقاربة الأولى يقوم المعلم بدور الوسيط للمعارف عوضا عن الملقن لها.

بيننا ٨٠ ٪ أميون ثقافيا و٨ ٪ أميين تكنولوجيا

التكامل العربي ضرورة للنهوض بالتعليم

● وهل يتطلب الأخذ بالتقانات الجديدة ضرورة التعاون والتكامل العربي في هذا المجال؟

- لقد بات تطوير التعليم في العالم العربي، يتطلب قيام مؤسسة تعليمية وفوق قطرية وفعالة على الصعيد العربي وبقدر ما تقترب الدول العربية من بناء هذه المؤسسة بقدر ما سيكتب لها أن تقيل مجتمعاتها من أزمتها التنموية الحالية وأن تشارك من وضع قدرة في صنع العالم الجديد وليس بكثير على سبيل المثال أن يصبح تطوير التعليم في الوطن العربي بندا جوهرياً ودائماً على جدول أعمال مؤتمرات القمة العربية فالتعاون العربي شرط ضروري لتطوير التعليم كما أنه شرط جوهري للتنمية الجادة حيث يصعب على أي قطر عربي منفرد تحقيق تقدم ملموس في نشر التعليم وترقية نوعيته، كما أن التعاون يحقق تضافراً وثيقاً في الجهود العربية لبناء القدرات البشرية والتقانية يمكن أن يكون عامل صهر اجتماعي يساعد على قيام أشكال أكثر رقياً من التعاون العربي في المستقبل.

الحرمان من التعليم قبل المدرسة والتهرب المرتفع من التعليم الإلزامي أهم مصاعب التعليم في العالم العربي

من الصعب الحديث في أمور مهمة كالتربية والتعليم دون التطرق للتأثيرات المحتملة للعولمة بجميع جوانبها عليها. فما أبرز تلك التأثيرات الايجابية والسلبية للعولمة على التربية والتعليم والمؤسسة التعليمية؟.

انحسار دور الدولة الاقتصادي والتوجه نحو الخصخصة سيؤثر على تمويل التعليم وسيزداد دور القطاع الخاص في هذا المجاله كما أن الدولة أصبحت تنظر إلى التعليم نظرة اقتصادية بحتة من حيث تكلفته وتحمل نفقاته وقد شرعت كثير من الدول في تحميل الأفراد جزءاً من تكلفة التعليم وبدأ كذلك يعتمد على القطاع الخاص في إقامة وإنشاء المؤسسات التعليمية وهناك جانب آخر لتأثير العولمة على التعليم يتصل بالاتجاه نحو وضع نظام عالمي لتقويم المؤهلات ووضع نظم لتحديد المستويات التعليمية تمكن من أن يتوافق النظام التعليمي من حيث مخرجاته مع مبدأ حرية العمل وانتقال الأفراد بين الدول كذلك أدت عولمة الاقتصاد إلى ظهور بعض التوجهات لإدخال تغييرات في مناهج التعليم حتى تصبح مساندة للعولمة الاقتصادية وستكون لهذه التغيرات آثار عظيمة على نظم التربية والتعليم وبخاصة في مجالي تحديد السياسات، واتخاذ القرارات التعليمية وربما تفقد الدولة جزءاً كبيراً من قدرتها على اتخاذ وإقرار السياسات والبرامج التعليمية كما أن مؤسسات المجتمع المدني المحلية والعالمية سيزداد تأثيرها في مجالي وضع السياسات، واتخاذ القرارات التعليمية فقد أدت ثورة الاتصالات والمعلومات وعولمة الاقتصاد والسياسة إلى تغيرات ثقافية وقيميه تزداد وتيرة تأثيراتها على كل مجتمعات العالم ومن ثم على توجهات المؤسسات لتعليمية وهذا تحدٍ لامة يستوجب التعاون والتنسيق فيما بينها إن أرادت الحفاظ على عناصر هويتها وتوجهاتها الوطنية والقومية والدينية.

مرونة النظم التعليمية

● وما المطلوب لمجابهة تلك التحديات والحد من التأثيرات السلبية للعولمة وتعظيم التأثيرات الإيجابية لها على العملية

التعليمية؟

- يتطلب ذلك كله اعتماد مرونة في النظم التربوية بنية ومناهج وطرائق في غمار عالمنا المتغير، وتكون المرونة هنا شرط لابد منه لمواجهة تغيرات المستقبل ومفاجآته، كما أنها شرط لابد منه لمحافظة النظام التربوي على معناه وقدرته على البقاء في عالم متجدد، فالنظم التعليمية في مثل هذا العالم دائب التغير ينغي أن تتصف بالمرونة أولا وقبل كل شيء.

● **ماذا تقصد بالمرونة؟**

- المرونة في بنية النظام التعليمي وفي مساراته والانتقال بين فروعه وفي مناهجه وتخصصاته وفي طلابه وأعمار المنتسبين إليه وفي سنوات الدراسة فيه وفي وسائل تقويمه وغيرها، مطلب ضروري لمواجهة الحاجات المتجددة لسوق العمل ولمشكلات الاقتصاد ومطالب الحياة الاجتماعية والثقافية، والنظام لتعليمي الثابت الجامد نظام لابد أن يأخذ طريقه إلى الزوال إن لم يمت فعلا في كثير من بلدان العالم ، فيجب أن يكون هناك مرونة في عدد سنوات الدراسة وفي محتوى الدراسة بحيث تستجيب لحاجات المتعلمين المختلفة والمتجددة، ويجب أن يكون هناك انفتاح للمدرسة دوماً على عالم العمل وحاجاته، وعلى الدولة أن تطور بنيتها ومناهجها وأساليبها تبعا لذلك كما تشمل المرونة أيضا التعليم وتشعيبه ولا سيما في المرحلة الثانوية وفي التعليم العالي وتيسير الانتقال بين التخصصات والفروع المختلفة وكذلك تعني القضاء على الحواجز بين التعليم النظامي وغير النظامي وتحقيق التكامل بينهما وتحقيق التكامل والتناوب بين الدراسة والعمل وكذلك بين النظام التربوي وبين مؤسسات الإنتاج المختلفة بالإضافة إلى انفتاح المدرسة النظامية على الطلاب من مختلف الأعمار وتنويع الدراسة في شتى مراحل التعليم تبعا لحاجات المتعلمين.

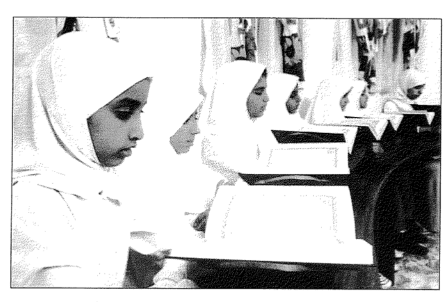
● **وكيف يمكن تحقيق المرونة المطلوبة؟**

- تتحقق المرونة بتوظيف تقانة المعلومات لتطوير العمل التربوي إذ يتفق المتخصصون بالتعليم والمهتمون بشؤونه على ضرورة استخدامها في نشر التعليم وتجويده في البلادن العربية مما يقتضي وضع استراتيجيات واضحة لانتظام الوسائل في ثلاثة محاور أحدها بحثي وتقويمي، والثاني تخطيطي والثالث ترويجي وتمويلي وتتضافر المحاور لضمان تحقق الغاية من البرنامج من خلال تعظيم التعاون العربي والاستفادة من إمكانات التعاون الدولي.

أبرز إنجازات المنظمة

● **وما أبرز إنجازات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال؟**

- من أبرز ما حققته المنظمة العربية في هذا المجال وضع الاستراتيجيات لجوانب متعددة من



العمل التربوي مثل استراتيجية تطوير التربية العربية واستراتيجية محو الأمية في البلاد العربية والخطة العربية لتعلم الكبار والاسراع في تطور المعرفة والتقانة من منظور خصوصية مساره التنموي.

● **وكيف يتحقق هذا البرنامج؟**

- يتحقق ذلك من خلال العمل على نشر التعليم الأساسي بالكامل بين أطفال العرب جميعاً في أفق زمني محدد وقصير والتوسع المطرد في نطاق مراحل التعليم بعد الأساسي أولا وعلى تحقيق حد أدنى مقبول لنوعية التعليم ثم ترقيتها باطراد في جميع المراحل وفي عموم الوطن العربي ثانيا.

● **وما الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف ذلك المشروع؟**

- يقترح أن يتكون البرنامج من مجموعة من الوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف المنشودة في آفاق زمنية معينة، وأن تنتظم الوسائل كما ذكرت سابقاً في ثلاثة محاور: أحدها بحثي وتقويمي والثاني تخطيطي، والثالث ترويجي وتمويلي، وتتضافر المحاور لضمان تحقق الغاية من البرنامج من خلال تعظيم التعاون العربي والاستفادة من إمكانات التعاون الدولي.

أبرز إنجازات المنظمة

● **وما أبرز إنجازات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال؟**

- من أبرز ما حققته المنظمة العربية في هذا المجال وضع الاستراتيجيات لجوانب متعددة من العمل التربوي مثل استراتيجية تطوير التربية

المعلم لم يعد المصدر الوحيد للعلم والمعلومات

العربية، واستراتيجية محو الأمية في البلاد العربية والخطة العربية لتعلم الكبار والاستراتيجية العربية للتربية السابقة على المدرسة الابتدائية واستكمالا لجهدها في هذا المجال تقوم المنظمة بإعداد الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي، والاستراتيجية العربية للتعليم عن بعد، كما تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعقد مجموعة من المؤتمرات الوزارية الدورية في مجال التربية والتعليم بهدف التنسيق بين سياسات الدول الأعضاء والتخطيط للعمل العربي، المشترك في هذه المجالات ، وفي إطار المساعدة على تأليف الكتاب المدرسي والتقريب عربيا بين مضامين بعض المواد التعليمية أعدت المنظمة مجموعة من الكتب المدرسية منها الكتاب المرجع في العلوم المتكاملة لمرحلة التعليم الأساسي بالوطن العربي، ومرجع التعليم البيئ لمراحل التعليم العام في الوطن العربي، والكتاب المرجع في الكيمياء للمرحلة الثانوية في الوطن العربي والكتاب المرجع في قواعد اللغة العربية لمراحل التعليم العام ، وفي مجال التدريب وإعداد الموارد البشرية قامت المنظمة بتنظيم الكثير من الدورات التدريبية وورش العمل في مجالات تربوية متعددة منها إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتدريب معلمي اللغة العربية في عدد من الدول العربية وتدريب العاملين والمدربين في مجالات رياض الأطفال والتعليم المهني وتربية المعاقين والعناية بالموهوبين، كذلك أعدت المنظمة عدداً من الأدلة والحقائب التعليمية والتدريبية في مختلف المجالات وأيضا تقوم المنظمة بدور فعّال من خلال مجالات نشاطاتها المختلفة في تأسيس ثقافة الحوار مع الآخر والاعتراف به في إطار من الندية التي لا تمس ثوابت الحق أو مكونات الهوية وتحاول أن تدخل هذا التوجه في المنظومة التعليمية من اجل تنشئة جيل متمسك بهويته قادر على التفاعل في عالم لم تعد تفصله حواجز ومن ثم قادر على مواصلة دوره الحضاري ●



ولا تفسدوا
في الأرض
بعد إصلاحها

الأمن البيئي في ضوء الشريعة الإسلامية

محمد عبدالقادر الفقي



«الأمن البيئي» اصطلاح شاع استخدامه في السنوات الأخيرة، ويقصد به حماية البيئة ضد الجرائم التي ترتكب في حقها، والتي تؤدي إلى هلاك الحرث والنسل، أو إتلافهما، أو إحداث ضرر بالمنشآت والمعدات بفعل تأثير الملوثات البيئية الناجمة عن هذه الجرائم، أو الإفساد المتعمد لمكونات البيئة الطبيعية، أو الإخلال بالتوازن البيئي.

ولا شك أن الأمن - بجانبيه المادي، والمعنوي - هو الهدف الأسمى الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه. ولذلك، فإن وعد الله الحق للمؤمنين الصادقين قد ورد في أحد التعبيرات القرآنية السامية ملخصاً بكلمة واحدة هي «الأمن»(١)، قال تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام:٨٢.

وقد منَّ الله على قريش بأن أمنهم - عز وجل - من خوف، قال تعالى: (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) قريش:٤.

ويعد الأمن من أهم مطالب الحياة، بل لا تتحقق أهم مطالب الحياة إلا بتوافره، حيث يعدُّ الأمن ضرورة لكل جهد بشري، فردي أو جماعي، يستهدف تحقيق مصالح الشعوب. ومن لطائف العربية أن «الأمن» و«الإيمان» من جذر لغوي واحد هو «أمن». ولا يخفى ما في ذلك من دلالات.

ويقصد بالأمن في اللغة: زوال الخوف. وهو يجعل اسماً لما يؤمن عليه الإنسان. قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) الأنفال:٢٧، فقوله: (ولا تخونوا أماناتكم) أي ما اؤتمنتم عليه(٢)، ومما يؤمن عليه الإنسان بيئته التي يعيش فيها، بحيث يحصل لديه شعور بالاطمئنان على سلامتها من التلوث أو الإفساد أو الإهدار(٣).

وقد عرَّف الجرجاني «الأمن» بأنه «عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»(٤)، ومن هذا المنطلق، فالأمن البيئي يُقصد به: حصول الاطمئنان على البيئة ومواردها في الحاضر والمستقبل.(٥)

ويشعر الإنسان بالأمن إذا كان مطمئناً على صحته، وعلى عمله، وعلى مستقبله، وعلى أولاده، وعلى ماله(٦)، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» رواه الترمذي وابن ماجه.

والأمن المطلق لا يوجد إلا في دار النعيم. أما في هذه الحياة الدنيا، فالأمن المطلق غير واقع، إذ يشوبه الخوف من انقطاعه، والخوف من زوال الحياة نفسها، ولهذا لا يشعر بالأمن المطلق من عذاب الله إلا الغافلون الخاسرون، في حين يظل حال المؤمنين حقاً بين الرجاء في رحمة الله عز وجل، والخوف منه سبحانه، وهو ما يعد ضرورياً للمسلم حتى يأمن من ظلمه لنفسه، ومن ظلمه لغيره(٧)، ومن ظلمه لما في البر والبحر من أحياء وموجودات، ومن ظلم غيره له. والمجتمع الآمن هو الذي يشعر فيه الناس بحرمة الأنفس والأعراض والأموال فيما بينهم، وهو المجتمع الذي تتحقق فيه خيرية الأمة، فيكون أبناؤه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، فيراعي الجار حرمة جاره، ويرفق القوي بالضعيف، ولا يحدث فيه بغي أو إفساد.

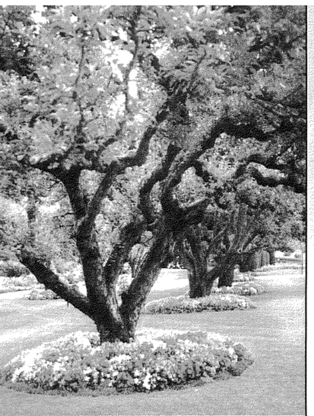
ولا يتحقق الأمن البيئي إلا إذا شعر الإنسان بالسلام مع نفسه، وأدرك أهمية دوره في الحياة ودور البيئة من حوله في توافر المقومات التي تعينه على الحياة وعلى عبادة خالقه.

ولقد كان الأمن البيئي هو هاجس المجتمعات البشرية منذ أيامها الأولى، ودليلنا على ذلك ما ترويه لنا قصص التاريخ القديم، ولعلنا نتذكر قصة نبي الله يوسف - عليه السلام - مع عزيز مصر، وكيف أن يوسف وضع له خطة أمنية لمواجهة خطر المجاعة المقبلة، قال تعالى: (قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) يوسف: ٤٧:٤٩.

إن يوسف - عليه السلام - وهو يعبر الرؤيا نصح القوم بأن يزرعوا أرض مصر سبع سنين دأباً ومتتابعة، وأرشدهم إلى أمثل طريقة لحفظ الحبوب وهي إبقاؤها في سنابلها، وحذرهم من سني الشدة

من أجل بيئة سليمة

السبع وبيّنها لهم، وبشّرهم بما اختص الله به العام الخامس عشر من نزول الغيث وظهور الثمار بكثرة للدرجة التي يعصر الناس معها ما يريدون عصره(٨). ومن المدهش حقاً أن أحد الباحثين «المغاربة» المعاصرين اكتشف أن حفظ القمح في سنبله يحميه من الآفات ومن الرطوبة، وتظل أجنة القمح حية وصالحة للإنبات مدة طويلة. ووجد هذا الباحث، أن الفترة المثالية لحفظ القمح بهذه الطريقة هي خمسة عشر عاماً، وهي فترة تعادل مجموع كل من السنوات التي لم ينقطع فيها مدد الماء والسنوات العجاف والعام الذي أغيث فيه المصريون، أما إذا أخذت حبوب القمح من سنابلها وفصلت منها فإنها سرعان ما تتلف من تأثير رطوبة الجو ومن هجوم الآفات، وتكون النتيجة أن تهلك أجنة الحبوب في بضع سنين معدودات لا تتجاوز السبع بحال من الأحوال.



وربما كان أول قانون صدر بشأن أمن البيئة هو ذلك القانون الذي أصدره «حمورابي»، حيث وضع من جملة قوانينه، قانوناً يحمي التربة الزراعية، وينادي بزراعتها موسماً وتركها موسماً ثانياً، إذا زرعت بالبقوليات. ويشير قانون «حمورابي» هذا بصورة واضحة إلى أمن التربة الزراعية وحماية خصوبتها ومكوناتها الغذائية.

وشرع الملك الآشوري «ميراوخ بالدوران» في العام ٧٢٠ قبل الميلاد قانوناً لحماية النباتات الطبية واستزراعها والمحافظة عليها، وأنشأ أول حديقة نباتية في عهده، زرع فيها أكثر من ستين نوعاً من النباتات، وترك أول رسالة علمية في حماية وصيانة هذه النباتات المفيدة.

أما في أيام العرب في الجاهلية، فقد أخذ الأمن البيئي شكلاً وأنموذجاً آخر، حيث كانت الموارد البيئية آنذاك تكاد تقتصر على الكلأ والمرعى والمياه، ونظراً لأهمية الكلأ والمرعى في حياة الجاهليين، كان الشريف منهم إذا نزل أرضاً استعوى كلباً، فحمى لخاصته مدى سماع عواء الكلب، لا يشاركه ولا يرعى فيه معه أحد.(٩)

وبرغم ذلك كانت الحروب لا تنفك رحاها عن الدوران بسبب التنافس على امتلاك المراعي وآبار المياه. الأمر الذي كان يزعزع دعائم الأمن البيئي آنذاك، وكانت البيئة دائماً ضحية من ضحايا هذه الحروب. كما كانت البيئة ضحية من ضحايا هجرات بعض القبائل، على نحو ما نراه في هجرة الأزد بعد تدمير سد مأرب. ويحدثنا عن ذلك «الهمداني» فيقول:

«ولما خرج عمر مزيقياء بن عمار ماء السماء، هو ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد، وظهر إلى مخالف خولان وأرض عنس وحقل صنعاء، فاقبلوا لا يمرون بماء إلا أنزفوه، ولا بكلأ إلا أسحقوه...»(١٠).

ولما جاء الإسلام وضع حداً للحروب التي كانت تقوم بين القبائل العربية وسببها - في أغلب الأحيان - المراعي وآبار المياه، وأشار، صلى الله عليه وسلم، إلى أنه لا حمى إلا لله ورسوله. قال الشافعي - رضي الله عنه - في تفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا حمى إلا لله ورسوله»:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحمي على الناس المرعى، كما كانوا في الجاهلية يفعلون، وقوله «إلا لله ورسوله»: إلا ما يحمي لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد، ويحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة. كما حمى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة في سبيل الله(١١).

الشريعة الإسلامية سبقت القوانين الوضعية الخاصة بحماية البيئة من خلال ما تضمنته من أحكام

ويلاحظ أن «أمن البيئة» بمستوياتها المختلفة «منزلاً كانت أو شارعاً أو سوقاً أو مدينة أو خلاء» كان أمراً مهماً بالنسبة للمسلمين، فقد أولوه رعاية كبيرة، وكان مفهوماً شمولياً لم يقتصر على الأمن من اللصوص والعدوان، والأمن من التلوث البيئي الناجم عن النفايات والأدخنة والروائح الكريهة والضوضاء، بل امتد ليشمل الجوانب الخلقية مثل الحفاظ على الآداب العامة وأمن الخصوصية، ولم يقتصر الأمر على مجرد توافر هذا الأمن، بل إن تعاليم الإسلام ترى ذلك حقاً من حقوق المكان، أي حقوق البيئة، وما زالت كلمات خاتم أنبياء البشرية محمد صلى الله عليه وسلم تملأ أسماعنا، وذلك في حديثه الذي أمر به المسلمين بأن يعطوا الطريق حقه، وحينما سألوه: «وما حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» رواه مسلم(١٢)

نطاق حماية البيئة في الإسلام

يقصد بنطاق حماية البيئة: المدى الذي تمتد إليه هذه الحماية، ويتحدد هذا المدى من زاويتين:

الأول: تتعلق بنوعية المصالح محل الحماية.

والثانية: تتصل بنوعية المساس المحظور، بمعنى: هل يكتفي بالحماية من الاعتداء، أم تشمل الحماية منع خطر الاعتداء.

والبيئة المقصودة بحماية التشريع الإسلامي هي:

١ - البيئة الطبيعية: أي الوسط الذي يحيط بالإنسان مثل الهواء والماء والتربة والأحياء التي تعيش في هذا الوسط من حيوانات وطيور، بالإضافة إلى النباتات المختلفة.(١٣)

٢ - البيئة المشيدة: أي الوسط الذي ابتدعه الإنسان كالآثار والإنشاءات المدنية والسدود(١٤)، ولا خلاف بين العلماء على أن الشريعة الإسلامية تبني أحكامها على مصالح العباد «وهذه المصالح من وضع الشارع الحكيم»(١٥)، ويؤيد جمهور الفقهاء الاجتهاد بالرأي تحقيقاً لصالح العباد «فيما لم يرد فيه نص». وتقوم القواعد الفقهية على أسس أبرزها: التنسيق أو المواءمة بين المصالح

الفردية المتعارضة، أو بين المصالح العامة مثل: قاعدة «الضرر يُزال»، وقاعدة «الضرر الأشد يزال بالأخف»(١٦). وقد قسَّم إمام الحرمين «أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني» (ت٤٧٨هـ) المصالح من حيث قوتها إلى:

١ - ما يتعلق بالضرورات مثل القصاص، فهو معلل بحفظ الدماء المعصومة والزجر عن التهجم عليها(١٧).

٢ - ما يتعلق بالحاجة العامة ولا ينتهي إلى حد الضرورة، مثل الإجارات بين الناس(١٨).

٣ - ما ليس ضرورياً ولا حاجياً حاجة عامة، وإنما هو من قبيل التحلي بالمكرمات والتخلي عن نقائضها، مثل الطهارات.

٤ - ما لا يتعلق بحاجة ولا ضرورة، ولكنه دون الثالث بحيث ينحصر في المندوبات(١٩)، فهو في الأصل مثل الضرب الثالث، حيث يتعلق بـ«الاستحثاث على مكرمة لم يرد الأمر على التصريح بإتيانها، بل ورد الأمر بالندب إليها»(٢٠).

٥ - ما لا يظهر له تعليل واضح ولا مقصد محدد، لا من باب الضرورات، ولا من باب الحاجات ولا من باب المكرمات، وهذا يندر تصوره جداً، وقد مثل «الجويني» لها بالعبادات البدنية المحضة التي «لا يتعلق بها أغراض دفعية ولا نفعية»(٢١)، أي لا يظهر فيها درء مفسدة ولا جلب مصلحة.

ويرى «أحمد الريسوني» أن ثمة تداخلاً بين الضربين الثالث والرابع، بحيث يمكن دمجهما معاً، كما أن الضرب الخامس يمكن أن يدرج تحت أحد الضروب الثلاثة الأولى(٢٢)، وعلى هذا فإن المصالح تنقسم من حيث قوتها إلى ثلاث مراتب: مصلحة ضرورية، ومصلحة حاجية، ومصلحة تحسينية.

وقد أخذ الإمام الغزالي بهذا التقسيم، وسايره في ذلك الإمام أبو إسحاق الشاطبي وجمهور الفقهاء.(٢٣)

والمصلحة الضرورية «لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت الحياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين»(٢٤).

وتنحصر المصالح الضرورية في حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.(٢٥)

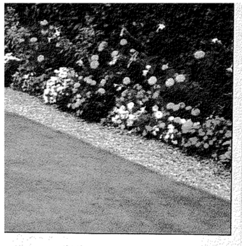
أما المصالح الحاجية فهي «ما افتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة»(٢٦)، ولقد مثَّل الأصوليون لهذا القسم من المصالح من العادات بإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال، مأكلاً ومشرباً، وملبساً، ومسكناً، ومركباً، وما يُقاس على ذلك(٢٧).

أما المصالح التحسينية فهي الأعمال والتصرفات التي تكفل «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق»(٢٨)، ومثال هذه المصالح: إزالة النجاسة، والطهارات كلها، وستر العورة، وأخذ الزينة(٢٩).

فهذه الأحكام غير ضرورية للحفاظ على المقاصد الكلية، وليس محتاجاً إليها فيه، ولا يلزم من عدم تشريعها حرج شديد ولا مشقة زائدة غير أن هذه الأحكام تجري مجرى التحسين والتزيين.(٣٠)

وهكذا، نجد أن التشريع الإسلامي يقوم على المصلحة، وقد عبر الأصوليون عن ذلك بقولهم: «حيث وجدت المصلحة فثمت شرع الله». ويقول الإمام ابن القيم: «إن الشريعة مبناها وأساسها العدل وتحقق مصالح العباد في المعاش، والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها التأويل»(٣١)، ويقول «الشيخ عبدالوهاب خلاف»: «إنما تربط جميع الأحكام بالمصالح، إذ الغاية منها جلب المنافع ودرء المفاسد، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان ينهى عن الشيء لمصلحة تقتضي النهي ثم يبيحه إذا تغيّرت الحال وصارت المصلحة في إباحته... فغاية الشرع هو المصلحة والسبيل إلى تحقيق المصلحة حيث لا نص من قرآن أو سنَّة هو اجتهاد الرأي»(٣٢).

وتحقيق المصالح يختلف باختلاف الظروف، فما يعد مصلحة في ظروف معينة لا يعد كذلك في ظروف أخرى، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات»: «إن الشأن في معظم المنافع والمضار أن تكون إضافية لا حقيقية، فهي منافع ومضار في حال دون حال، وبالنسبة إلى شخص دون شخص، أو وقت دون وقت(٣٣)»، كذلك ترتب المصالح التي يقصدها الشارع بحسب أهميتها، فيقدم ما هو ضروري على ما هو حاجي، ويقدم ما هو حاجي على ما هو تحسيني، بل إن الضرورات ليست في مرتبة واحدة، فلا تراعى ضرورة إذا كان في مراعاتها إخلال بضرورة أهم منها، وبالمثل الحاجات والتحسينات»(٣٤)



وبإعمال الأحكام المتقدمة المتعلقة بفكرة المصلحة في الفقه الإسلامي على حماية البيئة في الإسلام نستنتج ما يلي:

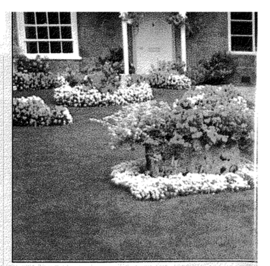
١ - إن أغلب المصالح البيئية المشمولة بحماية التشريع الإسلامي هي مصالح ضرورية كحفظ النفس والنسل والمال والعقل، وبتعبير آخر، فإن هذه المصالح تستهدف حماية حق الإنسان في حياة آمنة، وحماية مصالحه الاقتصادية، وحماية حاجاته المستقبلية أيضاً.

والإسلام يحافظ على المصالح الأساسية حينما يطلب من البشر عدم الفساد في الأرض، إذ يقول تعالى: (يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العنكبوت:٣٦، ويقول تعالى: (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) البقرة:٦٠، ويقول تعالى أيضاً: (ولا تطيعوا أمر المسرفين. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الشعراء: ١٥١ - ١٥٢، ويقول عز من قائل: (ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) المائدة:٦٤.

٢ - إن جانباً من المصالح البيئية المشمولة بحماية التشريع الإسلامي هي مصالح حاجية، أي أنها مصالح ليست ضرورية للحفاظ على أصول المصالح الكلية، وإنما هي مصالح تكمل ذلك.

ومن صورة المصالح الحاجية التي يحميها التشريع الإسلامي: مصلحة الإنسان في الحفاظ على صحة البيئة. فصحيح أن عدم الحفاظ على صحة البيئة لن يفوِّت مصلحة من المصالح الضرورية، غير أن الحفاظ على المصالح الضرورية لا يكون أكمل وأتم إلا إذا روعيت مصلحة الإنسان في صحة البيئة. ويؤيد هذا ويؤكده قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه» رواه الترمذي، ويقول صلى الله

من أجل بيئة سليمة



عليه وسلم أيضاً: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة» رواه المنذري في الترغيب والترهيب. ويقول كذلك: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» رواه أبوداود وابن ماجة.

٣ ـ إن جانباً من المصالح البيئية المشمولة بحماية التشريع الإسلامي هي من المصالح التحسينية، فهي حماية ليست ضرورية للحفاظ على المقاصد الكلية، ولا محتاج إليها. كما لا يلزم من عدم تشريعها حرج شديد ولا مشقة زائدة، غير أن هذه الحماية تجري مجرى التحسين والتزيين.

ونخلص من كل ما تقدم أن التشريع الإسلامي يحمي البيئة بوجه عام، وأنه لم يفرط في حماية أي عنصر من عناصرها، فهو يحمي الحياة الآمنة للإنسان، ويحمي مصالحه الاقتصادية وحاجاته الاقتصادية وغيرها من المصالح البيئية الأخرى(٣٥)، وفي حال المساس بالبيئة، أي الاعتداء عليها، فإن الشريعة الإسلامية تلزم المعتدي بالتعويض إذا تسبب اعتداؤه في إحداث ضرر بالبيئة، قال ابن جزي: «إذا تجاوز الحد في فعله، فتولد منه تلف، يضمنه»(٣٦)، والضمان «أي التعويض» من الجوابر وليس من الزواجر، والجبر لا يكون إلا لوجود ضرر، أما المسؤولية الجنائية عن المساس بالبيئة فيكفي في شأنها مجرد حصول تهديد للمصلحة البيئية، ومن باب أولى تقرر هذه المسؤولية إذا نتج من هذا المساس ضرر بالمصلحة المذكورة.(٣٧)

وهكذا نجد أن الشريعة الإسلامية سبقت القوانين الوضعية الخاصة بحماية البيئة، من خلال ما تضمنته من أحكام تتعلق بتحقيق الأمن البيئي والحفاظ على عناصر البيئة ومكوناتها، ولم تقتصر الشريعة الإسلامية في هذا المجال على تحديد أساليب الثواب للمحسنين للبيئة والعقاب للمسيئين لها، بل تعدت ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع البيئة سلوكاً حميداً يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه، ومن خلال الالتزام بهذه الأخلاق كان خليفة المسلمين يحاسب نفسه إذا تعثرت دابة في العراق لأنه لم يمهد لها الطريق، ويا ليتنا في هذا الزمان الذي استفحلت فيه مشكلات التلوث البيئي نتحلى بهذه الأخلاق، فلو فعلنا لحققنا الأمن البيئي في أكمل وأبهى صوره، وفضلاً عن ذلك، فإننا نكون قد أرضينا رب العالمين، وعشنا سعداء، والله الهادي إلى سواء السبيل ●

الهوامش:

١ ـ دور الأجهزة الأمنية في حماية البيئة من التلوث، وثائق المؤتمر العربي الرابع لرؤساء أجهزة الحماية المدنية المنعقد في تونس خلال الفترة من ٣ ـ ٥ جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ١٨ ـ ٢٠ أكتوبر ١٩٩٣م، جامعة الدول العربية، ص ٣١.

٢ ـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، صفحة ٢٥.

٣ ـ د.أحمد عبدالعزيز الحليبي، أمن البيئة في الإسلام، مجلة الأمن، العدد الثالث عشر، رمضان ١٤١٧هـ، صفحة ١٧.

٤ ـ علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العربية، صفحة ٣٧.

٥ ـ د.أحمد عبدالعزيز الحليبي، أمن البيئة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٧.

٦ ـ خيري محمد إبراهيم، الأمن في القرآن، مجلة الأزهر، عدد صفر ١٤١٩هـ، صفحة ٢٨٦.

٧ ـ د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمن في الإسلام وتطبيق المملكة العربية السعودية السياسة الجنائية الإسلامية، المجلة العربية، العدد ٢٥٤، ربيع الاول ١٤١٩هـ / يوليو ١٩٩٨م، صفحة ٩٠: ٩٣.

٨ ـ د.حسن محمد باجودة، لمحة اقتصادية من زاوية قرانية، مجلة المنهل، الربيعان ١٤١٩هـ/ يوليو وأغسطس ١٩٩٨م، ص ٥٤، وانظر د.يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، مؤسسة صفحة ٤٤.

٩ ـ د.عواد جاسم الجدي، الأمن البيئي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٣٥٠، شوال ١٤١٥ه/ مارس ١٩٩٥م، ص ٧٠.

١٠ ـ الحسين بن أحمد يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، نشرة مولر، ليدن بريل، ١٨٨٤م، ص ٢٠٦.

١١ ـ د.عواد جاسم الجدي، الأمن البيئي، مرجع سابق، ص ٧.

١٢ ـ د.محمد محمود محمدين، الأمن البيئي في تراثنا الإسلامي، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة العشرون، محرم ـ صفر ـ ربيع الأول ١٤١٥هـ، ص١٦٣.

١٣ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٢٣، السنة السادسة، ربيع الأخر ـ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ أكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٤م، الرياض، ص ١٣.

١٤ ـ المرجع السابق، ص ١٧.

١٥ ـ أبومحمد عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٠٢هـ، الجزء الأول، ص ٨.

١٦ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص ٢٠.

١٧ ـ أبوالمعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبدالعظيم الديب، الطبعة الثانية، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ، الجزء الثاني، ص ٩٢٣، ٩٢٧.

١٨ ـ المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٩٢٤ و٩٣٧.

١٩ ـ المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٩٢٥ و٩٤٧.

٢٠ ـ المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٩٤٧.

٢١ ـ المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٩٢٦.

٢٢ ـ أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشافعي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، صفحة ٤٩: ٥١.

٢٣ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص ٢١.

٢٤ ـ أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ، الجزء الأول، ص ٢٨٤ وما بعدها، ص ٣١٠ وما بعدها.

٢٥ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص ٢١.

٢٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، الجزء الثاني، دار التحرير للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ، صفحة ٨.

٣٧ ـ د.حسين حامد حسان، نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٦٨١، صفحة ٢١ وما بعدها.

٢٨ ـ أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مرجع سابق، الجزء الثاني، صفحة ١١.

٢٩ ـ المرجع السابق، الجزء الثاني، صفحة ١١ وما بعدها.

٣٠ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص٢٢، وانظر أيضاً: د.حسين حامد حسان، نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٠.

٣١ ـ د.محمد شوقي الفنجري، الاقتصاد الإسلامي واتجاهاته، سلسلة دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٥ صفر ١٤١٩هـ/ يوليو ١٩٩٨م، ص ٣٣: ٣٤، نقلاً عن: الإمام ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، الجزء الثالث.

٣٢ ـ عبدالوهاب خلاف، السياسة الشرعية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ، صف ٦: ٧.

٣٣ ـ أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مرجع سابق، الجزء الثاني ص ٢٠٩، ٢٤١، ٢٦٨.

٣٤ ـ د.محمد شوقي الفنجري، الاقتصاد الإسلامي واتجاهاته، مرجع سابق، ص٣٥: ٣٦.

٣٥ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص٢٢:٢٤.

٣٦ ـ محمد بن أحمد بن جزى الكلبي المالكي، القوانين الفقهية، بيروت، من دون تاريخ، ص٣٢٢.

٣٧ ـ د.محمود صالح العادلي، الإسلام وحماية البيئة، مرجع سابق، ص٢٥:٢٧.الرسالة، بيروت ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م،



ولا تفسدوا
في الأرض
بعد اصلاحها





معالجة قضايا البيئة في الإسلام

بقلم: أ.د.أحمد عمر هاشم. رئيس جامعة الأزهر

لقد حض الإسلام على المحافظة على البيئة، فنهى عن كل ما فيه ضرر، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار» وجعل من شُعَبِ الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون شعبة» وفي رواية أخرى: «بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

ويحافظ الإسلام على الطرقات كجزء مهم من البيئة، فينهى عن تكلف الجلوس فيها، لما يترتب على ذلك من تضييق الطرق وبعض الأذى، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا يا رسول الله ما لنا بد منها إنها مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر وكف الأذى وردّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

فنرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل كفّ الأذى من حقوق الطريق التي يجب أن تُصان وأن يلتزم بها الناس.

وحذَّر الإسلام من إهلاك الحرث والنسل، ونعى على من يفعل. حيث قال الله تعالى: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد» البقرة: (٢٠٥).

وقال تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الأعراف:٨٥.

ووضح القرآن الكريم أن الله تعالى سخَّر لنا ما في السموات وما في الأرض وأسبغ علينا نعمه التي يجب علينا أن نحافظ عليها فقال سبحانه: (ألم ترَوْا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان:٢٠.

ووضح سبحانه أن من نعمه علينا في بيئتنا أن سخر البحر وما فيه لنا، فقال سبحانه وتعالى: (وهو الذي سخَّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حِلْيَةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) النحل:١٤.

ومن دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة

ـ دعوته للنظافة، وتنظيف الطرقات والأفنية والمنازل فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذي.

ـ ويوضح عليه الصلاة والسلام ثواب الحفاظ على نظافة البيئة، وإبعاد الأذى عنها، فيكافئ الله من أدى عملاً في هذا المجال ولو كان يسيراً مثل تنحية غصن الشوك عن الطريق فيكون ذلك سبباً لجزاء الله لصاحبه وغفران الله له، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له» رواه البخاري ومسلم.

بل إن الله تعالى يكافئ من رفع الأذى من طريق الناس بالجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» رواه مسلم.

ـ ومن دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة من أي تلوث نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن الملاعن كما سماها في الحديث: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل» رواه أبو داود وابن ماجه.



- وكما حذَّر من الايذاء المادي حذَّر من الايذاء السمعي والتلوث السمعي قال الله تعالى: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان:١٩.

- كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد، حفاظاً على نقاء الماء ونظافته، وعدم تلوُّثه فقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه» رواه البخاري.

- وهكذا نرى أن الإسلام دعا إلى ما فيها الحفاظ على صحة الإنسان وحياته وسخَّر له ما في الحياة وكرَّمه. قال الله تعالى: (ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

وسخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، وهي نعم لا تعد ولا تحصى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض) لقمان:٢٠.

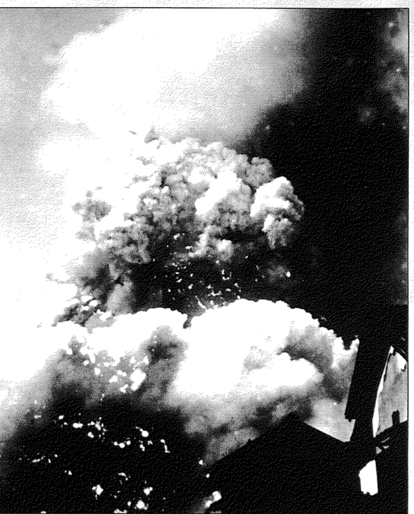
- وتتضح أسباب تلوث البيئة في كثير من الظواهر منها:

- قيام المصانع وما تفرزه من مخلفات وعوادم.

- سوء استخدام بعض المواد من المخصبات والمبيدات كاستخدامها بكثرة والإفراط فيها.

- واستخدام الطاقة النووية في كثير من المواقع والمصانع وعوادم السيارات وما أكثر ما تفرزه وسائل النقل منها.

التفجير النووي هو أخطر ما يصيب البيئة لأنه يؤثر في الجو والبحر والبر



وتظهر أشكال التلوث فيما يلي:

١ - التلوث المائي بما يختلط به من نفط أو مخلفات المصانع أو نفايات المدن.

٣ - التلوث الأرضي بما يضاف إليها من مخصبات ومبيدات حشرية.

٤ - التلوث السمعي بالضوضاء وله مخاطره على الإنسان في ضعف السمع ويؤثر على الأعصاب.

٥ - التفجير النووي، وهو أخطر ما يصيب البيئة العالمية لأنه يؤثر في الجو والبحر والبر وينقل الهواء والماء التلوث من بلد إلى آخر ومن دولة إلى أخرى.

وواضح أن التلوث مشكلة محلية وعالمية، وأنه ينتقل بالهواء وبالماء عن طريق التيارات المائية أي أن أسباب التلوث العالمي تظهر من خلال ما يلي:

١ - نقل التلوث عن طريق الرياح من بلد إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

٢ - نقل التلوث عن طريق التيارات المائية من موقع إلى آخر.

٣ - نقل التلوث عن طريق التجارة العالمية والدولية كما يحدث في نقل بعض المواد الغذائية الملوثة من مناطق منتجة إلى أخرى مستهلكة.

والطريق إلى علاج التلوث تتخلص فيما يلي:

١ - ألا تنشأ المصانع داخل المناطق السكنية.

٢ - الاستكثار من زراعة الأنواع المقاومة لأضرار بعض الغازات.

٣ - تعديل تصميم بعض وسائل النقل.

٤ - الاستكثار من مساحة الأراضي الزراعية الخضراء.

٥ - التشريعات القانونية التي تلزم الناس وأصحاب المصانع والمؤسسات بمكافحة التلوث.

٦ - وأهم طريق للعلاج هو غرس الضمير الديني الذي يجعل من الإنسان رقيباً على نفسه وعلى عمله وذلك بتوضيح جرائم التلوث وما يترتب عليه من أضرار، وما على من يحوثه من أوزار فإن مراعاة الإنسان لمثل ذلك دينيا له أكبر الأثر وأهم كثيراً من القوانين التي يتحايل عليها ويمكن الإفلات منها. أما الوازع الديني النابع من قلبه الخائف من ربه فسيكون له أكبر الأثر ●



ولا تفسدوا
في الأرض
بعد اصلاحها

الإسلام وحماية البيئة النباتية

بقلم: حسن عبدالفتاح



إن الأحياء النباتية لها دور كبير في المحافظة على تناسب مكونات الطبيعة والمحافظة على اتزانها واستمرار الحياة عليها. وقد قال الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز:

(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) الأنعام: ١٤١.

وقد تعرض الحق عزَّ وجلَّ - لفوائد الشجر والنخيل فقال تعالى:

(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) المؤمنون: ٢٠.

وشجرة الزيتون هي شجرة دائمة الخضرة، وتزود الجو بالأكسجين على مدار فصول السنة من دون توقف وتعد شجرة الزيتون من أكثر الأشجار تواضعاً حيث تنمو في كل مكان سواء كان شرقياً حاراً أو غربياً بارداً ولا تحتاج أشجار الزيتون إلى رعاية خاصة فهي إحدى معطيات الخالق - عز وجل - التي أنعم بها على عباده عندما فطر السموات والأرض (١).

أما الأحاديث النبوية الخاصة بالنبات والزرع والحفاظ عليهما فهي متعددة، نذكر منها:

● عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة». رواه البخاري.

● عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليزرعها أخاه» رواه مسلم.

بل حرص الإسلام أشد الحرص على الزراعة والغرس، حتى ولو في آخر لحظات العمر، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، : «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها» - رواه البخاري.

وفي المقابل نهى الإسلام عن الفساد وإتلاف الزرع والحرث بقطعه أو حرقه لغير منفعة، فقال الحق - عز وجل -: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) - البقرة ٢٠٥.

ويذكر المفسرون أن الآية نزلت في الأخنس ابن شريق، حيث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزعم أنه يريد الإسلام ثم خرج من عند النبي - صلى الله عليه وسلم، فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر. (٢)

كما ورد في السنة النبوية الشريفة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» - رواه أبو داود.

ويذكر التاريخ في هذا الصدد وصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لجيوش الفتح المتوجهة إلى الشام قائلاً لهم: «... لا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله...» - «تاريخ الطبري».

ويتضح من تلك الوصية دعوة الإسلام للحفاظ على الحياة البرية من نبات وحيوان وطير وبهذا فإنها تمثل تشريعاً متقدماً للمحاربين في أسلوب الحفاظ على البيئة من الإتلاف والتدمير والقطع والحرق والقتل، الأمر الذي يدل على عظمة الإسلام وسموه ورقيه على التشريعات الأخرى في حماية البيئة والطبيعة. (٣).

والآن ومع التقدم العلمي والصناعي لم تسلم الحياة النباتية من التدمير سواء كان هذا التدمير ناتجاً من قطع أشجار الغابات وظهور بوادر التصحر، أو الرعي الجائر للحشائش الطبيعية، أو نتيجة لاستخدام المبيدات الحشرية والكيماويات في الأرض.

من أجل بيئة سليمة

وعلى سبيل المثال فإن الغابات الآن لا تغطي سوى ٢٤ مليون كم٢ من مساحة اليابسة بينما كانت مساحتها تتجاوز ٣٧ مليون كم٢، فاختل التوازن بين عناصر الطبيعة وزالت



التربة في كثير من الأماكن واختل تصريف الأنهار، وتأثرت موارد الأخشاب ذات القيمة، وزيادة الطلب على الأخشاب تلزم الإنسان بالحفاظ على الغابات وتنظيم استغلالها ولاسيما في الأقاليم المعتدلة الحرارة والتي تعد أكثر مناطق العالم إسرافاً في إزالة الغابات. وقد جاء في مؤتمر قمة الأرض «ريودي جانيرو» العام ١٩٩٢م، أن الغابات الاستوائية تفقد من أشجارها كل عام مساحة تعادل مساحة دولة النمسا، بينما يفقد العالم كله نحو ١٨ مليون هكتار من الغابات سنوياً (٤).

ومن جهة أخرى هناك ما يزيد على ٩٠ دولة تواجه مشكلة التصحر حيث انخفضت إنتاجية أراضيها خلال عشرين عاماً بمعدل ٤٠٪ ويؤكد الخبراء أن احتمال نقص الأراضي القابلة للزراعة تصل إلى ٢٥٪ من الأراضي المزروعة في الدول النامية حتى العام ٢٠٠٠م (٥).

وتدل الأرقام التالية بوضوح على ما يلتهمه غول التصحر سنوياً من مقدرات الحياة الطبيعة:

- تدهور ٢١ مليوناً من الهكتارات من الأراضي الزراعية، بحيث أصبحت زراعتها غير مجدية اقتصادياً.
- يسبب التصحر خسائر اقتصادية تقدر بنحو ٢٦ ألف مليون دولار سنوياً.
- يقدر زحف الصحراء في السودان بنحو ١٠ كيلو مترات سنوياً كما يقدر معدل انخفاض الغابات في المغرب بنحو ٣٠ ألف هكتار في الفترة من ١٩٤٠م إلى ١٩٨١م، أما تونس فقد بلغ معدل انخفاض غابات الصنوبر بنحو ١٨٠٠ هكتار سنوياً (٦).

خلاصة القول:

حرص الإسلام حرصاً شديداً على الاهتمام بحماية البيئة النباتية من خلال سن تشريعات مختلفة بعضها جاء بالقرآن الكريم وبعضها ورد بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو خلفائه من أجل أن يستمتع الإنسان بفوائدها الجليلة ومناظرها الجميلة وثمارها اليانعة، الأمر الذي يدل على عظمة الإسلام وسموه ورقيه وسبقه للتشريعات الأخرى في الحفاظ على البيئة النباتية ●

الهوامش:

(١) د. زين العابدين متولي: نحو بيئة أفضل، س قضايا إسلامي، العدد (٤٣)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٦٠.

(٢) راجع الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعارف، القاهرة،، د. ت، ج ٤، ص ٢٢٩ وما بعدها.

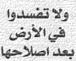
(٣) د. علي علي السكري: البيئة من منظور إسلامي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ١٦.

(٤) عبدالعظيم أحمد عبدالعظيم: الإسلام والبيئة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٥٤ باختصار.

(٥) د. ممدوح حامد عطية: إنهم يقتلون البيئة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٧٣.

(٦) د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الايماني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥٩، ٦٠.





التلوث الضوضائي

د.زين العابدين متولي. أستاذ الفيزياء الجوية. علوم القاهرة



الأصوات تفيد الإنسان والحيوان فأصوات الطبيعة تسهل لنا التعرف عليها والأنس والتمتع بجمالها، واكتشاف تقلباتها والحذر من مصائبها، وأصوات الكائنات الحية تساعدها في تعرف بعضها إلى بعض والالتقاء والتكاثر وفي البحث عن الغذاء والتجمع والهجرة وحتى في الدفاع والهجوم. والصوت عند الإنسان ضروري للاتصال ونقل الأفكار. ولذلك جعل القرآن الكريم جهاز صوت الإنسان في المرتبة الثانية بعد العينين ويتضح ذلك من الآيتين: (ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين) البلد:٨، ٩.

والصوت عبارة عن طاقة تصدر من اهتزاز أي جسم يتحرك بسرعة وتكون هذه الطاقة على شكل موجات تنتقل في الهواء أو في أي وسط آخر وتنتقل موجات الصوت في الهواء بسرعة واحدة تقدر بـ٣٢٠ متراً في الثانية بشرط أن يكون الوسط الذي تسير فيه ذا ضغط ثابت وتقاس شدة الصوت بعدة وحدات منها المللي وات أو الداين على السنتيمتر المربع أو الديسبل. والوحدة الأخيرة هي أشهر الوحدات المستعملة، والديسبل هو أدنى فرق بين صوت وآخر تستطيع الأذن البشرية أن تحسه، ولتقريب معنى هذا المقياس إلى الذهن يمكن أن نقول: إن صوت الإنسان عند الهمس المنخفض جداً، وهو أقل الأصوات التي يمكن للأذن أن تسمعها لا تزيد على ديسبل واحد، أي أن الديسبل هو أخفض صوت يمكن أن تميزه الأذن وأنه يستخدم في قياس الجهاز النسبية أو الشديدة وأول من قام بقياس الصوت على نحو وثيق هما «ألكسندر جراهام بل» مخترع التليفون، والفيزيائي الألماني «هاينر تيش هيرنز».

يختلف العلماء في طريقة تعريفهم للتلوث الضوضائي، فمنهم من يعرفه بأنه هو «أي صوت غير مرغوب فيه يكون مصدر إزعاج أو أذية للناس، والأصوات تكون غير مرغوب فيها نظراً لزيادة حدتها وشدتها وخروجها عن المألوف من الأصوات



الطبيعية التي اعتاد الإنسان سماعها، ومنهم من يقول: «إن الضجيج شديد حين يكون ذا طبيعة تتعارض بشكل غير معقول مع هدوء وطمأنينة وراحة أي شخص»، وعموماً فالضجيج أصبح أسوأ ملوث في عصرنا هذا، وعموماً فالجدول رقم (١) يبين شدة بعض الأصوات المألوفة.

وعموماً، فالأذن هي أفضل كاشف لمدى الإزعاج أو الضجيج... وبما أن الأذن هي أفضل كاشف للضجيج، فمن البدهي أن تكون العضو الأكثر تعرضاً للأذى ويمكن أن تتضرر الخلايا العصبية الحساسة في الأذن الداخلية وتسبب فقدان السمع.

صحيح أن الناس يتجاوبون بطرق مختلفة مع الأصوات العالية لكن التعرض المتواصل للأصوات التي تزيد على ٨٠ ـ ٩٠ ديسبلاً يمكن أن يؤدي إلى فقدان تدريجي للسمع.

وعموماً كلما ارتفعت مستويات الضجيج قل الوقت الذي يمكن قضاءه فيها دون أن يؤذي السمع والجدول رقم (٢) يبين الزمن المتواصل الأقصى المسموح به للتعرض للصوت وشدة الديسبل.

وينتج التلوث الضوضائي من الأصوات العالية التي تصدر عن تشغيل المشاغل المختلفة والهدير والصرير من عجلات العربات، خوار البقر المأخوذ إلى المذابح، صياح الباعة الجوالين في الشوارع والأسواق بصوتهم الأجش لعرض ما عندهم من بضائع ومن صياح الديوك وحركة المرور في الشوارع... ومن صفارات السفن النهرية والقطارات ومن الصوت المدوي لجهاز التسجيل، ومن جهاز إنذار أو راديو سيارة ومن بكاء الأطفال الذي يوتر الأعصاب... ومن صخب حفلات الزفاف الليلية في القرى والمدن، ومن هدير آلات قص

شدة الصوت	مصدر الصوت
١٠	صوت التنفس الطبيعي الذي يكون مثل الخشخشة أو الأصوات الخافتة أو صوت ضربات القلب.
٢٠	الهمس أو حفيف أوراق الشجر.
٥٠	المحادثة العادية وأصوات المكتبات العامة وأصوات الآلات الكاتبة
٣٠ ـ ٦٠	صوت الإنسان العادي.
٧٠	شارع مزدحم أو جرس التلفون المستمر وكذلك حركة المرور الشديدة في المدن. جهاز تكييف الهواء. التلفزيون. المكنسة الكهربائية. المحال التجارية والمطاعم وأخيراً نباح الكلب.
٩٠	آلة ثقيلة أو صوت الماء المنساب من شلال ضخم مرتفع. ضجيج الشوارع الخلاط المنزلي. آلة قطع الحشائش.
١٠٠	موسيقا الديسكو أو الجاز. آلات الطباعة في مطبعة.
١٢٠	طائرة نفاثة.
١٣٠	صوت المدفع الرشاش القريب. أصوات تسبب الألم.
١٤٠	صوت تحرك الطائرة النفاثة عند الإقلاع.
١٥٠	صفارة الإنذار.
١٧٥	صوت صاروخ الفضاء عند الإطلاق.

● الجدول رقم (١) يبين شدة بعض الأصوات المألوفة ●

وتهذيب الأشجار وضجيج المصانع بكل أنواعها وصوت وسائل المواصلات والنقل المختلفة والمكيفات والغسالات والخلاطات والمبردات.

وهناك أيضاً أصوات انطلاق صواريخ الفضاء وأصوات المدافع الرشاشة، وكل ذلك من مظاهر الحياة الحديثة الصاخبة التي لا تهدأ فيها الأصوات ليلاً أو نهاراً، وكلنا نعلم مدى الإزعاج الذي يسببه صوت أو ضوضاء قطرة ماء في منتصف الليل وما لها من تأثيرات على صحة الإنسان النفسية والاجتماعية.

هذا بخلاف وجود مصادر طبيعية مثل الانفجارات البركانية والزلازل والرعد، وهي بيئية تختفي باختفاء المؤثر وبدلاً من أن يكون الصوت وسيلة للتآنس والتمتع بجمال الحياة أصبح من دواعي متاعب الحياة، وبدلاً من أن يكون الصوت أيضاً للاتصال ونقل الأفكار أصبح وسيلة من وسائل حدوث الإزعاج والمرض والضيق.

وتشير بعض الدراسات أن هناك تأثيراً للضوضاء على الإنسان، فالضوضاء لا يسلب الحياة متعتها فحسب، بل يهدد الشخص جسدياً وعاطفياً، حيث يسبب التعرض للضجيج العالي تقلص الأوعية الدموية، ويخفض جريان الدم إلى أعضاء الجسم والجسم يتجاوب بدوره مع ذلك بإنتاج هرمونات ترفع ضغط الدم، وتزيد دقات القلب... الأمر الذي يؤدي أحياناً إلى خفقان القلب أو حتى الذبحة ومن الطريف أن الضوضاء في القرن الثالث الميلادي كانت إحدى طرق التعذيب، ويذكر لنا التاريخ أن قائد شرطة الصين «مبخ تي» كان يستخدم الضوضاء العالية المستمرة من أجراس ضخمة لإعدام خصومه، وعموماً فإنه يمكن تلخيص تأثيرات الضجيج على صحة الإنسان في النقاط التالية:

ـ الأولاد الذي يعيشون قرب

الزمن المتواصل الأقصى المسموح للتعرض	٨ ساعات	٤٠ دقيقة	٥ دقائق
شدة الصوت بالديسبل	٨٥	١٠٠	١٥٠

● الجدول رقم (٢) يبين الزمن المتواصل الأقصى المسموح به للتعرض للصوت وشدة الديسبل ●

المطارات لديهم ضغط دم أعلى ومستويات أعلى من «الأدرينالين» وأنهم يعانون من ضعف في مهاراتهم في القراءة وضعف في الذاكرة.

- الضجيج الصناعي هو الخطر الأوسع انتشاراً في العديد من البلدان وأحد عواقبه هو الصمم.

- الضجيج الصناعي الذي يزيد على ٨٥ ديسبلاً يمكن أن يؤذي الجنين في بطن أمه - فهو يؤذي سمع الطفل، وقد يعاني الطفل من اضطرابات هرمونية وعيوب خلقية - وقد تنشأ مشكلات أخرى مثل حدوث ضرر بالجهاز العصبي لها.

ويُقال إن السبب تأثر الأم وتوترها بهذه الضوضاء، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تأثر الجنين.

- للضوضاء آثار ضارة على الحيوانات حيث تقل من كمية ألبانها، وعلى الطيور فيقل إنتاجها من البيض وما يتبعه من خسائر مادية لأصحاب هذه الحيوانات والطيور.

- الضجيج الليلي يؤدي إلى عدم النوم مما يؤثر على رد فعل الإنسان خلال النهار. وقد لا يغير الضجيج السرعة الإجمالية للقيام بالأعمال، ولكن يمكن أن يؤثر في عدد الأخطاء التي يرتكبها الإنسان.

- تؤدي شدة الصوت العالية إلى تلف الخلايا العصبية الموجودة بالأذن الداخلية وتآكل هذه الخلايا بالتدريج.

- التلوث الضوضائي يشكل ضغطاً نفسياً على الإنسان كما أنه يؤثر على الصحة العامة والحالة الفزيولوجية وقد يؤثر على الغدد الصماء مما يسبب اضطرابات في كمية الهرمونات مع عدم انتظام ضربات القلب.

- الشعور بالضيق والعصبية وسهولة الإثارة وصعوبة التخاطب داخل الأماكن التي تنتشر فيها الضوضاء بين المتخاطبين.

- الضجيج يزيد من العصارة المعدية التي تؤدي إلى قرحة المعدة.

- يؤدي الضوضاء إلى تأثير أجهزة الاتزان في الآذان مما يؤدي إلى شعور الإنسان بالدوخة وعدم الاتزان والغثيان، كما تتعرض القدرة السمعية للإنسان الذي يتعرض للضوضاء إلى تأثيرات موقتة لأن الضوضاء تؤثر على حساسية الخلايا الشعرية الحساسة في الجسم وتفقد هذه الشعيرات جزءاً من حساسيتها إلى الأبد ولا تستعيد القدرة على السمع بعد مرور أي وقت.

- الضوضاء اليومية المستمرة تقلق العصب السمعي وتسبب له ما يشبه الكدمات نتيجة الإزعاج المستمر لخلايا هذا العصب، مما يؤدي إلى ضعف مستديم في السمع لا يستطيع معه الإنسان سماع الحديث الهادئ المنخفض.

- تسبب المفرقعات موجات شديدة من التضاغط والتخلخل، تؤدي إلى انفجار طبلة الأذن وكذلك حدوث نزيف في الأذن الوسطى بسبب اختلاف الضغط داخلها مما يسبب حدوث صمم توصيلي في الحال، وتسبب المفرقعات أيضاً أصواتاً عالية تؤدي إلى حدوث انفجار في الغشاء المغطى للفتحة الدائرية في القوقعة وكذلك تلف في أغشية القوقعة الأخرى ما ينتج منه الصمم العصبي.



- للضوضاء أثر على الأوعية الدموية، ولقد أكدت الدراسة أن الضوضاء حتى ولو كانت في درجة ضعيفة فهي تسبب انقباض الأوعية الدموية، فبعد ٣ ثوان بالضبط من ابتداء ضوضاء درجتها ٨٧ ديسبلاً تنكمش الشرايين الصغيرة ويقل حجم الدماء داخلها، وعندما تتوقف الضوضاء تحتاج هذه الأوعية الصغيرة إلى خمس دقائق كي تعود إلى سيرتها الأولى.

ولقد ذكر المولى عز وجل في كتابه العزيز خطر الضجيج على الأذن بقوله: (أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) البقرة:١٩.

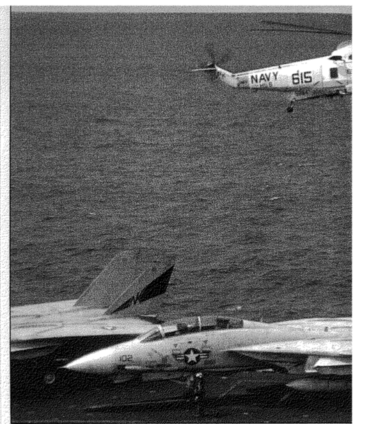
(وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) هود:٦٧.

ويقول في الآية ٩٤: (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منَّا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين).

وتكرر ذكر الصيحة في كثير من الآيات.

وقبل أن نتعرض للصيحة الإلهية نضرب مثالاً نشعر به جميعاً عند سماعنا لصوت المفرقعات التي لا تقارن بالصيحة التي ذُكرت في القرآن، نجد أنها تسبب موجات شديدة من التضاغط والتخلخل هذه التضاغطات والتخلخلات قد تؤدي إلى انفجار طبلة الأذن وإلى حدوث نزيف في الأذن الوسطى بسبب اختلال الضغط داخلها ما يسبب حدوث صمم في الحال.





وتسبب أصوات المفرقعات أيضاً حدوث انفجار في الغشاء المغطى للفتحة الدائرية في القوقعة وكذلك تلف في أغشية القوقعة الأخرى ما ينتج عنده الصمم العصبي الدائم.

تندفع الموجات الصوتية في شكل موجات كهربائية تصل إلى لحاء المخ ومنها إلى التكوين الشبكي، وينتج من ذلك حدوث تهيج في الجهاز العصبي الإرادي خاصة الجهاز «السمبثاوي» الذي يؤدي إلى زيادة سرعة دقات القلب، وارتفاع في ضغط الدم الشرياني، وتقلصات في عضلات المعدة، وزيادة في إفرازاتها وزيادة في إفراز هرمون الأدرينالين من الغدة فوق الكلوية، الذي يؤدي أيضاً إلى زيادة في سرعة دقات القلب وارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة السكر فيه.

هذه الموجات ترددها أقل بكثير من تردد الموجات الطبيعية لجسم الإنسان، وإذا ما اقتربت قيمة هذه الترددات من الترددات الطبيعية في الإنسان، فإنها حقاً سوف تؤدي إلى وفاته ولابد أن تكون الصيحة الإلهية تردداتها أكبر بكثير من الترددات الطبيعية لجسم الإنسان.

وإنه لمن المعروف أن قوة الصوت التي تزيد كثيراً على ١٢٠ ـ ١٥٠ ديسبلاً مثل أصوات القنابل الضخمة والمفرقعات الهائلة الناتجة من القنابل الذرية تؤدي إلى هلاك الإنسان والحيوان في الحال، وسبحان الله في أمره فهذه القنابل الضخمة لا تقارن على الإطلاق بالصيحة الإلهية، وعموماً فالصيحة التي تحدثها مثل هذه القنابل تسبب انفجار الرئتين نتيجة موجات التضاغط والتخلخل الشديدتين كما أنها تسبب أيضاً توقف القلب المفاجئ والوفاة السريعة.

أبعد كل هذا لم يحن الوقت إلى حماية أنفسنا وأولادنا من أخطار الضوضاء وعلى كل منّا أن يحرص على التعامل مع الآخرين بهدوء ومن دون ضوضاء، وأن يتعامل مع أصوات الإذاعة والتلفاز والميكرفون والسيارات بالصورة التي لا تؤدي إلى حدوث ضوضاء.

على كل منّا أن يبدأ مشوار حماية المجتمع من التلوث بالضوضاء بمواجهة هذا الخطر بنفسه أولاً وأن يكون قدوة لأولاده بالسلوك الصحيح.

يجب أن نقوم بالتوعية اللازمة للحد من خطورة الضوضاء الرهيبة التي تواجهنا، خاصة وأن هناك بحوثاً طبية تشير إلى أن الإنسان الذي يعيش في مناطق خالية من التلوث الضوضائي تكون حدة السمع عنده أقوى بكثير من حدة السمع للإنسان الذي يعيش في المدن الكبرى مثل القاهرة، وأن الذي يعيش في الأماكن الخالية من الضوضاء يتمتع بسمع حاد حتى ولو كان في سن الشيخوخة.

يؤكد الطب الحديث أن جذور معظم الأمراض تبدأ من الجهاز العصبي والنفسي للإنسان الذي إذا تعرض لخطر الضوضاء فإن ذلك يؤدي إلى حدوث تغيرات في الجسم تبدأ من إفراز الهرمونات التي ترفع ضغط الدم وتسرع من ضربات القلب وتعطل الهضم، أما الشخص الذي لا يتعرض للضوضاء دائماً أبداً تكون أعصابه هادئة وتفكيره سليماً وبالتالي يكون لديه القرار السليم في كل شؤون حياته.

وباستطاعة أي إنسان معرفة درجة الضوضاء ومدى تأثيرها على حاسة السمع بمعرفة درجة قوى الصوت وكمية التعرض له، علماً بأن الوحدة المستخدمة لقياس درجة الضوضاء البيئية هي الديسبل بمقياس يبدأ من الصفر تقريباً وهي أقل درجة يمكن للإنسان سماعها وعموماً كلما زاد ارتفاع الصوت كلما قل الوقت الذي يتطلب للتأثير على السمع. بلغ مستوى الضوضاء في الشارع المصري في أوقات الذروة في وسط العاصمة ٩٦ ديسبلاً، والمدة ١٢ ساعة، وهذا الرقم فاق الحدود العالية الذي قيمته ٨٥ ديسبلاً، علماً بأن المستوى الضار هو ٥٥ ديسبلاً، وهذه القيمة تضر بحاسة السمع والصحة العامة، حيث تتوتر الأعصاب ويحدث الضيق وتتقلص الشرايين ويسبب أمراضاً خطيرة بالقلب.... والآن علينا أن نبدأ بالتعرف إلى مصادر الضوضاء في بيتنا وأن نأخذ كل الاحتياطات للحفاظ على أنفسنا من آثارها الضارة.

حقيقة أن الضجيج في المدن يزداد ويزداد وفرق هدوء الريف وراء الإجهاد السلبي وارتفعت درجات التوتر، وظهرت أمراض غريبة وارتفعت نسبة الإصابة بضغط الدم بين السكان إلى ما يفوق ٢٠٪.

وتشير الأبحاث كما أشرنا سابقاً وكما ذكر في القرآن أن الضجة العالية ترفع من درجة التصاق الصفائح الدموية. وتسبب أمراض الذبحة الصدرية والجلطة وتجهد الدورة الدموية وأخيراً تؤدي إلى ركوع الإنسان على ركبتيه ميتاً.

وثبت أن الضوضاء فرضت تغييراً واضحاً في جسم العين الداخلية والأخطار التي يتعرض لها إنسان القرن العشرين نتيجة الاختراعات الحديثة، فأجهزة إرسال الموسيقا مثلاً التي توضع على الأذن تشكل تهديداً حقيقياً لسلامتها كما أن هناك أجهزة أخرى لا ينتبه إليها الإنسان مثل أجهزة التكييف وأجهزة المطابع

الصوت عبارة عن طاقة تصدر من اهتزاز أي جسم يتحرك بسرعة

الكهربائية والمكانس الكهربائية كل ذلك أدى إلى ارتفاع نسبة أمراض الأذن.

أفليست هنالك طريقة لمواجهة التلوث الضجيجي؟

هناك بعض الوكالات والوزارات التي تعنى بشؤون البيئة وتضع حداً للتلوث الضجيجي، فغالباً ما يدخل الضجيج عبر الأبواب والنوافذ، لذلك يمكن أن يساعد تركيب لوح زجاجي ثان للنوافذ على خفض الضجيج، كما أنه يمكن وضع شريط إسفنجي حول إطار الباب بحيث يجعل الباب يغلق دون أي فتحات جانبية، ونلخص هنا أهم الاحتياطات التي يجب علينا أن نتخذها لمواجهة التلوث الضجيجي.

- الحد من استعمال الآلات الكهربائية المستخدمة في تجميل الحدائق.

- عدم استخدام أجهزة الاستريو المسببة للإزعاج ليلاً حتى يأخذ الجسم راحته من النوم.

- مع أن ضجيج حركة المرور يرتفع بسرعة كبيرة... يطور صانعو السيارات باستمرار مواد ووسائل جديدة لخفض مستويات الصوت داخل السيارة، ومن المساعد أيضاً استخدام إطارات تصدر ضجيجاً أخف وفي بلدان كثيرة أجريت تجارب على أنواع مختلفة من سطوح الطرق ونتج منها منتجات مثل الإسمنت الهابس حيث يترك بعض الحصى على حاله.

- أخذ الاحتياطات اللازمة لخفض مصدر الصوت، وذلك بوضع مواد ماصة للصوت بين المصدر والمستقبل.

- عمل حملات إعلامية لنشر القيم الخلقية وعمل توعية شاملة تهدف إلى توضيح أخطار الضوضاء على الصحة العامة وأثر ذلك على الناحية الاقتصادية



الضجة العالية ترفع من درجة التصاق الصفائح الدموية. وتسبب أمراض الذبحة الصدرية والجلطة وتجهد الدورة الدموية

والاجتماعية والتعليمية.

- القضاء على مراكز الضوضاء ومصادرها عن طريق تشريع صارم ممثل في التخطيط العمراني السليم الذي يجب أن يراعى فيه بناء المساكن والمدارس والمستشفيات بعيدة عن مصادر الضوضاء واستخدام المواد العازلة في بنائها.

- نقل الورش والمصانع التي أصبحت داخل المدينة إلى خارجها.

- زيادة الرقعة الخضراء والحدائق حول المساكن والمدارس.

- يجب أن تشدد العقوبات والضرب بيد من حديد على من يستخدمون السيارات التي بها عيوب سواء في المحرك أو في جهاز العادم وتصدر أصواتاً مزعجة عند تشغيلها.

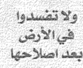
- من الأفضل أن يختار الناس مساكنهم بعيدة عن المطارات.

- لمكافحة الضوضاء داخل المصانع لابد من ارتداء سدادات الأذن الواقية أثناء فترة التعرض للضوضاء على ثمان ساعات يومياً، وتكون بصورة متقطعة يتخللها فترات من الراحة، ولابد أن تكون مباني المصنع من نوع خاص تمتص الضوضاء وتمنع تسربها إلى الخارج.

- ولابد أن يوضع في الاعتبار عند تخطيط المدن والطرق الجديدة أن تكون بطريقة تمنع انتشار الضوضاء، فلابد من إقامة الحواجز الخاصة لامتصاص الضوضاء العالية، وأن تكون المباني أيضاً من نوع خاص مانع للضوضاء، وأن تكون المطارات بمنأى عن المساكن مع الوضع في الاعتبار الامتداد العمراني المتزايد







عرض كتاب

الإرهاب البيولوجي... خطر داهم يهدد البشرية

تأليف د. محمد علي أحمد - عرض/ أيمن حمودة

عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأميركية والذي أدى لمقتل الآلاف من المدنيين الأبرياء عقب التفجيرات التي حدثت في مدينتي واشنطن ونيويورك... ومع بدأ العمليات الأميركية الانتقامية ضد حركة طالبان وتنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن المتهمين بالمسؤولية عن الأحداث.. بدأت وسائل الإعلام الأميركية تطالعنا بأخبار عن إصابة عدد من الأميركيين بمرض الجمرة الخبيثة ANTHRAX وهو ما أثار المخاوف من احتمال تعرض العالم لحرب بيولوجية فتاكة تقضي على الأخضر واليابس وتدمر البيئة وتقتل الآلاف من البشر مثلما حدث خلال الحرب العالمية الثانية عندما تعرضت اليابان لهجوم نووي وذري على مدينتي هيروشيما وناجازاكي من قبل الولايات المتحدة الأميركية... ومع تأكيد المخابرات الأميركية على أن انتشار مرض الجمرة الخبيثة في أميركا يرجع لتنظيم إرهابي أميركي ليس للمسلمين والعرب دخل فيه.. ومع تصاعد الاتهامات الأميركية حالياً للعراق بإنتاج وامتلاك أسلحة بيولوجية فإن القارىء الجيد يجد أن معلوماته عن الإرهاب البيولبوجي والحرب البيولوجية تكاد تكون قليلة ومحدودة... وهنا تأتي أهمية هذا الكتاب القيم الذي يتناول مؤلفه ماهية وحقيقة الأسلحة البيولوجية وتاريخ استخدامها في الحروب ومميزاتها وعيوبها واشرس الأسلحة البيولجية وتاريخ إستخدامها في الحروب ومميزاتها وعيوبها وأشرس الأسلحة البيولوجية الفتاكة وسبل الوقاية من الحرب البيولوجية والتشريعات والقوانين التي تحظر استخدام الأسلحة البيولوجية وقت الحروب.

إجتاح مرض الجمرة الخبيثة أوربا العام ١٦١٣ وأدى لمقتل ٦٠٠ ألف نسمة

إسرائيل والعراق هما الدولتان الوحيدتان في منطقة الشرق الأوسط اللتان تملكان أسلحة بيولوجية ولديهما مخزون إستراتيجي منه

ضرورة وضع إتفاقية دولية تحظر استخدام الأسلحة البيولوجية وقت الحروب وتوقيع جميع دول العالم عليها بلا استثناء..

تعريف الإرهاب... والحرب البيولوجية

يعرف الكاتب الإرهاب بأنه كل فعل غير أخلاقي يسلك سلوكاً عسكرياً غير شرعي ويعتمد على التهديد بالعنف أو استعماله فعلاً وقد يقوم به فرد أو عدة أفراد ينتمون إلى جماعة معينة ذات فكر متطرف عادة أو دولة ما بهدف تحقيق منفعة خاصة أو فرض رأي سياسي أو مذهب معين أو ممارسة ضغط على الغير بقصد إخضاعه. ويشمل الإرهاب جميع أعمال القتل والأغتيال والتخريب والتدمير وإتلاف المرافق العامة ويسلك الإرهاب جميع السبل والطرق للوصول إلى غايته فهو يستبيح لنفسه المحظورات ولا يقيم وزناً للأخلاق أو المبادىء السامية ولا يضع حقوق الإنسان في اعتباره. أما الحرب البيولوجية biologicalWar وكذلك الإرهاب البيولوجي biological terrorism فهو الاستخدام المتعمد لبعض الكائنات الحية الدقيقة والتي تعرف اختصاراً باسم الميكروبات وكذلك إفرازاتها السامة لإحداث المرض أو القتل الجماعي للإنسان أو ما يملكه من ثروة نباتية أو حيوانية أو تلويث لمصادر المياه أو الغذاء أو تدمير البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان.

تاريخ إستخدام الأسلحة البيولوجية

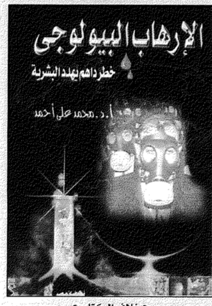
يشير المؤلف أن الإنسان البدائي في مستهل تاريخ البشرية قد استخدم السلاح البيولوجي (الميكروبي) قبل بداية التاريخ المسجل بوقت طويل فقد استخدمت القبائل البدائية المواد السامة المستخلصة من بعض النباتات والحيوانات عُوملت بها رؤوس رماحها وسهامها المسمومة وذلك لقتل حيوانات الصيد وأعدائها من البشر... وما تزال هذه الطريقة مستخدمة في بعض القبائل الخاصة بالهنود الحمر في أميركا الجنوبية... وفي عام ٦٠٠ ق. م قام حاكم أثينا بإلقاء جذور نبات يعرف باسم هليورس في نهر صغير كان أعداؤه يشربون منه فسبب ذلك لهم إسهالاً شديداً أدى إلى هزيمتهم وفي عام ٢٠٠ ق. م قام قائد قرطاجي بالإنسحاب أمام أعدائه بعد أن ترك وراءه كميات كبيرة

من أجل بيئة سليمة

من النبيذ. وضع فيها نباتاً عشبياً مخدراً فلما شرب منه أعداؤه تخدروا وغلبهم النعاس والنوم فعاد إليهم القائد القرطاجي وجنوده وقضوا عليهم.. وفي العصور الوسطى كان من المألوف قذف جثث الحيوانات النافقة وضحايا مرض الطاعون والجدري من فوق أسوار المدن المحاصرة بواسطة المجانيق مما يؤدي إلى مرض الجنود المحاصرين وانتشار الوباء بينهم مما يعجل من إستسلامهم.. وخلال الحرب العالمية الثانية شن اليابانيون حرباً بيولوجية قاتلة ضد جيرانهم الصينين حيث أطلقوا قنابل البراغيث الحاملة لمرض الطاعون فوق المدن الصينية ولم يعلم العالم شيئاً عن ذلك إلا عام ١٩٨٠م أي بعد ٣٥ سنة من إنتهاء الحرب وأثناء حرب العراق وإيران ١٩٨٠ – ١٩٨٨ استخدمت القوات المسلحة العراقية بعض الغازات السامة في حربها ضد إيران لاستعادة بعض الأراضي والجزر العراقية التي استولت عليها إيران خلال الحرب. من هذه الغازات غاز الخردل وغاز السيانيد السام. وقد سبق للولايات المتحدة الأميركية أن استخدمت أسلحة كيميائية في حرب فيتنام ١٩٥٧ – ١٩٧٣ ضد ثوار فيتنام مثل غاز الهلوسة والغازات المسيلة للدموع كما استعملت القوات الأميركية مادة الدايوكسين وهي مادة شديدة السمية للإنسان وتؤدي للإصابة بالسرطان وإلى تشويه الأجنة. ويشير المؤلف إلى أن هناك دولتين في منطقة الشرق الأوسط تصنعان أسلحة بيولوجية ولديهما مخزون استراتيجي منها وهي العراق وإسرائيل أما من خارج المنطقة فهناك دول مثل كوريا الشمالية والجنوبية وكوبا وإيران والصين تمتلك تلك الأسلحة.

أشرس الأسلحة البيولوجية

يعرف الكاتب الأسلحة البيولوجية بأنها الاستزراع أو الإنتاج المتعمد للكائنات المرضة من بكتيريا أو فطريات أو فيروسات ونواتجها السامة (التوكسينات) أو أي مواد ضارة أخرى ناتجة عنها بهدف نشر المرض في الإنسان أو الحيوان أو النبات مما يؤدي إلى القضاء عليهم ويتم عادة قذف السلاح البيولوجي باستعمال رؤوس الذخائر الحربية أو قنابل الطائرات أو رؤوس الصواريخ أو دانات المدافع أو الرش بالطائرات مع إتجاه الرياح وقد تطلق المواد البيولوجية بواسطة الجواسيس أو العملاء أو الجماعات الإرهابية بطريقة سرية من خلال وسيلة مواصلات سريعة وخفيفة مثل دراجة بخارية أو سيارة صغيرة تطوف الشوارع عبر أنحاء المدينة بينما ينبعث منها رذاذ دقيق (أيروسول) يحتوي على



• غلاف الكتاب •

مادة بيولوجية قاتلة عبر ماسورة العادم.. أو من خلال فتحة لحاوية صغيرة بريئة المظهر.. وقد يتم إطلاق المادة البيولوجية الفتاكة من خلال آلة رش المبيدات الحشرية. والسلاح البيولوجي الفتاك ينتقل ليصيب الأفراد بطرق متنوعة منها استنشاق الهواء الملوث وإستخدام المياه الملوثة أو الغذاء الملوث أو من خلال لمس الأشياء أو الحيوانات المصابة أو من خلال تلوث الجروح بفعل دانات أو قنابل الطائرات المعبأة بالمادة البيولوجية أو من خلال اللدغ من حشرات ناقلة للعدوى.

أما عن أشرس أنواع الأسلحة البيولوجية فهي كما يراها المؤلف نوعان:

النوع الأول: الفيروسات المرضة للإنسان ومن أشهر هذه الفيروسات فيروس الجدري Small-pox حيث يعتبر فيروس الجدري سلاح بيولوجي قاتل وفعال في حال قيام حرب بيولوجية بين طرفين وذلك لتمتعه بمميزات عديدة منها:

١ – سهولة زراعة فيروس الجدري في المعمل وإنتاج كميات كبيرة من وحداته في وقت قصير وقد أنتج الاتحاد السوفياتي السابق أطناناً من هذا الفيروس أثناء الحرب الباردة مع الولايات المتحدة.

٢ – يعتبر فيروس الجدري مؤهلاً لهندسته وراثيا نظراً للتعرف على خريطته الجينية ومن ثم لا تؤثر عليه اللقاحات شائعة الاستخدام كما يمكن زيادة قدرته المرضية وذلك بإيلاج جينوم التسمم الغذائي البوتشيوليني botox مما يجعله قاتلاً بنسبة ١٠٠٪.

٣ – لفيروس الجدري قدرة فائقة على العدوى لسهولة انتشاره سواء بالملامسة أو بالإستنشاق كما أن معظم سكان العالم قابلين للعدوى بفيروس الجدري حيث توقف إعداد المصل الخاص به منذ إعلان منظمة الصحة العالمية WHO القضاء عليه منذ عام ١٩٧٩م.

٤ – وتصل بشاعة الفيروس الجدري أن جراما واحداً من اللقاح النشط يكفي لإصابة مئات الأفراد إذا ما تم رش رزاز اللقاح في الهواء ويصبح هؤلاء مصدراً للعدوى ناقلين للفيروس خلال تجوالهم من مكان لآخر ومن مدينة لأخرى فيرتفع أعداد المصابين ليصل لمئات الملايين من البشر وهذا يماثل في فعله قوة أسلحة الدمار الشامل مثل القنبلة النووية.

النوع الثاني: البكتيريا المرضة للإنسان:

ومن أخطر أنواع تلك البكتيريا الجمرة الخبيثة Anthrax ويعتبر هذا المرض من أقدم الأمراض التي عرفها الإنسان ويقال أنه هو المقصود في القرآن الكريم بكلمة الدم في الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.

قال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) وقد اجتاح مرض الجمرة الخبيثة أوروبا عام ١٦١٣م وأدى إلى موت نحو ٦٠٠ ألف نسمة.

ويتسبب المرض عن بكتيريا الإنثراكس Bacilli us anthracis وهي بكتيريا هوائية متجرثمة ذات قدرة مرضية عالية وقاتلة للبشر وللحيوانات.. وهذه البكتيريا توجد عادة في الماشية والأغنام والخيول والماعز وتنتقل للإنسان عن طريق الاحتكاك بالحيوان المصاب أو منتجاته وأجزائه كالشعر والصوف كما تتسرب العدوى ببكتيريا الإنثراكس من خلال الجروح ومن خلال الاستنشاق وفي حال الجروح القطعية تصل خلايا البكتيريا إلى تيار الدم مما يسبب تعفنه ويؤدي لوفاته ما لم يعالج بسرعة وقد استخدم الاتحاد السوفيتي السابق بكتيريا الجمرة الخبيثة كسلاح بيولوجي فتاك في إقليم Sverdlovsk مما أدى إلى

من أجل بيئة سليمة

وفاة عشرات الأفراد وخلال حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت) تم تطعيم قوات التحالف الدولي لوقايتها من الإصابة ببكتريا الجمرة الخبيثة بعد تهديد صدام حسين باستخدام السلاح البيولوجي ضد قوات التحالف الدولي وحالياً تقوم الولايات المتحدة بتطعيم جميع جنودها ضد هذا المرض بصورة دورية.. والجدير بالذكر أن الجرام الواحد من بكتيريا الجمرة الخبيثة تكفي لقتل سكان مدينة إذا أحسن توزيعه.

مميزات وعيوب السلاح البيولوجي

يشرح المؤلف مميزات وعيوب السلاح البيولوجي فيقول عن المميزات سهولة تصنيع السلاح البيولوجي ورخص التكلفة - قدرة السلاح البيولوجي على الانتشار الذاتي وعدم احتياج السلاح البيولوجي لوسيلة مكلفة أو متقدمة لنقله إلى المكان المستهدف - صعوبة اكتشاف مصدر السلاح البيولوجي وفاعليته القوية فالجرام الواحد من بكتيريا الجمرة الخبيثة يكفي لقتل سكان مدينة بأكملها - صعوبة التفرقة بين العامل البيولوجي المستخدم كسلاح بيولوجي في عملية إرهابية والأوبئة التي تحدث بين الحين والآخر - سهولة انتشار السلاح البيولوجي فيكفي وضع مصدر اللقاح الفعال في أجهزة التكييف لمكان مزدحم يعبر فيه كثير من المواطنين المسافرين مثل المطارات الداخلية ومواقف سيارات المحافظات أو في مياه الشرب لينتشر في الدول المستهدفة أما عن عيوب الأسلحة البيولوجية فهي عديدة وخطيرة للغاية أبرزها صعوبة حماية العاملين في مجال الأسلحة البيولوجية خلال جميع مراحل الإنتاج والنقل والتعبئة والاستخدام فالأشخاص غير المدربين وعديمو الخبرة في التعامل مع الأسلحة البيولوجية قد يكونون أول من يصاب بها فضلاً عن صعوبة التحكم في السلاح البيولوجي بعد إطلاقه فالرياح العشوائية قد تعرض القوات المطلقة للسلاح البيولوجي للإصابة بهذا السلاح.. كما أن الأمطار قد تلعب دوراً هاماً في غسل الهواء المحمل بالميكروبات البيولوجية فتترسب قبل أن تصل الهدف... بالإضافة للقدرة المحددة للأسلحة البيولوجية على التخزين لفترات طويلة محتفظة بحيوتها.

الوقاية من أخطار الحرب البيولوجية

يشير المولف إلى مجموعة من الوسائل والأساليب يراها ضرورية لوقاية المجتمعات والدول من أخطار الحرب البيولوجية وهي فيما يلي:

١ - زيادة التعاون الدولي في مجال مجابهة أخطار الحرب البيولوجية وتبادل الخبرات في هذا المجال مع ضرورة وضع اتفاقيات دولية تحت رعاية الأمم المتحدة تحظر استخدام الأسلحة البيولوجية وقت الحروب وتوقي كل الدول عليها بلا استثناء.

٢ - قيام أجهزة الإعلام المختلفة بتوعية وتوجيه وإرشاد الأفراد إلى مبادىء وأساليب انتشار الأمراض والأوبئة والتعريف بأساليب الوقاية ووسائل الحماية من الأسلحة البيولوجية.

٣ - تعليم وتدريب الأهالي ساكني المناطق المستهدفة لأعمال إرهابية بأسلحة بيولوجية التدابير الوقائية المناسبة وكيفية حماية أنفسهم من مخاطر هذه الأسلحة الفتاكة ويمكن وضع خطط للطوارىء تكون جاهزة للتطبيق وقد فعل الإسرائيليون ذلك إبان حرب تحرير الكويت من العدوان العراقي بسبب التهديدات العراقية بضرب إسرائيل بأسلحة بيولوجية.

٤ - إنشاء ملاجىء أرضية مزودة بمرشحات لتنقية الهواء ومحارق تعمل بالأشعة الحمراء لقتل الميكروبات الضارة مع إعداد مخزون استراتيجي داخل كل دولة من المواد المضادة لفعل الأسلحة البيولوجية مثل الأمصال واللقاحات والمضادات الحيوية.. مع تجهيزها للنقل بسرعة بواسطة الطائرات للمناطق المهددة للتعرض لحرب بيولوجية.

٥ - تطعيم الأفراد سواء مدنيين أو عسكريين المعرضين للتلوث بالأسلحة البيولوجية وذلك عند الشعور بالخطر أو عند وصول أخبار من الاستخبارات العسكرية بنية العدو في استخدام أسلحة بيولوجية.. والقضاء على الحشرات والقوارض التي قد يعتمد عليها العدو في نشر سلاحه البيولوجي.. مع ضرورة عزل الأفراد المصابين لمنع انتشار العدوى وعلاجهم.

٦ - الكشف الدوري عن مصادر المياه والتعيينات والمهمات للقوات المحاربة والتأكد من عدم تلوثه بأسلحة بيولوجية وكذلك رصد الهواء في المدن بصورة دورية باستعمال أجهزة مراقبة متحركة مثل السيارات الخاصة بالشرطة والدراجات النارية (الموتوسيكلات) التي تجوب أنحاء المدينة يومياً حاملة أجهزة الرصد الحساسة للتأكد من عدم تعرض الهواء للتلوث بأسلحة بيولوجية.

الجرام الواحد من بكتيريا الجمرة الخبيثة يكفي لقتل سكان مدينة بأكملها

التشريعات والقوانين التي تحظر استخدام الأسلحة البيولوجية..

كان تسميم الطعام ومياه الشرب واستخدام المواد السامة من المحرمات في العديد من الحضارات القديمة فقد أدان اليونانيون والرومان استخدام المواد السامة في الحروب وعدوه انتهاكاً لقانون الأمم Law of Nations كما منعت السموم وغيرها من الأسلحة غير الإنسانية في قانون مانو Manu في الهند منذ نحو ٥٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام اما في العصور الحديثة فقد تعددت التشريعات والقوانين الدولية التي تحظر استخدام أسلحة ووسائل الحرب البيولوجية فقد صدر تصريح بروكسل عام ١٨٩٩م واتفاقية لاهاي في العام نفسه والتي تحظر استخدام أسلحة الدمار الشامل في الحروب سواء كانت كيمائية أو بيولوجية.. وفي عام ١٩٢٥ صدرت إتفاقية جنيف والتي تحظر استخدام المواد الخانقة والسامة والغازات والسوائل السامة في الحروب واتفاقية جنيف وإن حظرت استخدام الأسلحة البيولوجية والكيميائية في الحروب إلا أنها لا تعتبر إنتاج وتخزين مثل هذه الأسلحة إنتهاكاً للقانون الدولي.

وفي عام ١٩٧٢ تم التوصل لعقد اتفاقية لحظر الأسلحة البيولوجية والتوكسينية (BTWC) وقد حظرت الاتفاقية استخدام الأسلحة الكيمائية والبيولوجية بينما لا تعتبر إنتاج وتخزين مثل هذه الأسلحة إنتهاكاً للقانون الدولي.

وفي يناير عام ١٩٩٣م اجتمعت ١٢٠ دولة في باريس للتوقيع على معاهدة حظر الأسلحة الكيماوية. وأنشأت منظمة منع الأسلحة الكيميائية OPCW لمراقبة تنفيذ بنود المعاهدة وفي أكتوبر ١٩٩٦ وصل عدد الموقعين على المعاهدة حوالي ١٦٠ دولة بينما لم يصدق عليه سوى ٦٤ دولة فقط وهو أقل بصوت من العدد اللازم لدخول المعاهدة حيز التنفيذ. وقد أمتنعت الولايات المتحدة عن التصديق على هذه المعاهدة كما رفضت ١٢ دولة عربية التوقيع على تلك المعاهدة وكان شرطهم للتوقيع هو انضمام إسرائيل وتوقيعها على المعاهدة وهو ما لم يحدث.

الخاتمة

في خاتمة الكتاب يشير المؤلف إلى قائمة بالعناوين الإلكترونية لمواقع المعلومات الخاصة بالحرب البيولوجية والإرهاب البيولوجي التي قد تساعد القارىء في الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ●



ولا تفسدوا
في الأرض
بعد اصلاحها

حماية الشريعة للبيئة في حال الحرب

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي - جامعة قطر



الحرب الإسلامية حرب حماية ووقاية، وحرب فضيلة وتعمير، فالشريعة الغراء لم تتخذ من الحرب وسيلة للقهر والإعنات والإبادة، وإنما أباحتها - عند الضرورة علاجاً لمرض لم يُجْدِ معه توجيه ونصح وإرشاد، ولم تنفع معه محاولات المودة والسلام فكان لا مفر من مواجهة الباطل بقوة الحق، ليدمغ الحق الباطل، وتظل كلمة الله هي العليا.

ومادامت الحرب في الإسلام حرب حماية للإنسان وغيره من الكائنات التي سخرت له فإن البيئة في هذه الحرب يحرم أن تتعرض لكل ما يلوثها ويحول دون إعالتها للحياة، لأن في ذلك تعارضاً مع أمر الله بعمارة الأرض، قال تعالى: «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» هود ٦١، كما أن فيه نشراً للفساد، وتمكيناً لكل العوامل التي تمثل الخطر الداهم على المصالح الضرورية التي هي الأساس والأصل لغيرها من المصالح، فعليها يتوقف نظام الحياة ومن دونها يختل هذا النظام.

مفهوم البيئة

بعد أن تنبه الإنسان إلى المخاطر التي أحدقت بالبيئة وهددت حياته، وحياة سائر الكائنات الحية التي يعول عليها في طعامه وشرابه وكل ما يتعلق بوجوده وبقاء نوعه أخذ الباحثون في علم البيئة يضعون تعريفات لها، وكثرت هذه التعريفات وتباينت من حيث الإيجاز والإطناب وإن لم تختلف غالباً من حيث المضمون، وهي من ثم تكاد تلتقي عند تحديد المفهوم العام للبيئة بأنه الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية، وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها، أو إنه الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر.

ووفق هذا المفهوم للبيئة يتبين أنها تتكون من ثلاثة محيطات متداخلة متفاعلة، تتبادل التأثير والتأثر وهي:

أولاً: المحيط الحيوي

وهي بيئة الحياة الفطرية أو الأصلية أو الموارد التي أتاحها الله للإنسان مثل الماء والهواء والتربة والمعادن ومصادر الطاقة والنباتات والحيوان، كي يحصل منها على مقومات حياته.

ثانياً: المحيط المصنوع

ويتكون مما شيده الإنسان في البيئة مثل المستوطنات البشرية، والمراكز الصناعية التجارية، وطرق المواصلات والمشروعات الزراعية، والتنقيب في البر والبحر عن الثروات الطبيعية، وقد أقام الإنسان هذا المحيط من خلال تفاعله المستمر مع المحيط الحيوي.

ثالثاً: المحيط الاجتماعي

وهو النظام الذي تدير في إطاره المجتمعات البشرية شؤون حياتها الاجتماعية والاقتصادية مثل الأعراف والعادات الاجتماعية والقوانين الإدارية والتشريعية.

فالبيئة في الأصل هي البيئة الطبيعية المكونة من عناصر غير حية تشمل الماء والهواء والتربة وأشعة الشمس، وعناصر حية هي النباتات والحيوانات، وتفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية فيما بعد هو الذي أنشأ شق البيئة الثاني أو توأمها وهي البيئة المشيدة، أي البيئة التي صنعها الإنسان كالمدن والمصانع والعلاقات الإنسانية التي تنظمها القوانين والعادات.

وطوعاً لهذا المفهوم للبيئة كيف تحمي الشريعة الإسلامية هذه البيئة في وقت الحرب؟

إن الحديث عن هذه الحماية يقتضي أولاً الإشارة إلى أن الشريعة جاءت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وكل تعاليمها تدور في نطاق حماية هذه المصالح، ودفع كل ما يتهددها أو يضربها، وما وضعت العقوبات التي تردع الذين يعتـ ن ويفسدون إلا من أجل رعاية تلك المصالح والأخذ على أيدي هؤلاء الذين رَقّ يقينهم وبغوا علواً

من أجل بيئة سليمة

في الأرض وفساداً.

والحرب وإن كانت سفكاً للدماء، وتدميراً في بعض الأحيان لوسائل الحياة فإنها في الإسلام مقيدة بغايات ومثل تقضي عليها بأن تكون سلاحاً للتعمير، ووسيلة لإنقاذ الحياة الإنسانية من الذين يسعون في الأرض ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنسل، ومن خلال ما جاء في المبحثين الأول والثاني عن مشروعية الحرب وقيمها الإنسانية يمكن استنباط ما يلي حول حماية الشريعة للبيئة في وقت الحرب.

أولاً: إن تضييق دائرة المعارك الحربية، وقصرها على الأهداف العسكرية يحول دون أن تتعرض البيئة بعناصرها المختلفة، وكذلك البيئة المشيدة وبخاصة ما يتعلق منها بوسائل الحياة كالمزارع والحيوانات والمياه والمصانع التي تنتج الغذاء والكساء والدواء وما إلى ذلك - لأسباب التخريب أو التلوث والإفساد، فهي بمنأى عن أن توجه إليها أسلحة تحدث بها ضرراً أو دماراً.

وإذا اقتضت الضرورة الدفاعية أن يلحق بالبيئة بشقيها بعض الأضرار فإن ذلك يكون محدوداً ومقيداً بالضرورة فلا يترتب عليه غالباً إفساد عام أو تدمير شامل.

ثانياً: ونتيجة حتمية لتضييق دائرة المعارك ومقاتلة المقاتلين دون سواهم، والأخذ بمنطق الرأفة والرحمة والجنوح إلى السلم إذا جنح إليه الأعداء، وعدم اللجوء إلى القتل إلا إذا فرضت الضرورة ذلك، والنهي عن الإسراف في إزهاق الأرواح، ومراعاة حرمة الميت فلا مثله ولو بالحيوان، والأمر بسرعة دفن القتلى وعدم ترك الجثث في العراء دون مواراة لها في الثرى نتيجة لكل هذا تحمي الشريعة البيئة من بعض مصادر التلوث، لأن تقليل القتلى وعدم المثلة أو التشوية ودفن من يقتل دون إبطاء يمنع من أن تصبح الجثث إذا لم تدفن مرتعاً للجراثيم، حيث تصاب بالتعفن، وتنبعث منها الروائح الكريهة التي تلوث الهواء وتفسد التربة.

ثالثاً: وفضلاً عن الأمر بتضييق دائرة المعارك وما يترتب عليها من أن تكون آثار الحرب التدميرية لا تتجاوز الأهداف العسكرية فإن هناك توجيهات عدة أو وصايا تحض في الحرب على حراسة البيئة وحمايتها وعدم التعدي عليها.

ومن أهم هذه الوصايا ما أوصى به أبو بكر رضي الله عنه أمير أول بعثة حربية في عهده، أسامة بن زيد، قال له: «لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».



هذه الوصية تعد دستوراً لآداب الجهاد في الإسلام واشتملت على تشريعات في الحرب لايدانيها ما وصلت إليها قواعد القانون الدولي الحديث.

وما كان للصديق أن ينهى في وصيته عما نهى عنه إلا من هدي أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وخصوصاً أن الصحابة أجمعين أقروه على ذلك ولم يوجد منهم من استنكر ذلك، ولو أنكر ذلك أحد على الصديق لعلم من سيرة الصحابة ما يدل عليه.

قصره المعارك الحربية على الأهداف العسكرية يحول دون أن تتعرض البيئة للتخريب أو التلوث والإفساد

وقد فرع فقهاء الإسلام على وصية أبي بكر وغيرها من الوصايا التي تدور في فلكها فروعاً وفصلوها تفصيلاً جليلاً، من ذلك ما ذهب إليه الإمامان الأوزاعي فقيه الشام، ومالك إمام دار الهجرة من أنه لا يجوز بحال من الأحوال قتل النساء والصبيان من الأعداء ولو تترس بهم أهل الحرب، أي حتى ولو وضعوهم أمامهم دريئة للقتل وترساً يحميهم منه.

وذهب الإمام الأوزاعي مستدلاً بما ورد في وصية أبي بكر إلى أنه لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب أي في بلاد الأعداء، لأن ذلك فساد، والله لا يحب الفساد، واستدل أيضاً بقول الله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) البقرة: ٢٠٤ـ ٢٠٥.

رابعاً: شبهات والرد عليها

ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يصح هدم البناء

وقطع الأشجار واحتجوا بما يلي:

أ – قوله تعالى في الآية «٥» من سورة الحشر: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) وفسرت اللينة بالنخلة، فهذا يسوغ على سبيل الجواز قطع النخل.

ب – أن المؤمنين خربوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بيوت بني النضير، وذكر القرآن فيهم أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

ج – أنه عليه الصلاة والسلام أمر – فيما يروى بتحريق قصر مالك بن عوف، وكان أمير الجيوش بالطائف، وأمر برمي حصن ثقيف بالمنجنيق.

د – أنه عليه السلام أمر بقطع كروم ثقيف، وقد ذكر في السيرة أنهم هجوا عند إرادة قطعها، وقالوا كيف نعيش بعد قطعها.

هذه بعض الأدلة التي عول عليها بعض الفقهاء في التدمير وجواز التخريب، ولكن هذه الأدلة لا تسلم من الأخذ والرد وليست موضع إجماع على جواز التدمير، فالدليل الأول ليس المراد باللينة النخلة، وإنما المراد بها الثمرة، والنص القرآني يفيد ذلك إذ يقول: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله)، ولا يمكن فرض قيامها على أصولها إلا إذا كانت هي الثمرة، لا أصل النخلة، وقطع الثمرة لا يعد تخريباً.

وأما تخريب بيوت بني النضير فلأنهم اتخذوها حصوناً واعتصموا بها وأنزلوا الأذى بالمسلمين، فكان لابد لزوال أذاهم من تخريبها، أو محاولة تخريبها، فليس في تخريب بيوت بني النضير ما يؤدي إلى إباحة التخريب.

ولأن ثقيف اعتصموا بحصونهم كان لابد من إنزالهم منها، وقد كانوا قوماً غلاظاً أشداء فيهم قسوة، فكان لابد أن يصل الجيش إلى حصونهم ليصل إليهم، فليس تخريب الحصون لذات التخريب، وإنما هو لإضعاف قوة العدو.

وأما الدليل الرابع وهو قطع كروم الطائف، فلأن أهل الطائف كانوا يتخذون منها الخمر، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع ولم يقطع، وذلك ليحملهم على التسليم وحقن الدماء بدل الاستمرار على القتل والقتال ولذلك سلموا لمجرد أن رأوا النبي، صلى الله عليه وسلم، قد أمر بالقطع، وظنوا أن المسلمين ينفذون أمر نبيهم.

فتلك الأدلة التي يأخذ بها بعض الفقهاء في جواز التخريب لا تسلم لهم، وتؤكد أن الحرب الإسلامية لا تعرف هدماً ولا قطعاً للشجر، اللهم إلا إذا كان لا مناص من ذلك فيكون قطع الشجر وتخريب العمران مقصور على الضرورة، وليس الأصل في الحرب التخريب والهدم.

خامساً: أسلحة الدمار الشامل:

لقد تطورت أسلحة الحروب في العصر الحديث تطوراً مذهلاً، وعرفت أنواع منها تدمر البيئة بكل مجالاتها كالأسلحة الجرثومية، والذرية، والنووية، كما عرفت أنواع أخرى لا يسلم منها المدنيون والعسكريون والأهداف المدنية والعسكرية، فهي أسلحة التدمير الشامل للكائنات الحية كلها، هذه الأسلحة يقف الإسلام منها موقفاً مناهضاً، فهو يحرمها تحريماً قاطعاً، ولا يبيح استخدامها في الحرب، لأنها تدمر الحياة ولا يسلم من آثارها المهلكة لا المنتصرون ولا المنهزمون، ولذلك تعيش البشرية الآن حالاً من القلق والرعب، خوفاً من أن تستخدم مثل هذه الأسلحة فيما يجري من حروب إقليمية.

وتحاول الدول تحت مظلة الأمم المتحدة اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بحظر هذه الأسلحة وعدم استخدامها، ولكن كل الإجراءات التي تعبر عن الخوف المسيطر على الزعماء السياسيين والقادة العسكريين من أن تلجأ دولة تمتلك أسلحة التدمير الشامل إلى استخدامها تحت وطأة الصراع بينها وبين دولة أخرى حتى تحسم الموقف لصالحها، كما حدث في الحرب العالمية الثانية حين قصفت مدينتي «هيروشيما» و«نغازاكي» بالقنبلة الذرية التي جعلت اليابان تعلن هزيمتها واستسلامها للحلفاء، كل تلك الإجراءات لم تمنع سباق التسلح المحموم بالأسلحة الفتاكة المدمرة للكائنات الحية وغيرها.

ومما يؤسف له أن ما ينفق على مستوى العالم كله على التسليح يزداد عاماً بعد عام، وأن تجارة السلاح اليوم من أكثر التجارات رواجاً، وهذا ينذر بخطر داهم يتمثل في هذا المخزون الهائل من السلاح الذي سيأتي عليه وقت ينفجر فيه فيقضي على الأخضر واليابس، وينهي هذه الحضارة العنصرية المادية التي غزت الفضاء ولكنها عجزت عن احترام آدمية الإنسان وكفالة الحقوق



المشروعة له.

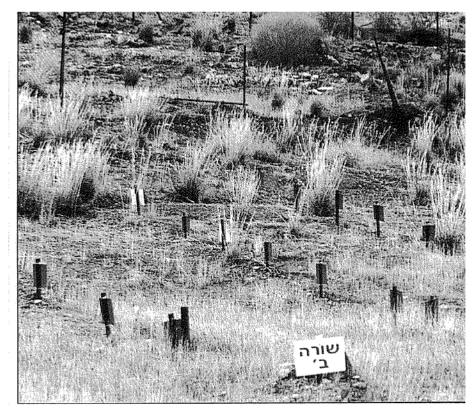
سادساً: الإسلام دين القوة

قد يروى بعضهم أن ما قرره الإسلام من قيم للحرب يدخل في باب المثالية أو الأفكار النظرية التي لا تعرف سبيلها للتطبيق العملي، وإن واقع الحياة وطبائع البشر لا يخضع لتلك القيم والمثل، بل يضرب بها عرض الحائط، وأحداث التاريخ تؤيد ذلك، وهذا غير صحيح على إطلاقه، فقد أو مأت فيما سبق إلى التزام المسلمين بهذه القيم في الماضي والحاضر، وأن الحروب الإسلامية لم تكن إلا حروباً إنسانية، لأنها حروب إصلاحية بحتة، حروب ترفض البغي والتخريب، ولا تسترسل في القتل والنهب فتترك من وراءها صورة ناطقة بالفساد والفوضى.

ويضاف إلى هذا أن الإسلام وهو دين الفطرة ودين الحياة يدعو المسلمين إلى إعداد القوة بمفهومها الشامل، القوة المعنوية والمادية التي تلائم الزمان والمكان، ليكون هؤلاء المسلمون في مركز المنعة وإرهاب الأعداء، فالأقوياء دائماً يهابهم سواهم ولا يفكرون في الاعتداء عليهم، أما الضعفاء فهم لقمة سائغة للذين لا خلاق لهم ولا دين.

إن القوة التي يأمر الإسلام بها

من أجل بيئة سليمة



ليست قوة للإعنات والقهر وانتهاك كرامة الإنسان، ولكنها قوة عادلة تمكن للحق، وترهب الباطل، فلا يسعى لبغي أو عدوان، وبذلك تصبح القوة الإسلامية قوة سلام وحماية للحياة، إنها قوة تحارب الفساد في كل صوره، وترعى الحياة كل الحياة.

حياة الإنسان والحيوان والنبات والجماد وسوى ذلك من الكائنات وصدق الله العظيم إذ يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال:٦٠.

إن الباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول ولا يكفي الحق أنه الحق ليوقف عدوان الباطل عليه، بل لابد من القوة تحميه وتدافع عنه ولذلك كان الإسلام دين القوة ليحول بين الباطل مهما ملك من سلاح وبين تدمير الحياة وإفساد البيئة.

سابعاً: بين الشريعة والنظم الوضعية:

أدركت البشرية أخيراً أن الحرب تمثل خطراً على البيئة، وأن على المحاربين ألا يتعرضوا بأذى للمدنيين وكل وسائل الحياة، وأن يتحاشوا في حربهم التخريب والتدمير، فقد نصت اتفاقية جنيف المؤرخة في ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٩م في بعض موادها على حماية الأشخاص المدنيين والجرحى والمرضى من المحاربين وغيرهم، وكذلك الأطفال والنساء والمسنين، والمرافق الصحية كالمستشفيات ونحوها.

وجاء في المادة «٥٤» من ملحق هذه الاتفاقية بشأن حماية البيئة بأنه يحظر تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب، وكذلك تحظر مهاجمة أو تدمير أو تعطيل الأعيان المهمة مثل المواد الغذائية والمناطق الزراعية والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وأشغال الري.

وتشير المادة «٥٥» إلى أنه يجب أن يراعى في أثناء القتال حماية البيئة الطبيعية من الأضرار البالغة وواسعة الانتشار وطويلة الأمد، وقد حظر بموجب هذه المادة استخدام أساليب أو وسائل القتال التي يقصد بها أو يتوقع منها أن تسبب أضراراً بالبيئة، ومن ثم تضر بصحة أو بقاء السكان المدنيين، كما حظر أيضاً القيام بهجمات الردع التي قد تشن ضد البيئة.

الشريعة السمحة بتعاليمها الخالدة سبقت القوانين الوضعية في حماية البيئة وقت الحرب

ويحظر كذلك الهجوم على الأشغال الهندسية أو المنشآت التي تحتوي على قوة خطرة كالسدود والجسور والمحطات النووية لتوليد الكهرباء.

هذا طرف مما دعت إليه الاتفاقات والمعاهدات الدولية بخصوص حماية البيئة في وقت الحرب، وهو ينبىء عن إدراك ما آلت إليه الحروب الحديثة بأسلحتها التدميرية من خطر على البيئة وخطر على السكان المدنيين.

ولكن مثل هذه الاتفاقيات على جدواها من الناحية النظرية لا تلقي الاحترام أو الالتزام من الناحية العملية، ومازالت الأصوات تحذر من المخالفات التي ترتكبها الجيوش في صراعها العسكري، لأنه لا يوجد وازع نفسي يفرض الالتزام بمثل هذه الاتفاقات، ومازالت الأطماع الإقليمية تسوق المحاربين إلى ميادين القتال غير عابئين بقيم إنسانية أو معاهدات دولية.

والشريعة السمحة بتعاليمها الخالدة سبقت القوانين الوضعية في حماية البيئة وقت الحرب، وجعلت هذه الحماية جزءاً من عقيدة المسلم، وفريضة مكتوبة عليه، فهو بهذا يلتزم بما دعت إليه الشريعة وأمرت به التزاماً صادقاً ويطبقه تطبيقاً كاملاً، لأنه يعي أنه محاسب إن فرط أو قصر.

وخلاصة القول: إن الجهاد الإسلامي خير ورحمة وأمن وسلام وحماية، وأنه يحرس الأحياء كل الأحياء، فلا يبغي حي على حي، ولا يستعلي مخلوق على مخلوق، ولا تبطش أمة بأمة، ولا تتكتل كتلة ضد أخرى ولا يستبد قوي بضعيف ولا يمكن الأحلاف المسعورة من إطلاق الموت الجماعي، والفناء المستأصل والدمار الشامل والتلاعب بالأسلحة الذرية والنووية والهيدروجينية والنتروجينية وسائر مصادر الشقاء والتعاسة والإبادة لهذه الإنسانية ووسائل حياتها وليس هناك من تشريع كتشريع الله يكفل للحياة الأمن بمفهومه الشامل الدقيق، ويحمي البيئة بمعناها الواسع، لأنه تشريع الخالق الذي يعلم ما فيه صلاح الإنسان وسعادته، إنه التشريع الذي يقدم درء المفاسد على جلب المصالح، وأنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، فكل تشريع سواه لن يحقق للإنسان ما يتمناه وستظل البشرية تعاني ما تعاني من قلق واضطراب وفساد وانحلال حتى تفيء إلى أمر الله، (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون). المائدة: ٥٠ ●



فكـــر

مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي (٢/١)

بقلم: د. حسن عزوزي - رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس

إن للفكر الإسلامي مفاهيم لها ذاتيتها واستقلالها، قد تتطور مصطلحاتها تبعاً لتطور الحياة، ولكن مضامينها تظل ثابتة وراسخة وإلا تلاشت القاعدة التي تؤكد أن الإسلام من المرونة بحيث تستوعب أصوله تطور الحياة مكاناً وزماناً. وإذا كان الفكرالإسلامي قد ظل عدة قرون سليماً معافى وحائلاً دون أي تسلل لفكر دخيل، فإننا لا ننكر أن بداية اقتحام الفكر الدخيل محراب الفكر الإسلامي الأصيل قد تمت منذ وقت غير يسير عندما أخذ يدب الخلاف بين المسلمين، وأصبحت تطفو مذاهب وفرق وأحزاب شتى كل واحد منها يدعو إلى ما يخيل إليه أنه عين الصواب، وقد كان ذلك بسبب عدم استقامة في التفكير أو سبب ضعف الايمان في النفوس مما أدى إلى التحلل من الالتزام بأسس الكتاب والسنة وتوجيهاتهما، يقول تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (النساء ٥٩).

وفي العصر الحديث ظهرت محاولات تغريبية لإذابة الفكر الإسلامي واستهدافه استندت إلى بعض رواسب الفكر المنحرف الذي سبق أن أثقل كاهل الفكر الإسلامي الأصيل، وقد امتدت جذور هذه الرواسب إلى يومنا هذا تتحدى الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً، فكان هناك فكر منحرف نابع من داخلنا يتكلم باسم الإسلام ويتحدث باسم المسلمين، في حين كان هناك خطاب أجنبي يواجه الإسلام بعداوة سافرة يريد النيل من الإسلام عقيدة وفكراً وأسلوباً ومنهجاً وأكثر من يضطلعون به هم المستشرقون.

ان بحث وتحليل الخطاب الاستشراقي وموقفه من الفكر الإسلامي ليس بالأمر الهين، ذلك أن أية دراسة للمنهجية الغربية وتطبيقاتها المختلفة على الإسلام لا يمكن أن تتحقق بشكل تام، إذ ان المدى الجغرافي الشاسع الذي تكتسحه المنظومة الاستشراقية لا تكاد تغطيه دراسة واحدة أو دراسات، أضف إلى ذلك مشكلة اللغات العديدة التي يستخدمها مختلف المستشرقين، فالدارس العربي الذي يعرف الفرنسية



والإنجليزية والألمانية يتمتع بميزة كبرى لكنها نسبية فقط، إذ هناك دراسات مفيدة في الموضوع بلغات أخرى.

وسأحاول فيما يلي إبراز وتحديد آليات الخطاب الاستشراقي حيال الفكر الإسلامي مع بيان أهم مستوياته ومختلف المواقف التي وقفها الفكر الاستشراقي إزاء هذا الموضوع.

آليات ومواقف الخطاب الاستشراقي حيال الفكر الإسلامي

إنه من الناحية المبدئية يجب على المثقف والباحث المسلم رفض نتائج بحوث المستشرقين في دراستهم للفكر الإسلامي، ولكن مادامت تلك البحوث أمراً واقعاً وهي تغطي مساحات واسعة في مجال البحث التاريخي ولها وزنها وثقلها في الدوائر الأكاديمية وداخل الأوساط الطلابية بجامعاتنا العربية فلابد أن نتعامل معها على أساس الدراسة والنقد والتمحيص، ثم إن مناقشة أي من هؤلاء على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ممن تناولوا موضوعات الفكر الإسلامي على مستوى التفاصيل والجزئيات لا تغني شيئاً لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت لا يصل إلى بحث الجذور العميقة التي ستظل تنسج آراء هدامة وسلبية.

إننا لا ننكر أن الاستشراق بشقيه التقليدي والمعاصر قد قدم للفكر الإسلامي أشياء كثيرة نافعة لا يمكن تجاهلها وهي تتمثل في كثير من محاولات تحقيق التراث والنشر والتبويب والفهرسة، فضلاً عن التوجيه إلى الأخذ بالمناهج الحديثة في البحث والدراسة.

لقد قام المستشرقون بنشر الكثير من نفائس التراث الإسلامي نشراً علمياً ليس بيسير الانتفاع به، وهذا فضل للاستشراق لا يمكن غض الطرف عنه مهما تكن بواعث المستشرقين في ذلك.

إننا لا نرفض دراسات المستشرقين في مجال الفكر الإسلامي بشكل مطلق ولكننا نرفض الفكر الذي يعادي الإسلام، فنحن نرحب بكل فكر ما دام ليس فيه عدوان على الإسلام، لكن يبدو أن دراسات القوم في هذا المجال ليست جميعها على شاكلة واحدة فهناك مناهج متعددة وخطابات متباينة سنعرض لها فيما يلي:

حاول الاستعمار أن يكتشف الفكر الإسلامي من جديد من أجل تعديل سياسي لا ثقافي

المنهج العدواني في دراسة الفكر الإسلامي

لعل أبرز ما يميز هذا المنهج هو ذاتيته ومجانبته الكاملة للموضوعية إلى جانب عدوانيته السافرة وهو ما حدا بنا إلى وصفه بالمنهج العدواني في دراسة الفكر الإسلامي، وهذا المنهج المتطرف قد شكلته المدرسة الاستعمارية الاستشراقية التي تزعمها كل من الاستشراق الإنجليزي والاستشراق الفرنسي، وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن الدكتور محمد البهي رحمه الله قد وضع كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) (٢) لفضح هذه السياسة الاستعمارية وما أفرزته من مدارس استشراقية تحمل طابعاً إيديولوجياً قبل الطابع العلمي، مما دفعها إلى التسلح بالأحكام المسبقة والإسقاطات المضللة.

ويمكن القول بأن أصحاب هذا المنهج العدواني من المستشرقين قد واكبوا في أبحاثهم ودراساتهم عملية الغزو العسكري للدول الغربية والإسلامية وذلك بفتح الجبهات الثقافية والفكرية للعدو المحتل وهو ما يتمثل في قيام بعض المستشرقين بإبراز الخلافات المذهبية والفكرية والتأكيد على الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشعوبهم وذلك من الوجهة الشعوبية أو الجغرافية أو التاريخية، مع شرح كثير من مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن اهدافها الأصلية وذلك كله بالإضافة إلى تمجيد الفكر الغربي وإظهار تفوقه على الفكر الإسلامي.

وهذا الصنف من المستشرقين يسعى إلى التأكيد على أن الإسلام ليس واحداً إنما هو متعدد حسب شعوبه وحسب اختلاف العوامل الثقافية التي تأثر بها مسلمو هذه الشعوب من فهم الإسلام، فهناك إسلام سني وإسلام شيعي وإسلام أوروبي. ثم يذهبون أيضاً إلى أن الإسلام هو متعدد حسب طوائف المسلمين، فهناك إسلام المتصوفة وإسلام الفقهاء والإسلام الحركي والإسلام الشعبي والإسلام السياسي والإسلام الراديكالي إلى غير ذلك.

ولعل من المفيد التنبيه إلى أن المنهج العدواني المصاحب للمدرسة الاستعمارية في الاستشراق قد وضع نفسه ضمن إطار حضاري شمولي هو إطار المركزية الأوروبية التي تقوم على مبدأ أهلية وأحقية الإنسان الأوروبي في التمدن والتقدم ونفي هذه القابلية عن غيره، وهو يقوم على الزعم بخمول العقل العربي وتحجر الفكر الإسلامي وتعلقه بالتقاليد الموروثة منذ القدم وعجز عقل الإنسان القاطن في جو الصحاري الحار على الابتكار والإبداع.

وهكذا يمكن القول بأن الغرب قد حاول في المرحلة الاستعمارية أن يكتشف الفكر الإسلامي من جديد لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططه السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسيات الغربية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها، وقد حاول المستشرقون المتعاونون مع الإستعمار إضعاف المقاومة الروحية و المعنوية في نفوس المسلمين، وذلك بالتقليل من أهمية قيم الفكر الإسلامي الأصيل ومحاولة تلفيق فكر دخيل أريد له أن يحل محل الفكر الإسلامي الصحيح.

ومن أجل تحقيق هذه الاغراض سعى أصحاب المنهج العدواني في دراسة الفكر الإسلامي إلى تقويض أسس ومبادئ الفكر الإسلامي بوسائل شتى تنطلي خطورتها على غير القلة من المتخصصين. ومن بين تلك الوسائل ما يلي:

منهج الأخذ بالنزعة التأثيرية

ويعني نزعة التأثر والتأثير وهي نزعة دراسية يأخذ بها كثير من المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية أو إليهما معاً. لقد ظهر في عام ١٨٣٧ كتاب أبراهام غايغر حاملاً العنوان المثير «ماذا أخذ القرآن عن اليهودية؟» (٢) فكان ذلك إيذاناً ببداية حقبة جديدة في نطاق هذه النزعة اتخذت مسوح «العلمية الموضوعية» وأقبلت على تجاذب الفكر الإسلامي وتقطيع أوصاله، فالمستشرقون اليهود أمثال غايغر وجولدزيهر وبرنارد لويس مالوا إلى إبراز دعوى تأثر الإسلام باليهودية. والمستشرقون النصارى مالوا إلى إظهار العناصر المسيحية في الإسلام، لكن أحداً منهم لم يلتفت إلى كيفية صيرورة الإسلام ديناً مستقلاً ذا منظومة شاملة ومتناسقة العناصر برغم تكونه المزعوم من شذرات متناقضة، وهذه النزعة التأثيرية تشكل خطورة كبيرة على وحدة الفكر الإسلامي وأصالته لأنها تقضي على الأفكار الإسلامية قضاء مبرماً، والأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الأفكار الإسلامية وغيرها من الأفكار الأجنبية مهما كان التشابه كاذباً ملفقاً وغير حقيقي. إن الخطاب الاستشراقي في دراسته للتصوف الإسلامي مثلاً يرجعه إلى أصول خارجية كالعنصر الفارسي أو الهندي لا لشيء إلا لوجود عناصر متشابهة بين التصوف الإسلامي والتصوف

الفارسي مثلاً.

وهذا الخطاب لا يؤمن بأن التصوف الإسلامي الخالص مرده إلى عناصر القوة الروحية في الإسلام وإلى قضايا ترتبط بالزهد والعبادة. إن تأثر المستشرقين بمنهج الأثر والتأثر (٣) راجع إلى كون هذا المنهج قد طبق بصورة صارمة في بيئتهم، ذلك أن النهضة الأدبية الأوروبية قد تأسست على الحضارة اليونانية، وما أنشئ مذهب فكري وديني جديد إلا ووجد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة، ومن خلال هذا الحكم تم تطبيق هذا المنهج على الفكر الإسلامي دون أدنى اكتراث بخصوصيات الفكر الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية وبيئية أصيلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية.



القول بالإنشطارية

الانشطارية تعني الفصل بين القيم المتكاملة في الفكر الإسلامي والقول بعجزها عن التفاعل والترابط وعدم قدرتها على الاستيعاب والتكامل. والمستشرقون الغربيون يعون جيداً مدى تكامل المعرفة الإسلامية والفكر الإسلامي المبني أساساً على التكامل بين قيمه ومثله والترابط بين مختلف جوانبه، ولكنهم عندما يحاولون دراسة بعض مباحث الفكر الإسلامي فإنهم يسعون جاهدين إلى تجزئتها وعزل بعضها عن بعض بقصد التأكيد على استحالة التقاء عناصر القوة والتكامل في كل واحد. وقد نحا الخطاب الاستشراقي الحديث هذا المنحى بناء على سيادة روح الانشطارية في الفكر الغربي أصلاً ومحاولة تطبيقها على الفكر الإسلامي وتجدر الإشارة إلى أن الإنشطارية في الفكر الغربي قد انطلقت من منطلق الفصل بين الدين والدنيا، فترتب عنها تقبل هذا الفكر لكل الايديولوجيات والمناهج الاجتماعية والمذاهب الاقتصادية مهما تنوعت اتجاهاتها ما دامت لا تخضع للدين، أما في الإسلام فإن المسلم يوفق بين الدين والدولة والعبادة ومنهج الحياة، كل ذلك لا ينفك ولا ينفصل.

ولعل أبرز ما وصلت إليه الانشطارية في الفكر الغربي وحاول المستشرقون تطبيقه على الفكر الإسلامي هو الدعوة إلى الانفصال بين الحاضر والماضي، فإنكار الماضي كلية مع الدعوة إلى الانفصال عنه تعتبر من خصائص الفكر الغربي، وهو مايحاول بعض المستشرقين نقله إلى الفكر الإسلامي، ولذلك نجد ثلة منهم يرمون التراث الإسلامي بكل مهانة وانتقاص، بل انهم ينكرون على زملائه التقليديين إضاعة الوقت في تكريس الاتجاهات المطلوبة (مواقف مكسيم رودنسون وبرنارد لويس). ولذلك فإن معظم المستشرقين لا يسلكون مسلك المسلمين في التدليل على قيمة الإسلام وتراثه الخالد في صلته بالحياة.

انهم ينكرون أن يكون للفكر الإسلامي المعاصر أصول ومعالم لا تتغير ترجع إلى الأصول الأولى للإسلام، إذ الفكر الإسلامي الصحيح «هو الذي يحافظ على قيمة الايمان بالإسلام، وقيمة المبادئ التي جاءت بها رسالة الإسلام للإنسان في حياته الفردية أو مجتمعه مع غيره» (٥).

إن الفكرالإسلامي هو التعبير عن منظومة الإسلام بكل شمولها وعموميتها في العقيدة والشريعة والسياسة والاجتماع والتربية والأخلاق، إذ لا يمكن بحال - كما يريد المستشرقون - الفصل بين الإسلام والفكر الإسلامي، فمنابع الفكر الإسلامي تتسع لمصادر التشريع ولكنها لا تقف عند حدودها بل تتجاوزها إلى منبع أصيل هو الرأي الذي هو ثمرة الاجتهاد، وإذا كانت مصادر التشريع هاته هي المكونات لبناء الإسلام ديناً ودولة، عقيدة وشريعة، نظاماً وسلوكاً فإن الفكر الإسلامي هو حارس هذا البناء لا يمكن تمييزه عنه أو القول بفصله عن الماضي أو أصول الإسلام.

محاولة تغريب الفكر الإسلامي

هذه المحاولة تكاد تكون مصاحبة لكل مراحل الاستشراق ومتداخلة مع كل التيارات. لقد كشف «هاملتون جب» في كتابه «وجهة الإسلام» إن هدف البحث، هو معرفة: «إلى أي حد وصلت إليه حركة تغريب الفكرالإسلامي وما العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب» (٦)، ويمكن لقارئ الكتاب أن يكتشف أبرز مناهج التغريب التي يسقطها المستشرقون على الفكر الإسلامي الحديث.

ومصطلح التغريب هذا يقصد به خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ثم تحاكم الفكر الإسلامي من خلالها بهدف تسييد الحضارة الغربية على غيرها ولا سيما الحضارة الإسلامية وإظهار تفوق الفكر الغربي على الفكر الإسلامي.

وقد حاول علماؤنا الأسلاف عبر القرون الحيلولة دون هيمنة الفكر الوافد أوالعقلية الخارجية المتمثلة في ثقافات اليونان والهنود والمجوس واليهود، وتمثل مختلف صور المقاومة، هاته أبرز ملامح تاريخ الفكر الإسلامي.

وقد ظل أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث يتنبهون إلى خطورة المناهج التغريبية في مجال الفكر الإسلامي ويواجهون أخطر المحاولات الدائمة في سبيل تحريف أصوله وأسسه ومرتكزاته الأصيلة.

إن سياسة تغريب الفكر الإسلامي من طرف الخطاب الاستشراقي يتمثل أساساً في حمل المسلمين على قراءة تاريخهم وفكرهم من خلال مناهج الغرب ومقاييسه ومحاولة خلق «دائرة فكر» تهدف إلى تحطيم المسلمات والبدايات التي يؤمن بها المسلمون، وانتقاص الفكر وإشاعة الشبهات والطعون والتقليل من أهمية التراث ●

الهوامش:

١) يعتبر الكتاب الذي طبع طبعات متعددة من أبرز الكتب التي تصدت لمحاولات تشويه معالم الفكر الإسلامي وتجفيف منابعه، ويقع الكتاب في أكثر من ٦٠٠ صفحة.

٢) Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenom men

٣) لقد كان المستشرق الإسباني بالاثيوس Palacios أشهر من هيمنت على كتاباته فكرة التأثير والتأثر بين الإسلام والمسيحية وخاصة في كتابه «الإسلام في ثوب نصراني» L'Islam christianise (باريس ١٩٨٢).

٤) محمد البهي: الفكر الإسلامي في تطوره ، مكتبة وهبة، القاهرة ط٢/ ١٩٨١ ص ١٢ .

٥) Hamilton Gibb: Les tendances





فكر

العولمة وضياع الهوية

بقلم: د. بركات محمد مراد - أستاذ الفلسفة - جامعة عين شمس

أولاً

ليس من شك في أن طرح قضية الهوية على مستوى التحليل النظري ليس بموضوع جديد تماماً، فما سؤال الهوية إلا الصورة المستحدثة التي فجرتها ظاهرة العولمة(١) للسؤال القديم و السابق عن «الأصالة» في اقترانها إيجاباً وسلباً بسؤال «المعاصرة». ولا شك أن كل هذه القضايا المثارة ليست إلا ضروباً من الوسائل الدفاعية التي تصطنعها ثقافتنا في مراحل الضعف والركود، أي المراحل التي مازلنا للأسف نعيشها، بالرغم من اختلاف أشكالها وتعدد مظاهرها وصورها.

وسؤال الهوية لا ينفصل - في نظرنا - عن حركة المجتمع العربي والإسلامي ومواكبة ثقافته للتغيرات العالمية التي تشكل أي مجتمع، أي عنصراً فاعلاً أو غير فاعل فيها، وطرح هذا السؤال في إطار ثقافتنا الراهنة غالباً ما يبرز عبر صورتين ممتازتين: صورة دفاعية تتذرع بالحفاظ على الموروث وتنتهي بتجميده في أشكال وقوالب جاهزة تعتقد بأنها الثوابت التي لا يجب التخلي عنها، وصورة «ديناميكية» ترى في الهوية قالباً مفتوحاً يخضع لحركة التاريخ وآليات تطوره.

والهوية ومحاولة الحفاظ عليها، والتي أصبحت في مهب رياح العولمة، موضع كثير من التساؤلات، فإن الحفاظ عليها وتحديد معطياتها، مطلب تنموي وحياتي ووجودي، فلا يمكن الخروج من أزمة التبعية دون أن تتبلور هوية المجتمع، إن نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى الآخرين وعلاقته بالمجتمع والكون تنبني على أسس فكرية تشكل خصيصة هذا الإنسان الذي كلما تحرر من التبعية، كلما استطاع أن يبني أنموذجه الخاص والملائم لواقعه، فكلما افتقدت الخصوصية كلما اتسم الإنتاج بالمماثلة، أما التعميم الثقافي الذي تحاول أن تروّج له العولمة، فإنه سيفرض ثقافة الأقوى وهي ثقافة أحادية

أولى الدين الإسلامي عناية فائقة لشحذ عقل وفكر الإنسان تجاه ما يحيط به من موجودات ومخلوقات وسنن كونية، وتجاه نفسه

الجانب، لا تقبل التبادل والتنوع، أو هكذا ستشكل تلقائياً.

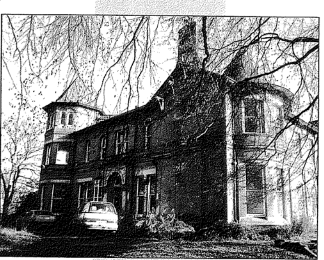
ومن هنا أولى الدين الإسلامي عناية فائقة لشحذ عقل وفكر الإنسان تجاه ما يحيط به من موجودات ومخلوقات وسنن كونية، وتجاه نفسه، فالإنسان في المفهوم الديني لا يعد كائناً سلبياً صنمياً، بل هو فاعل إيجابي يتأثر بما يجري حوله ويؤثر فيه، هكذا تتكون شخصية الإنسان ومنها تتبلور هويته، فالهوية ليست جموداً ولا تحجراً، بل على العكس من ذلك، هي نظرة فاعلة مع الذات والإنسان والكون والطبيعة الذي أمرنا بإعمال النظر فيها، ولذا لم يكن البحث في الهوية عند الشعوب والأمم المتقدمة إلا خطوة تسبق الإنجاز ومعه تتحرك.(٢)

هنا يثار السؤال حول مدى ما تشكله العولمة من تهديد لهويتنا الثقافية والقومية، وللإجابة على هذا السؤال، لابد من التسليم باستحالة العزلة، ففسحة الفراغ التي كانت تفصل بين حضارة وأخرى أصبحت في شبه المعدوم، نتيجة لتدفق المعلومات السريع الذي اختزل الزمن عبر وسائل الاتصال الحديث، وتكنولوجيا المعلومات، وإن كانت العادات والتقاليد والقيم التي يلتزم بها المجتمع من أصعب ما يمكن التأثر فيها عوضاً عن تغييرها، فإن تلك العادات والتقاليد أصبحت عرضة للتأثير والتبدل اليومي، حتى بدأ بعضهم يتحدث عن غياب الفوارق بين الشعوب، وإن كان من العجلة التسليم بهذا الرأي، فإنه لا يمكننا التقليل من الأثر المباشر لتكنولوجيا الاتصال في القيم الحاكمة في المجتمعات.

ومن هنا يقول باحث: «أدت تكنولوجيا الطباعة مع ظهور «آلة جوتنبرج» في منتصف القرن الخامس عشر إلى تدمير النظام الإقطاعي ذي السلطة المطلقة لطبقة النبلاء ورجال الدين، وأسهمت في عملية التكوين السريع للمراكز الحضارية وتوسعة النشاط التجاري وهي التغييرات التي أدت في ما بعد إلى تصنيع أوروبا وتحول مؤسساتها نحو

الديموقراطية.(٣)

كما يستعرض الدكتور نبيل علي في كتابه الموسوم «العرب وعصر المعلومات» أمثلة كثيرة للتأثير بين التكنولوجيا والثقافة العامة للمجتمع، وهو ليس أثراً سطحياً كما يذهب بعضهم إلى ذلك، بل هو تأثير عميق وثوري، يتصل بالأبعاد الثقافية المختلفة للمجتمع، وما نستورده من الغرب اليوم ليس منتوجاً فقط، أو آلات مجردة، بل سلوك وقيم ومعايير، وبقدر حاجاتنا لاستيراد تلك المنتوجات، فإننا سنستورد معها الأفكار والفلسفات، وقد لا يتم ذلك برغبتنا ولكنه واقع الانفتاح والتطور، الذي حوّل عملية الاستيراد إلى أحد أهم شؤون الحياة المعاصرة.



وهذا صحيح إلى حد بعيد، فإن المنتوجات المادية ما هي إلا تطبيقات عملية وتكنولوجية لأفكار ونظريات ومفاهيم سبق اعتناقها والاقتناع بها ولا تنفصل الجوانب المادية والحسية من الحضارة عن الجوانب الثقافية والمعتقدات الماورائية، بل إننا نرى التلازم بين النواحي المادية والمفاهيم والمعاني المجردة المعنوية، هما وجهان لعملة واحدة وهي التجسيد الحي والواقعي لما يسمًى بالحضارة الإنسانية.

ومن البدهي أن الثقافة المصدرة لن تكون محايدة ولن تتصف بالعالمية، بقدر ما هي تصدير لثقافة الأقوى، المتمكن من زمام التقدم العلمي والصناعي، وهنا ستكون العولمة هي الظاهرة المتسيدة وليست العالمية، وثمة فوارق واسعة بين كلا المفهومين.

فبينما تحقق العولمة تنميط الشعوب، وتوحيد الأذواق، وإلغاء الأنموذجات، وفرض الاختيارات بالقوة والجبر والتهديد، بما يصعِّد من سلسلة الصراعات. يغذي النزعات العدائية بين الأمم والحضارات، تتقدم العالمية لتقريب العالم، عن طريق حفاظها على الأعراف السائدة طالما هي أعراف إنسانية ويتفاعل كل عالم من العوالم إيجابياً في رسم اللوحة العالمية، وإن كان هناك مفكرون غربيون مثل «إنيت شونفلونج»(٤) يرون أن العولمة أصبحت تمثل تحدياً للتعلم الإنساني، فسرعة التغيرات والتطورات تتجاوز وسائل التعليم التقليدية وتسابق الخبرات المكتسبة القديمة، ويرون أن العالم لم يتأقلم بعد مع مفاهيم العولمة الجديدة، وخصوصاً أن التغيرات العالمية الراهنة سريعة ومتلاحقة، ولم تألفها الإنسانية من قبل، فتطوير المجتمع العالمي يتقدم بطرق مختلفة تماماً، عما كان سائداً من قبل، وبينما أصبح الأفق العالمي للتفاعل ضخماً في قطاعات معينة من المجتمع - مثل عالم الصناعة والمال، والعلوم الطبيعية، وصناعة الترويح والجريمة المنظمة - فإن عدداً من النظم الاجتماعية الأصغر مازالت تُدار فيدرالياً أو وفق مبادئ الأمة - الدولة، مثال ذلك السياسة والقانون والتعليم، وبسبب أن المجتمع العالمي في طور التشكيل بسرعات متباينة، فإن من الصعب فهمه واستيضاحه بصورة جلية، وبالإضافة لذلك، فإن هذه الأنماط المختلفة من التنظيم تسبب مشكلات فبينما - وعلى سبيل المثال - تحكم السيطرة على مستوى الأمة «لأسباب وجيهة» على الأنظمة التشريعية والأمنية ومنع الجريمة من خلال القضاء والأمن العام، فإن المافيا بالمقابل لا تزال تعمل ومنذ مدة طويلة بشبكات منظمة عالمياً، وبينما تقوم الشركات المتعددة الجنسيات بإعادة نشر العاملين حول العالم، وتغيير المدارس من دولة إلى أخرى، مع ما يلازم ذلك من الحصول على الاعتراف اللازم بالشهادات، فإن كثيراً ما يسبب المتاعب والصعوبات، لأن التعليم كما قلنا يتم تنظيمه وطنياً، بينما يكون تنظيم الصناعة وإلى درجة عالية عالمياً، ويمكن إدراج أمثلة كثيرة مشابهة.

جوهر العولمة الاقتصادي هو انتقال مركز ثقل الاقتصاد العالمي من الوطني إلى الكوني، ومن الدولة إلى الشركات والمؤسسات والتكتلات

ويرى «إنيت شونفلونغ» أنه نتيجة لهذا التطور الاجتماعي نحو المجتمع العالمي، فإن على كل فرد أن يتزود بالكثير حتى يتهيأ لهذا التوجه، فما كان مألوفاً له في السابق في البيئة المجاورة، أصبح غريباً عليه «نتيجة لهجرة الناس من ثقافات أخرى، مثلاً، أو الشعور بالغربة في بلد أجنبي»، كما أصبح وبشكل مفاجئ، ما تعود عليه أن يكون غريباً عنه، مألوفاً له، وفي مثل هذه الحال، لا يحتاج المرء إلى وقت طويل للتساؤل عن هويته الخاصة، وهنا أيضاً فإن المجتمع العالمي ليس فقط ذا فائدة للفرد، ولكنه كذلك يؤدي للتشويش وعدم الاستقرار.

ومن ملاحظة الواقع العالمي المتطور، نكتشف في الكثير من أجزاء العالم أنه قد أصبح التغير الاجتماعي سريعاً متجاوزاً لتغير الأجيال، ويؤدي هذا إلى مؤثرات كثيراً ما توصف على أنها صراعات أو تناقضات بين «المعاصرة والتقليدية»، وأشعر مع ذلك أن هذه المفاهيم لا تمثل بدقة هذا الصراع أو التناقض، لأن المعاصرة بحد ذاتها تخضع كذلك إلى تغير اجتماعي دائم وسريع، فالبيئة المحيطة بالفرد كثيراً ما تتغير جذراً خلال فترة حياته، ويصبح تعلم الأمس أقل استعمالاً في حياة الغد(٥).

وخلاصة القول، فإنه يمكن وصف العولمة على مستوى الهدف والمستويين الاجتماعي والزمني، ويواجه الناس بمشكلات هذه التحديات سواء كانوا يعيشون في البلدان الصناعية أو في بلدان العالم الثالث. ويحتاج إنسان اليوم إلى أن يتعلم كيفية مواكبة خبرة كبيرة التعقيد وكثيرة التنوع وعلى مستويات متعددة، وفي هذه اللحظة، فإننا نعيش في حال تاريخية تظهر فيها التغيرات في السلوك الشخصي عاجزة عن ملاحقة سرعة التغير الاجتماعي، وإن قدراتنا على حل المشكلات تتخلف عن التطور في العالم.

إضافة إلى أن هناك شبه إجماع بين أبرز المحللين والمفكرين على أن الانتشار العالمي للرأسمالية يؤدي إلى ضمور وتآكل قوة واستقلالية الدولة القومية، وهي الحافظة

الأساسية للهويات السياسية والثقافية، وإن رأس المال عبر القومي يترك تأثيرات عميقة على الدول، والثقافات، والأفراد أنفسهم، ويرسم «بنجامين باربر» في كتابه «الجهد ضد السوق الكونية» «Jihad vs Mc World» صورة موحية للعولمة عندما يصفها بأنها: «ذلك المستقبل مجسداً في تلك الصورة المعمقة بالحركة لقوى اقتصادية، وتكنولوجية و«إيكولوجية» مندفعة تطلب التكامل والتناغم وتغرق وعي البشر في كل مكان في طوفان الموسيقا السريعة، والكمبيوترات السريعة، والوجبات السريعة، دافعة الأمم باطراد نحو حديقة ملاهٍ عالمية واحدة متجانسة التكوين».

ويصف المجتمع السياسي في عصر العولمة بأنه مجتمع يعاني من الانقسام يقتصر فيه ولاء مختلف أعضاء المجتمع على مصالحهم الذاتية الخاصة على حساب أي تصور للمصلحة العامة أو الخير المشترك، والواقع أن السوق الكونية، أو «ماك وورلد» Mc World كما سماه «باربر» قوى العولمة تفضل «الأسواق الكونية، القائمة على المصلحة، والربح، تاركة جانباً قضايا الخير المشترك، والمصلحة العامة».

والواقع أن جوهر العولمة الاقتصادي هو انتقال مركز ثقل الاقتصاد العالمي من الوطني إلى الكوني، ومن الدولة إلى الشركات والمؤسسات والتكتلات عبر القومية، وهنا تفرض العولمة الاقتصادية منطقها الخاص، حتى لو تعارض هذا المنطق مع رغبات أكبر وأعتى الدول، وقد أفضت هذه التطورات إلى انتقال اقتصادات البلدان المتقدمة من الاقتصاد الصناعي إلى الاقتصاد ما بعد الصناعي، ومن مجتمعات حديثة إلى مجتمعات ما بعد الحديثة.(٦)

كما أدت ثورة المعلومات والاتصالات إلى تحولات مهمة في أنماط التبادل التجاري وفي بنية وأسلوب أداء «الأسواق» وتوجد الآن بدايات قوية لما يسمَّى «الأسواق الكونية»، و«التجارة الإلكترونية» Electronic Commerce عبر «شبكة الإنترنت»، حيث يتنامى حجم «التجارة الإلكترونية» بمعدلات كبيرة وسريعة خلال السنوات الأخيرة، ومما ساعد على نمو «التجارة الإلكترونية» عبر شبكة الإنترنت، ذلك الاستغناء التدريجي عن سلسلة «الوسطاء» في عمليات التجارة والتوزيع، وتشير بعض التقارير والدراسات إلى أن معدل النمو السنوي لهذه التجارة خلال السنوات المقبلة قد يصل إلى نحو ١٦٪ سنوياً وقد يتراوح بين ٢٠٠ مليار إلى ٨٠٠ مليار دولار.(٧)

وهذه التدفقات التجارية ستكون متحيزة للعلامات التجارية المعروفة Brand names وأسماء المحلات ذات الشهرة، لأنها توحي بالثقة للمشتري، وتحمل نوعاً من ضمان الجودة، ما يجعل تدفقات التجارة الإلكترونية لصالح منشآت وشركات البلدان المتقدمة، ومن ثم تتضاءل فرص النمو الاقتصادي أمام اقتصادات دول العالم النامي في ظل منافسة عولمية غير متكافئة.

العولمة مقلقة بالفعل، حيث تهدد بالكثير من التجاوزات على مستوى العالم وخصوصا فيما يتصل بدول الجنوب والعالم النامي ومن بينها العالم العربي والإسلامي

ولا شك أن تلك الأموال الضخمة الناتجة من الاقتصاد المعولم سوف تؤدي إلى مزيد من الهيمنة للرأسمالية الغربية، وبخاصة أميركا، ومن هنا تبدو العولمة مقلقة إذا كانت تعني زيادة توظيف الشركات الاحتكارية لقدراتها المالية والتنظيمية «معظم الشركات الاحتكارية أميركية» من أجل استغلال ثروات الشعوب وزيادة تغلغلها في اقتصادات الدول النامية ـ ومنها الدول العربية والإسلامية ـ والتي عانت ما فيه الكفاية من الاستغلال والنهب الاستعماري والإمبريالي.

ومن هنا نرى أن العولمة مقلقة بالفعل، حيث تهدد بالكثير من التجاوزات على مستوى العالم وخصوصاً فيما يتصل بدول الجنوب والعالم النامي ومن بينها العالم العربي والإسلامي، فالعولمة مقلقة إذا كانت تتضمن زيادة الفجوة الاقتصادية والحضارية القائمة حالياً في العالم بين الدول الغنية التي تزداد غنى والدول الفقيرة التي تزداد فقراً، والعولمة أيضاً مقلقة إذا كانت تتضمن هيمنة ثقافية واحدة ووحيدة مهما كانت مغرية ومسنودة بالنجاحات المادية والمعنوية، وقيامها بتهميش الثقافات الأخرى في العالم، ما يؤدي إلى مزيد من الغربة والاغتراب، وفقدان الهويات.

والعولمة مقلقة إذا كانت تعني «الأمركة» واستفراد الولايات المتحدة الأميركية بالشأن العالمي، ونشر أنموذجها الحياتي وتعميمه على الصعيد العالمي، وإذا كانت تعني المزيد من اغتراب الإنسان المعاصر الذي بدأ يفقد السيطرة على التحولات الحياتية والفكرية السريعة حتى بمعايير عصر السرعة، ويظهر جهازه النفسي والذهني العجز عن مجاراة المستجدات العلمية والتكنولوجية التي تؤسس حالياً للحظة حضارية جديدة، ولعصر مختلف كل الاختلاف عما كان سائداً حتى الآن.

وإذا كانت العولمة توحي بكل هذه الإيحاءات المقلقة، فهذه هي العولمة المتوحشة، والتي ستجد الرفض كل الرفض من سائر الشعوب، ويتأكد لنا هذا إذا علمنا أنه في ظل آليات الهيمنة العالمية تحولت الثقافة الاستهلاكية Consumer Culture، إحدى مجالات تدويل النظام الرأسمالي، إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه، وإدخال الضعف لديه، والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط، فيقبل بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها.(٨)



وهكذا تعد العولمة - في نظر كثير من الباحثين - إحدى التحديات التي تقف أمام بناء المجتمعات التقليدية لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها، وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج ينتظر ما يجود به الغرب من سلع جاهزة الصنع، بل تجعله يتباهى بما لا ينتجه، فهو القادر على استهلاك ما لا يصنعه، مما يشكل لديه قيماً اتكالية، والتواكل والتطلع إلى اقتناء السلع الاستهلاكية التي تتغير يومياً، لا في سبيل التطوير فقط بل في سبيل زيادة حدة الاستهلاك على المستوى العالمي.(٩٨)



وحتى على مستوى النخب القومية والوطنية، فإننا سنجد مسألة الولاء والهوية سمة أولى، حيث يبدو من كتابات أهل النخبة وسلوكياتهم وممارساتهم أن الأولية في الولاء تحتلها العولمة. وهي تأتي قبل الدين والدولة والحزب والجماعة «حتى لو كانت الجماعة جماعة رجال أعمال أو جمعية لخبراء الاتصال تنتمي هي نفسها للعولمة». ولكن هذه الأولية لا تفرض التزامات بقدر ما تقدم ضمانات وتسهيلات.

ومن تأثيرات هيمنة العولمة على النخب الثقافية في العالم، أننا نجدهم يرون الوطن والوطنية من رموز التخلف أو على الأقل من رموز مرحلة تاريخية انقضت، على الرغم من إدراك كثير من المفكرين السابقين لأهمية الانتماء لوطن، مما يذكرنا بعبارة وردت على لسان «المهاتما غاندي» في حوار مع «الماركسيين الهنود»، قال: «الطريق إلى الأممية لابد أن يمر بالوطن». وهنا نجد هذا الزعيم قد ترك باب المستقبل مفتوحاً أمام كل الخيارات الإيديولوجية، شرط أن يكون الوطن ككيان رمزي أو حتى وهم عتبة هذا الباب، أي عتبة المستقبل بكل خياراته.

ومن هنا يقول الباحث «جميل مطر»(١٠): «لا تدهشني أحياناً دعوة بعض المتنورين من العولميين للعمل على استعادة مكانة الوطنية كهوية أولى، هؤلاء لا يستحقون التقدير لذكائهم وصواب رؤيتهم، فالوطنية - كالثقافة - مجمع أو سلة رموز. لا شيء محدد يمكن أن يحتكر مضمون الوطنية... لا الأرض، ولا الشعب، ولا التاريخ، ولا الأحلام ولا الأوهام، ولا شيء وحده من كل هذه الرموز يعني الوطنية، فكلها أشياء أخرى كثيرة تشكل في جملتها معنى الوطنية».

إضافة إلى أن الغزو المتدرج من جانب العولمة للدولة، هو الغزو الذي لا يميز بين دولة عظمى ودولة نامية، يقابله شعور متزايد من جانب الدول النامية عموماً بالاغتراب، إذ أصبحت النخب السياسية ومنها الحاكمة، في حال إحباط من أنها لا تشارك في القرارات الدولية المهمة، ومنها القرارات التي تخصها، بسبب الاحتكار المتزايد من جانب الدول العظمى لعملية صنع القرار الدولي. الشعور السائد والغالب هو الشعور بالإهمال، وبالتالي تصدر عن كثير من حكام هذه الدول تصرفات تعكس حال اغتراب عن النظام الدولي، هذه النخبة السياسية، وفيها النخبة الحاكمة في حال سياسية سيئة بسبب شعورها بالضعف المتزايد إزاء قوة قوى العولمة ونفوذها المتعاظم.(١١)

ومن هنا فالعولمة بالمعاني السابقة هي الإعلان الرسمي عن نهاية للحضارة الغربية، وبداية ظهور حضارة كونية جديدة، وفي مواجهة بعض الأصوات المتعلقة التي تدعو إلى الاستفادة الكونية من هذه الحضارة الكونية، يحاول «هنتغتون»(١٢) وأمثاله تحويل هذه الحضارة الكونية إلى «أمركة»، حضارة هيمنة أميركية مطلقة عسكرية واقتصادية وتكنولوجية وإعلامية وثقافية واجتماعية.

وهي هيمنة منفلتة العقال إلى حد دفع وزير الخارجية الفرنسية «هوبير فدرين» إلى ابتكار لفظ جديد في العلوم السياسية، فكلمة دولة عظمى لم تعد برأيه تكفي وأنه يتعين من الآن فصاعداً تسمية الولايات المتحدة دولة «فوق عظمى».

والمفارقة - على ما يذكر الدكتور سليمان العسكري(١٣) - أنه في الوقت الذي يروج فيه «هنتغتون» وأتباعه لمفهومه التلفيقي عن «الحضارة الغربية» فإن النخبة الثقافية والسياسية لم تعد تنظر إلى أميركا باعتبارها جزءاً من - أو حتى ناقلة لـ - الحضارة الغربية، بل ينظرون إليها باعتبارها مجتمعاً مميزاً يجسد التعددية الثقافية والعرقية، ثقافته محصلة تفاعل ثقافي بين الثقافات الأوروبية، والأفريقية، والإسلامية، والآسيوية، والسلافية... إلخ، وتضرب هذه الثقافات بجذورها في الحضارات الأفريقية والأميركية واللاتينية والكونفوشوسية والإسلامية، وليس الأوروبية فقط.

وهكذا تبشر أميركا بأنموذجها الثقافي باعتباره الأنموذج الوحيد لعصر العولمة. وبعد أن قادت العالم قسراً إلى تحقيق التجانس الاقتصادي والتجاري والقانوني على الصعيد الكوني، فإنها تحاول تحقيق تجانس مماثل على الصعيد الثقافي. ومن هنا لا يكون غريباً أن ينتهي الباحث سليمان العسكري في مقاله السابق إلى القول: «ونحن لا نرى في أطروحة «هنتغتون» حول صراع الحضارات سوى فكرة تعبوية ذات رائحة عنصرية لا تستند إلى أي حقائق علمية أو مبررات أخلاقية، هدفها فقط تبرير الصدامات العنيفة التي يشهدها العالم نتيجة لرفض أناس كثيرين لمنطق «الهيمنة والابتلاع» وليس لمنطق العولمة.

وإذا كان «هنتغتون» يقصد من فكرته حول «صراع الحضارات» أن الحضارة الغربية تواجه الحضارات الأخرى، فإنني أجد أن معناها الحقيقي هو «أميركا في مواجهة العالم»، والمفارقة هنا أن «هنتغتون» و«بن لادن» يمثلان وجهين لعملة واحدة، فكلاهما يمثل الوجه الإحيائي للثقافة، أي الاستناد إلى الموارث في اعتبار الآخر «بربرياً» أو «كافراً»، وأفكارهما تقود لا محالة إلى تأجيج النزاعات

استطاعت العولمة أن تخترق الحواجز، وبدلت الكثير من الأفكار والمفاهيم والمسلمات القديمة، في مختلف مجالات الحياة، وزادت من شبكة الاتصالات والمواصلات والاعتماد المتبادل

القومية والدينية تحت شعار الدفاع عن الدين أو الهوية أو المصالح الوطنية، أو تحت شعار الدفاع عن القيم الديموقراطية والتحضر وحقوق الإنسان.

ويذهب فريق آخر إلى أن عولمة الثقافة لا تلغي الخصوصية، بل تؤكدها، حيث إن الثقافة هي «المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عند نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان، ومهامه وقدراته وحدوده»، ومن ثمَّ فلابد من وجود ثقافات متعددة ومتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة.(١٤)

ومهما كان الموقف من العولمة إلا أن هناك حذراً شديداً عند التعامل معها. فآثارها لم تتوقف عند تكوين مستوى اقتصادي كوكبي، بل أدى تشكيل هذا النظام بآلياته المستحدثة إلى نتائج أخطرها ثقافية، حيث غيَّرت من طابع الشخصية القومية، أو ما يسميه «إريك فروم» بـ«طابع الشخصية المجتمعية»، بل تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية، وطمس الهويات الثقافية للشعوب، وقد ساعد على ذلك حال الثقافة في بعض المجتمعات الأقل تطوراً... فالثقافة العربية مثلاً تعاني من ازدواجية نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية، بالإضافة إلى التمايز الواضح بين ثقافة النخب وثقافة الجماهير... والنتيجة، استمرار إعادة متواصلة ومتعاظمة للازدواجية نفسها، ازدواجية التقليدي والعصري، ازدواجية الأصالة والمعاصرة، في الثقافة والفكر والسلوك.(١٥)

ربما استطاعت العولمة أن تخترق الحواجز، وبدَّلت الكثير من الأفكار والمفاهيم والمسلَّمات القديمة، في مختلف مجالات الحياة، وزادت من شبكة الاتصالات والمواصلات والاعتماد المتبادل وفي الواقع سهَّلت العولمة الاتصال بين الناس، منذ اختراع العجلة إلى اختراع الإنترنت، إلا أنها كانت أكبر دولة تدعو إلى العولمة تضم أكبر جاليات تعيش على أرضها منذ عقود، بعضها منذ أيام الحرب العالمية الأولى - وهي الولايات المتحدة الأميركية - إلا أن تلك الجاليات لا تزال تعيش في أحياء متميزة تتمسك بالكثير من عاداتها وتقاليدها وتحاول إبرازها في كل مناسبة.

من تأثيرات هيمنة العولمة على النخب الثقافية في العالم، أننا نجدهم يرون الوطن والوطنية من رموز التخلف أو على الأقل من رموز مرحلة تاريخية انقضت

وبعامة فقد أخذت النزعة العالمية في التفكك أخيراً، جنباً إلى جنب نزعة المركزية الأوروبية، نتيجة مجموعة من العوامل الحاسمة التي لا تزال تسهم في تقويض نفوذها وتعريتها من أوهامها الخادعة، صحيح إن هذه العوامل لم تقض على نزعة العالمية تماماً، إذ لا يزال لها حضورها الذي دعمه صعود العولمة، وذلك على نحو أسهم في استمرار تجلياتها في وعي التابع «المؤبلج» الذي لا يزال يعيد إنتاج تعبئته في مناطق كثيرة من العالم الذي تنتسب إليه.

ولكن مع ذلك لم يعد لنزعة العالمية نفوذ الهيمنة الذي كان لها منذ ربع قرن تقريباً - كما يذكر الدكتور جابر عصفور(١٦) - وخصوصاً بعد أن تعددت الخطابات المضادة التي انبعثت لتقض هيمنة «النزعات المركزية» من داخل المركز الأوروبي - الأميركي أو من خارجه.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يتضافر غير واحد من هذه الخطابات مع نقد العولمة نفسها على مستويات متعددة في السنوات الأخيرة، سواء من داخل الأقطار التي انبعثت منها العولمة، وذلك بهدف تحويلها إلى عولمة إنسانية تخلو من الوحشية التي لا تزال تصاحبها، أو من دولها - وبخاصة فرنسا - إلى تأكيد وحدتها لمواجهة العولمة المركزية، في سياق لا ينفصل عن إبراز أهمية الشركة الأوروبية الغربية ووحدة ثقافة البحر المتوسط، وأخيراً من داخل الأمم المتحدة نفسها، حيث تآزر دعاة نقض الهيمنة في صياغة خطاب التنوع الخلاَّق ●

الهوامش:

١ - هناك كثير من تعريفات العولمة Globalization، ومن هذه التعريفات أنها: عبارة عن اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش، أو أنها مرحلة جديدة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية، على الصعيد العالمي، ويحدث تلاحم غير قابل للفصل، بين المحلي والعالمي، بروابط ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وإنسانية، أو أنها الرأسمالية فيما بعد مرحلة الإمبريالية، أو أنها حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز، وسيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ، أو أنها فعل اغتصاب ثقافي، وعدوان رمزي، على سائر الثقافات، أو السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بوساطة استثمار مكتسبات العلوم و«التقانة» في ميدان الاتصال.

٢ - أحمد شهاب: نحو تناول علمي لمفهوم العولمة ص ٦٤، ٦٥ مجلة الكلمة العدد ٢٥ بيروت ١٩٩٩م.

٣ - د.نبيل علي : العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة العدد ١٨٤ الكويت عام ١٩٩٤م.

٤ - «إنيت شونفلونج»: العولمة تحدٍ للتعلم الإنساني، ترجمة محمد سعيد الصباريني ص ١٢٦ مجلة الثقافة العالمية، الكويت، العدد نوفمبر عام ١٩٩٧م.

٥ - المرجع السابق.

٦ - د.سليمان العسكري: ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات - مجلة العربي - العدد ٥١٨ - يناير ٢٠٠٠م.

٧ - د.محمود عبدالفضيل: مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة - ص١٧، ١٨ دار الشروق ٢٠٠١م.

٨ - انظر مسعود ضاهر: الثقافة العربية ومواجهة المتغيرات الدولية الراهنة، الفكر العربي المعاصر، ص ٣٦ بيروت ١٩٩٣م.

٩ - د.بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة: رؤية نقدية ص ١٥٨، ١٥٩ كتاب الأمة العدد ٨٦ قطر، عام ١٤٢٢هـ.

١٠ - جميل مطر: نخبة العولمة... ومن سيقود العالم، مجلة الهلال ص ٤٠، ٤١، إبريل عام ٢٠٠١م.

١١ - المرجع السابق ص ٤٣.

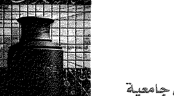
١٢ - لقد حاول «هنتنغتون» المحاضر في جامعة «هارفارد» بأميركا تجاوز «فلسفة النهايات» التي اكتملت عند «فوكوياما» بحتمية الليبرالية، كمصير للشعوب إلى حتمية «صدام الحضارات» التي هي آخر طور، أي الحلقة النهائية في سلسلة تطور الصراع، ويرى أن التاريخ لن ينهض وأن الصراع الحقيقي لن يختفي، وإنما سيكتفي كل منهما بتغيير مصادره واتجاهاته، وتبديل أشكاله وآلياته بالتحول من صراع دول ومجتمعات وطبقات إلى صراع ثقافات وحضارات، انظر مؤلفه: صدام الحضارات - ترجمة مركز الدراسات الاستراتيجية - ص٣٠ - ٨٢، بيروت عام ١٩٩٥م، و«فوكوياما»: نهاية التاريخ وخاتم البشر: ترجمة حسين أحمد أمين، ص ٦٢، مركز الأهرام للترجمة، عام ١٩٩٢م.

١٣ - د.سليمان العسكري: ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات، ص١٣.

١٤ - راجع نقد جلال أمين لمفهوم العولمة، كما يدعو إليه الغرب، في كتاب العرب والعولمة ص ١٥٣ - ١٧٠.

١٥ - راجع د.محمد عابد الجابري: العرب والعولمة، تقييم نقدي لممارسة العولمة في المجال الثقافي، وانظر د.أحمد مجدي حجازي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، عالم الفكر العدد ٢، ج٢٨، ص١٤٢، ١٤٣ أكتوبر عام ١٩٩٩م.

١٦ - د.جابر عصفور: تفكيك المركزية وتقويض العولمة، مجلة تحديات ثقافية العدد ٨ ص ١٦ ربيع ٢٠٠٢م.



رسائل جامعية

مشاهد القيامة في الحديث النبوي

إعداد: عبدالله بدران

على كثرة ما حدثنا القرآن الكريم عن يوم القيامة، وعلى كثرة ما وقفت آياته الكريمة عنده، فإن الإنسان في تطلعه الدائم إلى المجهول، وسعيه الدائب خلف الغيب، وإلحاحه المتصل وراء ما وراء الكون، يظل في حاجة إلى مزيد من العلم والمعرفة وإلى من يكشف له عن أسرار أخرى من هذا الغيب المجهول، ولم يعط الله أحداً من خلقه من العلم بهذا الغيب مثلما أعطى أنبياءه، وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه سبحانه بأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحي يوحى.

بهذه الكلمات يقدم الدكتور يوسف خليف أستاذ الأدب العربي والدراسات الإسلامية في كلية الآداب بجامعة القاهرة رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث أحمد محمد عبدالله العلي، وعنونها بـ «مشاهد القيامة في الحديث النبوي الشريف».

وإذا كان الباحثون قد شغلوا بحديث القرآن الكريم عن هذا اليوم المشهود، فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل بحاجة إلى من يشغل به، على كثرة ما تحدث - عليه الصلاة والسلام - عنه وعلى كثرة ما وقف عنده، وأطال الوقوف، وعلى كثرة ما فصّل في الحديث عنه وأفاض في التفاصيل، وهو ما تبحثه هذه الرسالة العلمية.

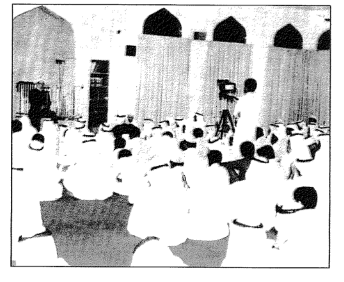
عناية بالغة

ويقول الباحث العلي في مقدمة الرسالة: إن سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعتني بالحديث عن ذلك اليوم الآخر عناية بالغة، تجعله قسيماً لليوم الدنيوي، بل إنها لتقدمه لما له من أثر عظيم، فكل عمل في الدنيا يرتبط بالجزاء في الآخرة برباط وثيق، وما هذه الحياة الدنيا إلا دار عمل، وفي ذلك اليوم جزاء ولا عمل، وهذه الحياة قصيرة مهما تناهى طولها، وهي إلى جنب الآخرة قطرة في بحر، ولكن الناس يجهلون.

وعن سبب اختياره هذا الموضوع لأطروحته العلمية يقول: «هالتني هذه المادة الثرية المتعلقة بالحياة في اليوم الآخر، فطفقت أقرأها وأتملاها، وعشت معها زمناً أقلب الرأي في جمعها وتبويبها ودراستها دراسة أدبية بعد توثيقها من مصادرها الأصلية، وعنَّ لي أن أتتبع ما كتب حولها، فأخذت نفسي بالبحث والاستقصاء فوجدت أن نزراً يسيراً من الدراسات قد تعرض للجوانب الجمالية، من الحديث فيما يختص ببلاغته وأسلوبه».

ويضيف: «سكنت نفسي إلى هذا الرأي، وأقبلت عليه إقبال الوامق المحب، فوضعت نصب عيني أنني أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعه وأتملى حديثه، فأجد في بيانه خلاصة رسالة، ومحور دين، ودعوة لا تهدأ، وإشفاق نبي على أمته، كما أجد في بيانه أمة بليغة تتحدث، فتفحم البلغاء، وتدحر المتفاصحين، وتزري بالمتفيقهين الثرثارين».

وعن بقية عمله يقول: «شرعت في جمع النصوص، وكانت مصادري هي التي اعتمدتها الأمة، حافظة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم دون تشويش أو إعراض، فكانت الكتب الستة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه، وأضفت إليها مسند الإمام أحمد، وموطأ مالك، وسنن الدارمي».



سبعة فصول

وقد وزع الباحث أطروحته على مقدمة وتمهيد وبابين ضما سبعة فصول، وخاتمة، وتناول التمهيد تعريفاً بالسنة النبوية، ومراحل تدوين الحديث وما وجده جامعوه من العنت والمشقة، ومناهجهم في جمعه واستقصائه وتدوينه مع إحاطتهم الشاملة بأحوال رجال السند والتدقيق في المتن.

وضم الباحث إلى التمهيد المصادر المعتمدة في الدراسة ونبذة يسيرة عن أصحابها.

وجاء الفصل الأول بعنوان «أشراط الساعة» وتطرق إلى ما بين يدي الساعة أو الأيام الأخيرة في هذه الحياة، وأمارات انتهائها والاستعداد الكوني لتقويض الدنيا والإقبال على الآخرة، وشواهد ذلك ظهور علامات ذكرت في القرآن الكريم والسنة المطهرة تعورف على تسميتها بالأشراط الصغرى والكبرى.

وحمل الفصل الثاني عنوان «البعث والحساب»، وتكلم فيه عن نفخة الصور وابتعاث الموتى من قبورهم إلى أرض المحشر، وصفة هذه الأرض، ثم تقديم الناس للحساب والجزاء، إضافة إلى الحديث عن القصاص والميزان والحوض والصراط والشفاعة.

وخصص الباحث الفصل الثالث للحديث عن النار، ورأي أهل السنة والجماعة في بقاء الجنة والنار، ثم الحديث عن صفة النار وسعتها وشدة

حرها، وأهل النار والخالدين في جهنم وأماراتهم التي وسموا بها من أعمالهم.

وتطرق الفصل الرابع إلى الجنة وصفاتها وأول من يدخل إليها وأبوابها، ودرجاتها، وما أعده الله سبحانه وتعالى لعباده فيها، وما قيل عن رؤية المؤمنين خالقهم عزَّ وجل.

الخصائص الفنية

وفي الفصول الخامس والسادس والسابع تحدث المؤلف عن الدراسة الفنية لهذه الأحاديث، وحمل الفصل الخامس عنوان «البيان النبوي» وتحدث فيه الباحث عن الموضوعات التالية:

- أثر البلاغة النبوية في اللغة.
- خصائص الأسلوب النبوي.
- هيئته ومنطقه.
- الإيجاز والإطناب.
- البعد عن التكلف.
- الجزالة والسهولة والوضوح.
- وحدة الموضوع.

وجاء الفصل السادس بعنوان «التصوير الفني في الحديث» وتطرق إلى الموضوعات التالية:

- أدوات التصوير.
- التشبيه.
- التصوير بالاستعارة.
- التصوير بالكناية.

أما الفصل السابع والأخير فحمل عنوان «ظواهر فنية أخرى»، وبحث ثلاثة موضوعات هي:

أولاً: القصة.

- مفهوم القصة عند العرب.
- القصة في الحديث النبوي.
- القصة وقضايا الآخرة.
- العناصر الفنية في القصة.
- الله عز وجل في القصة النبوية.
- علاقة الرب بالعباد.
- الشخصية في القصة النبوية.
- الحدث في القصة.
- الحوار في القصة.
- عنصر الزمان والمكان.

ثانياً: المثل في الحديث.

- المثل في اللغة والاصطلاح.
- أهمية المثل.
- الأمثال عند العرب.
- الأمثال البيانية.

ثالثاً: الموسيقا

وختم الباحث أطروحته بخاتمة ضافية لخص فيها موضوع الدراسات وأظهر أبرز نتائجها ●

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

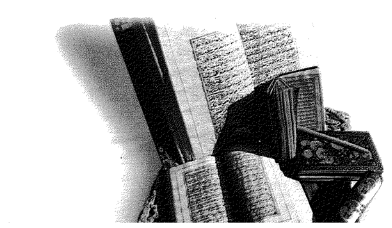
● ما يتعلق بالكاتب:

- **أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهله للكتابة.**
- **أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.**
- **أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.**
- **أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.**

● ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

- **أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيِّرة والعلم الشرعي.**
- **أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.**
- **أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.**
- **أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.**
- **ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.**
- **أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.**
- **لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.**
- **ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.**








قضايا ثقافية

وقفة مع استخدام المراجع العلمية عند تأليف الكتب والمقالات



بقلم: د.رفيق حسن الحليمي. كاتب وأكاديمي فلسطيني

تقتضي عملية التأليف سواء أكانت لتأليف الكتب أم لكتابة المقالات الاعتماد على مجموعة من المراجع العلمية، لتعزيز الأفكار وتقويتها أو للاستشهاد بها، والبرهنة عليها، أو لمعارضتها وإبداء الرأي حولها، وحتى تظل الكتابة بمنأى عن الاضطراب والفوضى التي نلمسها في بعض المقالات، ونجدها في بعض الكتب عند استخدام المراجع العلمية لابد من «وقفة» نتفق فيها ونحدد من خلالها الطريقة المثلى لاستخدام المراجع، وفقاً لما انتهى إليه وأجمع عليه جل الباحثين المعاصرين في هذا الشأن.

وفي البداية نذكّر بأن هناك فروقاً لابد من مراعاتها بين استخدام المراجع عند تأليف الكتب أو كتابة الرسائل الجامعية والمؤلفات المطولة، وبين استخدامها عند كتابة المقالات التي تنشرها المجلات العلمية، ولا سيما بعد أن أصبحت النية تتجه إلى الأخذ بمبدأ «التحكيم» في أكثر المجلات العلمية الحديثة، التي يلتزم المحكمون فيها معايير البحوث العلمية الدقيقة والأسس التي تقوم عليها، ومن بينها كيفية استخدام المراجع بمختلف أنواعها، وقد أمكن حصر هذه الفروق، وفيما يلي عرض لها:

الاقتباس

وهو أخذ معلومة من الآخر سواء أكانت في كتاب أم في مقال وقد تكون عن طريق الاستماع - في محاضرة عامة أو ندوة أو إذاعة، أو عن المشافهة عن الآخر في حديث يدلي به بصورة خاصة أو عامة، ولابدّ في جميع هذه الأحوال وغيرها من نسبة هذه «المعلومة» مهما تكن ضئيلة أو كبيرة إلى مصدرها أو صاحبها وقائلها، ولا يضير الكاتب شيء من ذلك، ولا يقلل من مكانته العلمية أو من قيمة دراسته، بل على العكس من ذلك، يزيده احتراماً وتقديراً في أعين الآخرين.

فإذا كان الاقتباس «قصيراً» وضع بين قوسين «........» مع إعطائه رقماً يأتي في آخر القوسين، وفقاً لتسلسل الأرقام حسب المراجع، بحيث يشير هذا الرقم وغيره إلى المرجع أو المصدر أو الشخص الذي أخذ عنه الاقتباس، ويظل هذا الرقم سمة وعلامة ملازمة لهذا الاقتباس، ولا يجوز الخلط بينه وبين غيره من أرقام، لأن ذلك معناه الفوضى والاضطراب في المراجع، وتشويش الأذهان، حينئذ يفقد الكاتب صدقه، وقد تهتز صورته في أعين القرّاء، وقد يتهم بفقدان الأمانة العلمية.

وإذا كان الاقتباس مطولاً، بحيث لا يحتمله وعاء النشر، اكتفي بوضع الرقم في نهاية الكلام من دون وضعه بين قوسين، وفي هذه الحال لابد من اختصار الاقتباس «المطول» وإيجازه في عبارات، بلغة الكاتب وأسلوبه، مع المحافظة على جوهر المعنى، والحرص على التزام الدقة والأمانة العلمية، في كل خطوة يخطوها الكاتب فيما يكتب وينقل ويقتبس.

التعامل مع المراجع في كتابة المقالات

يعطي الكاتب رقماً «للاقتباس» سواء أكان قصيراً أم

مطولاً، وتستمر عملية تسلسل أرقام الاقتباسات في المقالات من الرقم (١) إلى آخر اقتباس اعتمدت عليه كتابة المقال، فلو أن مقالاً اعتمد كاتبه على عشرة اقتباسات فمن المتوقع أن تتسلسل الأرقام من (١)، (٢)، (٣)... إلى الرقم (١٠)، وذلك في أثناء المقال، وبين سطوره، حيث يشير الرقم إلى أن هذا الكلام ليس من كلام كاتب المقال، وإنما هو لمؤلف آخر، ولمرجع من المراجع. وفي نهاية المقال تدوّن المراجع وفقاً لورودها وتسلسلها فيه حسب ما هو معروف ـ وكما سيأتي ـ في تدوين المراجع والمصادر، ومعنى ذلك أننا لا نتوقع أن نجد اسماً لمرجع من المراجع في أسفل صفحات المقال، وهذه نقطة في غاية الأهمية ولابد من مراعاتها في كتابة المقالات بصفة خاصة، بل تُرَحّل جميعها إلى آخر المقال تحت عنوان «المراجع».

والذي دفع الكتّاب والباحثين، إلى اتخاذ هذا الشكل من أشكال استخدام المراجع في كتابة المقالات الحذر الشديد من الخلط بين المراجع عند طباعة المقال، وإخراجه وفقاً لأوعية النشر وطريقتها في ترتيب المقالات، فإذا وضع كاتب المقال المراجع في أسفل الصحفات، فإنها عند الإخراج والطباعة النهائية لا تبقى في مكانها، وقد يخطئ الطبّاع والمخرج فيها، وقد يحدث تخليط بينها، حينئذ تعم الفوضى ويحدث التشويش، لذلك لجأوا إلى هذه الطريقة أمناً من الوقوع في اللبس والخطأ والخلط بين المراجع.

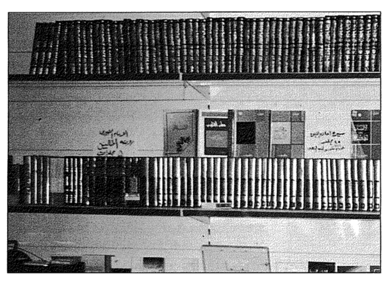
التعامل مع المراجع في تأليف الكتب

يكتفى عند الشروع في تأليف الكتب بتدوين أرقام المراجع في كل صفحة، مع تذييل أسفل الصفحة بأسماء المراجع «مع ذكر رقم الصفحة التي أخذ منها الاقتباس»، فلو أن باحثاً استخدم ثلاثة مراجع في إحدى صفحات كتابه فمن المتوقع أن يدوّن أرقام المراجع الثلاثة (١)، (٢)، (٣)، في أثناء الكتابة، ثم يذيل أسفل الصفحة «الهامش» بالأرقام الثلاثة، مع ذكر عنوان المراجع التي اعتمدها فيها، وهكذا فقد نجد صفحة فيها خمسة مراجع أو أكثر أو أقل، وقد لا نجد، وفي نهاية الكتاب يدوّن المراجع كلها وفقاً لأسماء مؤلفيها أولاً حسب الترتيب الهجائي: «أحمد» قبل «باسل»، «حامد» قبل «خالد»، ثم يذكر عنوان الكتاب، وطبعته، ومكان طباعته وتاريخ الطباعة ومكانها، مع وضع فواصل بينها جميعاً، وإذا خلا الكتاب من ذكر تاريخ الطباعة تكتب مكانها عبارة: (د.ت) أي من دون تاريخ.

وعلى المشرف على طباعة المقال أو المخرج أن يلتزم هذا الترتيب في المراجع، فقد يرحّل الأرقام والمراجع معاً إذا اقتضت الضرورة إلى الصفحة التالية، وهكذا، وهذه النقطة تعود إلى فن الطباعة، وقدرة الطبّاع على إدراك ذلك.

تدوين المراجع

تتفق عملية تدوين المراجع في المقالات مع الكتب في أمور وتختلف معها في أمور أخرى.



مواضع الاتفاق:

فهي جميعاً تتفق على ضرورة ذكر اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، وطبعته: (الأولى ـ الثانية ـ الثالثة)، وتاريخ الطبعة، ومكانها، ونضرب لذلك ببعض الأمثلة:

١ ـ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمدبدوي، وحامد عبدالمجيد، ط الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م.

٢ ـ إسماعيل، د.عزالدين: الأسس الجمالية في النقد العربي، ط الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٥م.

٣ ـ أمين، د.أحمد: إلى ولدي، ط الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

٤ ـ ابن الأنباري (محمد بن القاسم): الأضداد، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م.

مع ملاحظة ضرورة إلغاء كلمة: (ابن، أبو، الـ) من اسم المؤلف في الترتيب الهجائي، وذكر اسم الشهرة أو اللقب أولاً، إذا كان أكثر شيوعاً من اسمه، ثم ذكر اسم المؤلف ووضعه بين قوسين مثل: الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر).

مواضع الاختلاف:

هناك بعض الفروق البسيطة ولكنها جوهرية في عملية تدوين المراجع بين الكتب والمقالات، ففي الكتب تدون المراجع ـ إن وجدت ـ في أسفل كل صفحة «الهامش»، «مع ذكر رقم الصفحة التي أخذ منها الاقتباس»، ويحمل كل مرجع رقماً يتفق بالضرورة ويتطابق مع وروده في أثناء الكتابة والتأليف، وبعد الانتهاء من عملية التأليف نهائياً، ترتب المراجع في آخر الكتاب وفقاً للحروف الهجائية حسب الكيفية التي سبقت الإشارة إليها من قبل.

يكتفى عند الشروع في تأليف الكتب بتدوين أرقام المراجع في كل صفحة

وأما في المقالات فتأخذ المراجع أرقاماً متسلسلة، من بداية المقال حتى نهايته (من ١ ـ ١٠)، إذا كان عدد المراجع عشرة، بمعنى أننا لا نجد في صفحات المقالات سوى أرقام متسلسلة، ثم تنقل «ترحّل» الأرقام إلى آخر المقال تحت عنوان المراجع مع ما يقابل كل رقم من المراجع «مع ذكر الصفحة التي أخذ منها الاقتباس»، ويعد هذا الأمر من الفروق الجوهرية بين كتابة المقال وكتابة الكتّاب.

وفي حال تكرار المرجع والاعتماد عليه أكثر من مرة، فإنه يأخذ رقماً جديداً في كل مرة حسب تسلسله بين المراجع فقد نجد مرجعاً معيناً أخذ رقم (١)، وبعد قليل أخذ رقم (٤)، ثم رقم (٥)، ثم رقم (٩)، وذلك في أثناء الصفحات، ويحتفظ بهذه الأرقام عند تدوين المراجع في آخر المقال لأنها تصبح علامة عليه، بحيث إذا أراد القارئ التعرف إلى المرجع الذي يريده حمل رقمه معه، ولنفترض أنه رقم (٩) ونظر في قائمة المراجع عند الرقم (٩)، فيتعرف من خلاله إلى المرجع.

وعند تدوين المراجع في آخر المقال، نذكر جميع التفاصيل المتعلقة بالمرجع: «المؤلف، المرجع، رقم الصفحة، الطبعة، مكان الطباعة، تاريخها، مكانها»، وذلك عند وروده للمرة الأولى، وهذه العملية سوف تتكرر مع كل مرجع جديد علينا اعتمدنا عليه في كتابة المقال، ولكن إذا تكرر المرجع في المرات التالية، فإننا نذكر عبارة: «المرجع السابق»، إذا كان يليه مباشرة ـ مع ذكر رقم الصفحة ـ وأما إذا فصل بينهما بمرجع آخر، فيكتفي بذكر عنوان الكتاب فقط، مع ذكر رقم الصفحة التي أخذ منها الاقتباس، مثل:

١ ـ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص١٠، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبدالمجيد، ط الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م.

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٥.

٣ ـ المرجع السابق ص ٣٣.

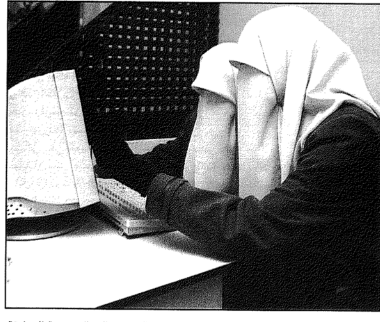
وقد نكتب عبارة: «نفسه»، وهذه هي الطريقة المفضّلة بدلاً من عبارة: المرجع السابق، لأنه تكرر، مع الرقم (٣) ولا يجوز ذلك مع رقم (٢).

٤ ـ إسماعيل، د.عزالدين: الأسس الجمالية في النقد العربي ص٥٥، ط الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٥م.

٥ ـ البديع في نقد الشعر ص ٣٠.

٦ ـ الأسس الجمالية ص ٢١٢.

وعند بداية الكتابة في صفحة جديدة، مشتملة على مرجع سابق، ورد ذكره في الصفحة السابقة، وكان آخر مرجع فيها، فلابد من ذكر عنوان المرجع في الصفحة الجديدة، ولا يجوز كتابة عبارة: «نفسه» أو «المرجع السابق» لأن



القارئ قد لا يكلف نفسه الرجوع إلى الصفحة السابقة، للوقوف على عنوان المرجع.

وبذلك يتضح الفرق في استخدام المراجع بين الكتب وبين المقالات، وباختصار شديد، المراجع في المقالات تأتي آخر المقال، ولا تكون في أسفل الصفحات على الإطلاق، ولا بد أن تحمل أرقام كل صفحة أخذ منها الاقتباس.

عند تدوين المراجع في آخر المقال، نذكر جميع التفاصيل المتعلقة بالمرجع

وأما المراجع في الكتب فتكتب أسفل الصفحات، وهي تحمل أرقام الصفحة التي أخذ منها الاقتباس، وعند ترتيبها هجائياً لا نذكر رقم الصفحة التي أخذ منها الاقتباس، ولا نكرر المرجع، لأنه يرد مرة واحدة وفقاً لترتيبه الهجائي، ولكنه «قد» يذكر عشر مرات في المقالات، أو أقل أو أكثر حسب وروده في المقال.

هذا، ويتبع في المراجع الأجنبية ما يتبع في المراجع العربية، من حيث ترتيب المراجع هجائياً، وذكر اسم المؤلف ثم عنوان الكتاب... إلخ، والحق أن هذه الأشكال من ترتيب المراجع تعود إلى الكيفية التي يتعامل بها الغربيون في كتاباتهم سواء أكانت مقالات أم كتباً، وقد تأثرنا إلى حد كبير بالطريقة التي يتعاملون بها مع المراجع العلمية والموسوعات، مع أن للعرب المسلمين السبق في كثير من مظاهر التأليف، ووضع الرموز الدقيقة والمطلوبة التي تخدم عملية التأليف، على أن هناك أشكالاً أخرى أقل حظوة لدى الباحثين المعاصرين مما عرضناه في هذه الوقفة السريعة، وبخاصة في كتابة المقالات، إذ يكتفى بذكر المرجع بين قوسين «....» في أثناء الكتابة، بحيث يذكر في القوسين اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ورقم الصفحة، وسنة الطباعة فقط، ووضع فواصل بينها، من دون ذكر تفاصيل أخرى عن الكتاب، ومن دون ذكر المراجع في آخر المقال، تحت عنوان: المراجع ●


البيت المسلم
إقرأ لهؤلاء
منى السعيد الشريف
د. عبدالمنعم حسن
محمود النجيري
أ.د. مصطفى عرجاوي
حسن الأشرف
رفعت محمد بروبي
سيد عبدالحليم الشوربجي
عبدالرزاق سمعو
ليلى عبدالرحمن
أحمد توفيق هلال
٦٨
أمان المرأة... زوج مسلم
٧٠ حياة المقبلين على الزواج
٧٢ كراهية المرأة زوجها
٧٤ إلى من يهمها الأمر...
٧٦ إلى الأم المسلمة في كل مكان
٨٢ لماذا يجنح أطفالنا



أمان المرأة... زوج مسلم

بقلم: منى السعيد الشريف

جبلت المرأة على الأنس بالرجل ومحبة الحياة بجواره وكذلك الحال بالنسبة للرجل وتلك هي حكمة الله تعالى كي تستمر الحياة ويعمر الكون... لقد كان الرجل بالنسبة للمرأة عبر العصور مصدر الأمان، فهي ترى أنها مخلوق ضعيف ومحل أطماع الرجال ولابد لها من مصدر للحماية، ولكن اختلفت نظرة المرأة للرجل أو للمعنى الحقيقي للرجولة التي تحقق لها هذا الأمان عبر العصور... ففي العصور القديمة كانت القوة هي مصدر الأمان والحماية الوحيدة ولذلك غلبت على نظرتها له البحث عن القوة والشجاعة والإقدام... لذلك لا غرابة في أن نجد كل أبطال الأساطير والحوادث في تراثنا القديم من الفرسان والشجعان الذين يحققون بقوتهم وإقدامهم أموراً تصل إلى حد المستحيل... وكانت هي راضية بهذا في رجلها وحمايته لها سعيدة بمواقفه حتى لو دفعه ذلك إلى فرض سطوته عليها إلى حد الظلم أحياناً... فإن كان حقق لها الحماية من الآخرين فهو لم يستطع أن يحميها من نفسه وعلى ذلك لم يكتمل مفهوم الأمن لها... ومع ظهور شمس الإسلام على العالم تغير مفهوم القوة والفروسية إلى مفهوم آخر... فتطلعت إلى فارس كلمة الحق الذي يحمل مشعل الهداية والنور والعدل إلى سائر البشر، فظهر نوع نادر من الرجال كانوا بحق صفوة البشر تمثل فيهم المعنى الحقيقي للرجولة والحماية التي تطلعت إليها، وأصبح ميزان الرجل هو دينه وقوة إيمانه... لقد قلب الإسلام كل الموازين البائدة، وتغيرت مع تعاليمه القلوب والمفاهيم، ورأينا المرأة تُمْهَرُ ببعض آيات من القرآن يحفظها الزوج، أو بدخوله في الإسلام.

لقد كان موكب من النور جمع القلوب ووحدها، وانتزعها من كل زخارف الحياة وزينتها ومع بعدنا عن هذا العصر تغير مفهوم الرجولة والفروسية تبعاً لظروف كل عصر، فمثلاً في عهد الاستعمار كان الرجل والفارس هو المناضل الوطني والمجاهد الذي يدافع عن الحرية والاستقلال ومع هبوب عاصفة الأفكار الغربية وما أطلقوا عليه المدنية والتحضر، أصبح الرجل هو «الجينتل مان» الذي يؤمن بتحرر المرأة ونيل حقوقها وخروجها للعمل والحياة العامة ومع هذا المفهوم هيمنت المادية على التفكير والعقول، وأصبح المال والثراء هما المقياس الذي تسعى وراءه المرأة، إنه نوع آخر من البحث عن الأمان فرضته ظروف العصر، وتقلص دور الرجولة والشهامة في نظرة المرأة للرجل، بل وتقلصت أهمية الرجل ذاته في حياة المرأة... التي كانت ترى في بعض الأحيان أن وظيفة مرموقة تحقق لها الأمان أكثر من زوج.

وظهرت أنواع غريبة من الزيجات الناظر في ظروفها يجد أنها مجرد عملية اقتصادية غالباً، فإذا وجدت الفتاة فرصة عمل في أحد بلاد النفط، سارعت في الزواج بأي شخص مناسب من أقاربها قد يكون في معظم الأحيان من دون عمل كي يكون «محرماً لها» وتستطيع السفر والإقامة من دون منغصات... كذلك يمكن أن يترك الرجل زوجته وأولاده سنوات وسنوات وهم في بلد وهو في بلد آخر، لا يربط بينهم غير الخطابات وأسابيع عدة يقضيها معهم كل عام، لقد عرضت إحدى السيدات مشكلة من خلال المذياع، وتتلخص

الزيجات في العصور السابقة كانت مجرد عمليات اقتصادية

هذه المشكلة في أنها زوجة منذ خمسة عشر عاماً، كان زوجها خلال تلك الأعوام يعمل في إحدى البلاد العربية، وكانت هي المتحملة لمسؤولية أسرتها وأولادها، ثم إنه قرر أخيراً العودة والاستقرار معهم، والمشكلة تكمن هنا حيث إن القرار قد أزعجها... فقد تعوَّدت على الحياة من دونه، لقد كان طوال أعوام زواجهما مجرد زائر... لا يمكث معهم سوى شهر واحد كل عام، وهي لا تتصور كيف ستنقلب كل الأمور الآن ويأتي هو ليحتل مكانها في البيت والمسؤولية... ورغم هذا الشعور فهي تؤكد أنها لا تكرهه مطلقاً وأن له مكانة كبيرة في نفسها، فانظر إلى أي حد يمكن أن يصل الأمر بين زوجين... وفي نظري أن هذه الزوجة قد نسيت دور زوجها في حياتها وحياة أسرتها، وأصبح مجرد ممول، ولا تريد أن يتعدى دوره عن ذلك.

ولكن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين، فقد ظهرت عناصر مفرحة من شباب الصحوة الإسلامية عادوا بالعلاقة الزوجية إلى المنهج الإسلامي الذي يجعل مقياس الدين والخلق الكريم هما الأساس الأول في اختيار الزوج والزوجة وبناء الأسرة وعرفت من أنار نور الحق قلبها وعقلها أن الزوج المؤمن الملتزم بتعاليم دينه هو خير رفيق لها وهو الزوج القادر بعون الله على إسعادها، فإذا أحبها أكرمها، وإذا أبغضها لم يهنها، لا يجور ولا يظلم ولا يقبح يرى فيها جوهرة بيته التي يحافظ عليها من كل عين غريبة يغار عليها ويصونها ويأخذ بيدها إلى الجنة، إن الحياة في ظل مثل هذا الرجل هي الأمان الذي ظلت تبحث عنه عبر العصور، والذي لا يتحقق في قوة أو سلطان أو مال وثراء أو شهرة إنه لا يتحقق إلا بجوار هذا الرجل الذي اكتملت فيه معاني الرجولة والذي يستحق أن تهب له عمرها وشبابها وتتفانى في خدمته وإسعاده وتنال رضى الله برضاه عنها ●

جمالك..
يا بنة الإسلام

شعر الدكتور عبدالمنعم عبدالله حسن

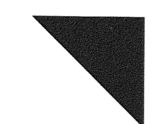
تخذت من التُّقى ثوباً وحصناً ... وزيَّنك الهدى فازددت حسناً
جمالك دُرَّةٌ والطهر فيها ... محارٌ ضاعف الإحكام صونا
خمارٌ فوق جيبك قد تصدَّى ... لأدنى لمسة مسَّتك خونا
سياجٌ من حِمى الإيمان واقٍ ... يصدُّ عن الجمال الغضِّ عينا
ويحميه إذا خانت عيونٌ ... فلا يلقى عفاف الطهر هونا

● ● ●

جمالك يا بنة الإسلام كنزٌ ... وأثقل من كنوز الأرض وزنا
وأعلى في سماء الطهر قدراً ... وأبلغ في بيان الحق معنى
جمالك فطرة مزجتْ بتقوى ... وصيغ من الضياء فكان أسنى
تجمّل بالوضوء فصار أحلى ... وعُطِّر بالصلاة فصار أغنى

● ● ●

جمالك لا تشوّهه قشورٌ ... وأصباغ بدت لوناً فلونا
جمالك صادق القسمات عفٌّ ... فلا يطوى مراوغة ومينا
يُزيّنه الحياء وقد تزيَّا ... لحاء الطهر حتى فاض زينا
وحول جمالك المحفوظ سترٌ ... من الإيمان فاض عليك أمنا
تعفُّ الصالحات عن الدنايا ... ومن يغش الدنية كان أدنى
بتقوى الله يعلو الناس قدراً ... ويرتفعون بالإيمان شأنا



حيرة المقبلين على الزواج بين الكبت والإباحية

بقلم: محمود النجيري



لا نستطيع أن نكون إلا أبناء عصر السموات المفتوحة والطريق السريع للمعلومات والعولمة، وهو عصر يتسم بالجدل والكشف، حتى إنه لم يترك شيئاً مهما كان مقدساً إلا جادل فيه، وذهب في محاولة الكشف عن أسراره إلى أبعد الحدود، وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على العلاقات الحسية، حتى إنها أضحت تعرض على الملأ، بعد أن هتك حجاب الحياء، ونزع ستر الدين عند كثير من الناس. فالفضائيات تعرض سيلاً لا ينقطع حول العالم عن العلاقات الحسية والعاطفية، وهو عرض لا يعرف في أكثر الأحيان حدوداً من حلال أو حرام، عدا بعض القنوات الفضائية الرصينة التي تعد على الأصابع، كما أن شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» تعرض معلومات مفصلة واسعة في هذا الجانب إلى درجة توصف معها بعض مواقعها بأنها إباحية.

حيرة الشباب بين المتناقضات

وعلى جانب آخر مما ذكرنا، نجد الأسرة في بلادنا لا تقدم لأبنائها دائماً التربية الإسلامية التي تحصنهم من التأثر بهذا السيل العاتي من المعلومات التي يختلط فيها الغث بالسمين، والخير بالشر، والحق بالباطل، ولا تقدم الأسرة لأبنائها المعلومات الأساسية في الجوانب العاطفية والحسية بما يقيهم الانخداع بالمعلومات المغلوطة، ويجنبهم الانجرار وراء بهرج وسائل «الإنفوميديا» الزائف وما تبثه من عري وإباحية، بل إنها تجعل الكلام في هذا الجانب من المحرمات مع أن وسائل الإعلام والمعلومات لا تكف لحظة من ليل أو نهار على اقتحام هذه الخصوصية في علاقة الرجل بالمرأة!.

ويحجم كثير من مفكرينا عن الخوض في هذه المسائل تورعاً وتوقراً، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في مسائل العلاقة الزوجية، وأجاب السائلين على دقائقها، رجالاً ونساء: ومن ذلك أن امرأة سألته عن التجبية، وهي وطء المرأة في قُبُلها من ناحية دبرها، فتلا عليها قول الله سبحانه: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم) البقرة:٢٢٣ صماماً واحداً».(١)

وسأله عمر - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله هلكتُ! قال: «وما أهلكك؟» قال: حولت رحلي البارحة «كناية عن إتيان المرأة من خلف»، فلم يرد عليه شيئاً، فأوحى الله إلى رسوله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أقبل وأدبر، واتقوا الحيضة والدبر»(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً: «إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن»(٣).

والشاب المسلم يقف مبهوتاً أمام هذه التيارات المتناقضة في واقعنا المعاصر: تيار الإباحية والفوضوية، وتيار الكبت والتعتيم، وتتضح المشكلة جلية حين يقدم على الزواج للمرة الأولى، وهو بحكم نشأته قد تسرب إلى ذهنه الأفكار الخاطئة عن العلاقة الحسية والعاطفية بين الأزواج.

خطر الكتب الرخيصة والمترجمات

فماذا يفعل الشاب المسلم الذي يريد أن تبدأ حياته الزوجية على أسس سليمة؟ إن أمامه طرقاً قد يسلكها ليحصل على بغيته، فإما أن يلجأ إلى الكتب الرخيصة المائعة، وهو هنا يتعرض لخطر ولا ريب كبير، وإما أن يلجأ إلى الكتب التي وضعها الأطباء الأجانب ونقلت إلى العربية، وهو هنا يتعرض لخطر أكبر قد يمس عقيدته نفسها.

إن هذه الكتب التي وضعت باسم الإرشاد والتوجيه في العلاقات الزوجية، ومدّ كل من الزوجين بالمعلومات التي يحتاجها، هذه الكتب ليس لها إلا غرض واحد، وهو الكسب المادي، وهي لذلك تسعى إلى إثارة الغرائز وتهييج الشهوات، وليس أدل على خطرها من ولوع المراهقين بها، وإضاعتهم الأعمار في تصفحها، والصور العارية التي تسوِّد أغلفتها وصفحاتها لدفع الشباب لشرائها.

ولعل خطر الكتب التي وضعها الأطباء الأجانب ونقلت إلى العربية - وهي كثيرة - يتمثل في أن من وضعوها يخالفوننا في الملة، فكيف نتلقى عنهم شيئاً من ديننا وهم على خلافه؟! وتتضح آفات هذا الأمر في تحليل شيء حرَّمته الشريعة الإسلامية أوالعكس، وأضرب لذلك مثلاً بموسوعة الطبيب الأوروبي الشهير «فان يفلد» التي ترجمت تحت عنوان «الزواج المثالي»، وهي مع روعتها وإبهارها لمن يطالعها، نجد المؤلف يذهب إلى أن الجماع في أثناء الحيض لا شيء فيه، ولا أذى منه مطلقاً، ومن ذلك قوله: «لا نعترض على المباضعة بدرجة خفيفة معتدلة في أثناء الطمث إن اتخذ الزوجان وسائل النظافة التامة المطلقة وإذا كان كل منهما يرغب في البضاع - وذلك بغض النظر عن التقاليد والعادات الشرقية»(٤).

وما يدعوه «فان ديفلد»: «تقاليد وعادات شرقية»، هو حكم الله عز وجل في كتابه المجيد الذي يحرم الجماع في أثناء الحيض ويصرح بأنه أذى، يقول سبحانه: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يَطْهُرْن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة:٢٢٢.

الجهل سبيل للنزاعات الزوجية والطلاق

لا شك أن جهل الأزواج بالنصوص الإسلامية من الكتاب والسنة التي تناولت العلاقة الجنسية بينهما، هو سبب رئيس للنزاعات الزوجية الدافعة إلى الشقاق والطلاق، ومن المؤكد أن الممارسات الجنسية الخاطئة والقاصرة هي السبب الأول في تصدع الأسرة، ولا أعتقد أن السبب وراء ذلك كله إلا الثقافة الجنسية الهابطة أو القاصرة التي يسعى إليها الشباب، فتشوه فكره وعواطفه وإحساساته!.

ولقد أدى الجهل ببعض الشباب إلى ارتياد الكتب الجنسية الحديثة المترجمة، والروايات والمجلات الصفراء، والأقلام الأجنبية وأشرطة

خطر الكتب التي وضعها الأطباء الأجانب يتمثل في أن واضعيها يخالفوننا في الملة



التسجيل وإسطوانات الليزر المنوعة، وكذلك مواقع الإنترنت الإباحية، ولم ينجح مع ذلك زواجهم، بل زادوا تخبطاً وانحرافاً، وخربوا بيوتهم بأيديهم جهلاً منهم بالعلاقات الأسرية الصحيحة وجوانبها العاطفية والحسية، كما أشار إليها القرآن الكريم وفسرتها السنة بصراحة ووضوح.

وإن هذا الجهل بتشريعات الإسلام وتوجيهاته في الحياة الزوجية يُمثِّل بالجزء المغمور من جبل الثلج في النزاعات الزوجية، أما الجزء الطافي الظاهر للعيان فليس هو السبب الحقيقي للنزاع، فالزوجان جهلاً أو تعمداً يتهربان من سبب النزاع الحقيقي الكامن تحت الأعماق، أو أنهما يستحيان - وبخاصة المرأة - من التصريح به، فلو قال أحدهما - أو كلاهما - صراحة: إنه لا يجد في الزواج إشباعاً عاطفياً وإرواءً جسدياً، لكان هذا أول الطريق إلى العلاج، لكننا نجد المرأة مثلاً تطلب الطلاق متعللة بأن زوجها بخيل، أو كسول، أو شديد العصبية، مع أنه لو كان كريماً نشيطاً هادئ الطبع لما رضيت به، لأن الحقيقة التي لا تستطيع التصريح بها هي أن زوجها جاهل بأصول العلاقات الزوجية، غير صالح لأن يكون زوجاً بمعنى هذه الكلمة، وكان الأولى به أن يتعلم قبل أن يتزوج، على الأقل كما يتعلم القيادة قبل أن يشتري سيارة!

ولكن قد يكون عذراً لهؤلاء أنهم لم يجدوا من يأخذ بأيديهم، فلا الأسرة أعطت التوجيه الصائب، ولا وسائل الإعلام قدمت المعلومات الصحيحة، وتعسر عليهم الوقوف بأنفسهم على ما في الكتاب والسنَّة من تشريعات وتوجيهات في هذا الجانب، ولم يتح المنبع الصافي الذي يستقون منه المادة العلمية الموثوق بها، فتخبطوا وفشلوا في زواجهم.

ومن المفارقة أن علماءنا الأقدمين اهتموا كثيراً بهذا الجانب المهم من الحياة، ووضعوا في ذلك الكتب التي لا يزال بعضها من مخطوطات التراث، مثل «العنوان في سلوك النسوان» للإمام المتقي الهندي، و«شفاء الغليل فيما يعرض للإحليل» للإمام السيوطي.

ويثور السؤال: أين كتبنا المعاصرة التي تعالج الحياة الزوجية في دقائقها، دون أن تكون نقلاً عن كتب غربية؟

المخرج للشباب المقبل على الزواج

من مقاصد الإسلام ربط الإنسانية كلها بأواصر المحبة والرحمة ابتداء من الزوجين، ثم الأسرة، ثم الأمة، ثم الإنسانية كلها، ولن تكون هذه الروابط قوية وفعالة إلا إذا كانت سليمة في بدايتها حين تؤسس الحياة الزوجية على عناصرها الثلاثة: السكن والمودة والرحمة، كما في قول الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم:٢١، ولن توجد هذه العناصر أبداً ما لم تكن العلاقة الجنسية في أرقى أحوالها من الإرواء النفسي والعاطفي، الذي هو السكن للروح والعقل والجسد.

وإن مجتمعاً قوياً مترابطاً متماسكاً بالأخوة الإسلامية لابد أن يبدأ من بيت الزوجية، ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة في بيت الزوجية إلا على أساس من السكن النفسي والجسدي العميق، ولن يوجد سكن، وهناك جهل يهدم السكن ويسبب الشقاق، ولن يعلم إلا بمواجهة الحقائق دون وجل أو تردد.

ومن هنا نقدم النصيحة للشباب في مقتبل العمر وعند إزماع الزواج - ألا يسعوا جاهدين - كما نشاهد عياناً - لاكتساب المعلومات الجنسية من تجار الجنس الذين يضعون الكتب لاستفزاز الشهوات وتهييج الفتنة واستمالة الغرائز، وإنما يقرأون في هذه الموضوعات للعلماء المسلمين الموثوقين في دينهم وعلمهم.

وإنه من المسلَّم به تماماً أن الزواج علم وفن معاً، ونحن نؤمن بأنه عصب الحياة المستمرة في الكون، ونعمة الله التي امتنَّ بها على عباده، ونؤكد أن الإسلام وضع له المنهج الكامل المتفرد، فأين هذا المنهج من واقعنا اليوم؟

إن على علماء الإسلام أن يبدأوا ببيان موقف الإسلام من كل القضايا التي أثارها العصر، وأن يضعوا الضوابط الشرعية لأتباع الإسلام حتى لا يتماعوا بين الإفراط والتفريط في عصر للمرء فيه عوالم افتراضية توازي عالم الواقع لمجرد الضغط على زر صغير بأطراف أصابعه، ونقترح ما يلي من إجراءات:

١ - إعداد مناهج دراسية في التربية الأسرية تعطي الشباب أساسيات الحياة الزوجية كما عالجتها نصوص الكتاب والسنَّة.

٢ - عقد دورات دراسية شرعية إلزامية لكل مقدم على الزواج من الجنسين، يتلقى فيها أسس علم الزواج الإسلامي.

٣ - تعزيز دور الأبوين في التربية الجنسية للأبناء بتقديم دراسات وأبحاث وندوات يشارك فيها المتخصصون والآباء لتأهيل الأبوين للقيام بهذا الدور.

٤ - أن تقود وزارات الأوقاف إصدار سلاسل كتب تعالج النواحي الحسية والعاطفية في الزواج من منظور إسلامي، على الشبكة الدولية للمعلومات.

٥ - الاستفادة من وسائل الإعلام في تقديم المبادئ الصحيحة للحياة الزوجية الإسلامية ومعالجة المشكلات الحسية والعاطفية التي تؤدي إلى الطلاق علاجاً شرعياً صريحاً، وعدم الاكتفاء بعرض آراء المتخصصين في علم النفس والاجتماع والطب وبخاصة البعيدون عن الدين الحنيف.

٦ - وفي النهاية نقول: إننا بحاجة إلى موسوعة إسلامية، تجمع ما ورد في الكتاب والسنَّة وخلاصة ما في كتب الفقه القديمة والعلم الحديث من معلومات عن الحياة الحسية والعاطفية في البيت المسلم، وأن تكون هذه الموسوعة متاحة لجميع المقبلين على الزواج، سواء بالنشر الورقي، أو بالنشر الإلكتروني ●

الهوامش:

١ - أخرجه الترمذي (٢٩٨٢) وأحمد (٢٠٥/٦، ٣١٠، ٣١٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح.

٢ - أخرجه الترمذي (٢٩٨٤) وأحمد (٢٦٨/١ و٢٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث حسن.

٣ - أخرجه ابن ماجه (١٩٢٤) وأحمد (٢١٣/٥) والبيهقي (١٩٧/٧)، وابن حبان (١٢٩٩) في موارده من حديث خزيمة بن ثابت - رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

٤ - الزواج المثالي: «فان ديفلد»، ترجمة: د.محمد فتحي، الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٤٠٥.

كراهية المرأة زوجها
داء دواؤه في الإسلام



بقلم أ. د. مصطفى محمد عرجاوي. أستاذ الفقه والسياسة الشرعية. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الكويت

لكل داء دواء، ولكل مشكلة حل، ولكل قضية حكم، ولكل متاعب ومعاناة للمرأة وأدٍ للراحة في الإسلام، بتشريعاته وأحكامه التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة في الحياة إلا وضعت لها ما يناسبها من حلول بدقة متناهية، تستعصي على كبار المتخصصين في شتى العلوم الإنسانية، فلا يمكنهم فهم كنهها، أو حتى مجرد الاقتراب من حماها، أو الوقوف على معلم جوهري من معالمها، وبخاصة ما يتصل بالمرأة عندما تنتابها مشاعر الضيق والنفور والكراهية تجاه زوجها، من غير سبب أو بسبب ظاهر، لأن النفس البشرية بئر عميقةلا يقف على ظاهرها وباطنها سوى خالقها - جل في علاه - ولا يضع الحلول السوية والحاسمة والمريحة لهذه النفس سوى الله تعالى. لذا جاء الإسلام بالحلول المناسبة لكراهية المرأة زوجها سواء أكانت هذه الكراهية من غير سبب ظاهر أم بسبب، وذلك لحماية أفراد المجتمع من الآثار المدمرة لهذه الكراهية وتداعياتها، إذا لم يتم تداركها بالعلاج الإسلامي الناجع، للقضاء على أساس الداء قبل استفحاله، في الوقت المناسب، وبمنتهى الحكمة والواقعية والإنصاف.

ماهية الكراهية

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وحقيقة الكراهية وجوهرها يتمثل في أمور معينة، قد تصعب الإحاطة بها، ولذلك يقتضي الأمر ضرورة التعرف إلى معنى الكراهية لغة واصطلاحا، لأن اللغة هي أوعية للمعاني، فهي تحمل بين طياتها ما يدور في خلد الإنسان، وتعبر عنه كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جُعِلَ اللسان عن الفؤاد دليلاً

وعلى ذلك فإن الكراهية في اللغة: هي مصدر كره، فيقال كره كراهية، والكره - بالضم والفتح - لغتان، وهو يعني البغض، فكُرِّه إليه الأمر، يعني بغضه فيه.

ويمكن تعريف الكراهية اصطلاحاً: بأنها البغض القلبي، والنفور الذاتي، والرفض النفساني، المتمثل في طغيان مشاعر الصدور والبعد عن شخص معين، بسبب ظاهر أو خفي.

ولا غرابة في هذا، لأن من أحب لسبب فإنه بالضرورة يبغض لضده، لأن الحب والكراهية وجهان لعملة واحدة، ومن ثمَّ يقول الغزالي: «كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب، إنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة».

يؤكد هذا المعنى قول ابن القيم: «يجتمع في القلب بغض أذى الحبيب وكراهته من وجه، ومحبته من وجه آخر، فيحبه ويبغض أذاه، وهذا هو الواقع، والغالب منهما يوارى المغلوب، ويبقى الحكم له». وبذا يتضح معنى الكراهية باعتبارها ضد الحب، «وبضدها تتميز الأشياء».

لب المشكلة

لا شيء يأتي من لا شيء، أي أنه لا كراهية بلا سبب كامن أو ظاهر، لأنها شعور يسري في قلب ونبض الإنسان عموماً، وفي حياة وكيان المرأة على وجه الخصوص، فالمرأة مجموعة من المشاعر والأحاسيس، بل هي رمز الحنان والمحبة والعطاء المتدفق والمتجدد المشمول بالايثار في أغلب الأحيان، لأنها الأم والأخت والبنت والعمة والخالة.. فهي الرحم لكل أبناء آدم عليه السلام، لذلك نجدها تشعر بالظلم والقهر، وتتولد بجنباتها نزعات الكراهية والبغضاء عندما تفتقد العدل، وتحرم من مجرد الإنصاف، فهي لا تريد غالبا سوى السعادة لمن حولها، على أن تشملها أيضاً نسمات الحب الرطبة أو المضمخة بالعبير الفواح بالرخاء والإخلاص، لقاء تعبها وسهرها ومعاناتها من أجل المشاركة الفعالة في تشييد بنيان الأسرة الشامخ، على أسس من المودة والمحبة والعطاء المستمر.

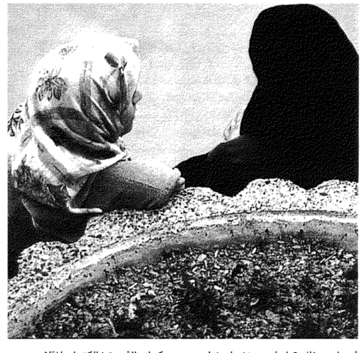
فإذا جحد دورها، وغمط حقها، ولم ينظر إلا لمفاتنها أو لجسدها بعيداً عن مشاعرها وأحاسيسها.. فإنها ستنفر من هذه الحياة، وتقع فريسة في شراك الكراهية، لشعورها بالظلم والقهر والتسلط، والنظرة الدونية ممن حولها، بلا سبب أو منطق مقبول. عندئذ تظهر المشكلة، المبذورة في نفس المرأة منذ مدة - سواء طالت أم قصرت - بعد أن تشبعت جذورها وتشعبت وامتدت في نفسها، بسبب من الأسباب الباعثة على الكراهية، سواء ظاهرة أكانت هذه الأسباب أم خفية، لأنها لم تعالج من البداية على النحو المشروع، ولذلك تؤدي إلى تدمير الحياةالزوجية، في وقت (ما)، وربما بلا مقدمات، أو حتى مجرد شكوى أو تضجر، وهذا هو لب المشكلة.

الأسباب الظاهرة للكراهية

يمكن إجمال الأسباب الظاهرة لكراهية المرأة زوجها في نقاط معينة أهمها ما يلي:

١ - عدم المعاشرة بالمعروف، أي بترك توجيه أي نوع من الأذى إلى الزوجة بالقول أو بالفعل، أو حتى مجرد التهديد بالعقاب أو بالطلاق أو بالتجسس عليها بلا دواعي لذلك.

٢ - عدم الإنفاق أو التقصير عليها بصورة ملموسة، تؤدي إلى حرمان الزوجة ربما من الضرورات، بسبب بخل الزوج عليها أو على أبنائه، بالرغم من سعة يده وظهور غناه، وقدرته على الإنفاق المعتدل بلا إفراط أو تفريط، وهذا البخل والتقتير يعتبر من أهم وأبرز الأسباب الظاهرة لكراهية المرأة زوجها.



٣ - عدم الاعتدال في الغيرة، لأنها إذا اندلعت شرارتها فقد تحرق البيت، ولكن عندما تمارس باعتدال فإنها تدخل السرور إلى المنزل، لكنها تعني حفظ المرأة وصيانتها، والحرص على كل ما يصون عرضها، تعبيراً عن الحب الصادق، والغيرة المحمودة.

٤ - عدم كتمان الأسرار الزوجية، وبخاصة ما يتم بينهما في علاقتهما الحميمة، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» وقال صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الذين يفعلون ذلك ما روته أسماء بنت يزيد عنه عليه الصلاة والسلام: «فإنما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون»، وكفى بهذا تنفيرا، وأي تنفير!.

٥ - وجود العيوب المنفرة، سواء كانت خَلقية أو خُلقية، ومن أهمها عدم الحرص على النظافة أو وجود عيب عضوي ظاهر تتعذر معه مواصلة الحياة الزوجية بما فيها من سكينة واستقرار.

٦ - وقوع الخيانة الزوجية، لأنه لا شيء يجرح المرأة، بل يطعنها في مقتل سوى إحساسها بتعلق زوجها بامرأة غيرها ويتسع جرحها، ويشتعل قلبها، وتنسحق مشاعرها إذا تأكدت من خيانة زوجها، وقد تسارع إلى إنهاء علاقة الزوجية فلا يمكنها زوجها من مرادها فتزداد كراهيتها له، وربما بلغت حداً يمكن أن يتصور معه وقوع ما لا تحمد عقباه، بسبب هذا الكراهية المقيتة.

عدم التوافق النفسي هو معول هدم للأسرة إذا لم يتداركه الحرص من الزوجين

٧ - هجر فراش الزوجية بلا سبب مشروع، لأن هجر الزوج لزوجته لا يعنى بالنسبة لها سوى الكراهية المجسدة، والبغض الشديد، وبخاصة عندما يكون بلا حاجة أو ضرورة، ومن غير سبب ظاهر يعود إليها.

تلكم أهم الأسباب الظاهرة لكراهية المرأة زوجها.

الأسباب غير الظاهرة للكراهية

أهم الأسباب غير الظاهرة لكراهية المرأة زوجها تتمثل فيما يلي:

١ - غياب أو تغييب مشاعر الحب، لأن عدم الشعور بالحب المتبادل بين الزوجين يجعل العلاقة بينهما مجرد مساكنة، أو زواج مصلحة بارد لا حياة فيه ولا دفء.

٢ - افتقاد الشعور بالأمن أو الطمأنينة، بسبب توقعها لغدر الزوج بها، كونه يهددها تصريحاً أو تلميحاً بالزواج بأخرى، لمجرد وقوع خلاف بسيط في وجهات النظر.

٣ - الامتناع عن إعفاف الزوجة، بسبب الإهمال لها أو العجز عن إشباعها لأمر ظاهر أو خفي، واستحياء الزوجة من الإفصاح عن رغبتها المضطرمة، وشوقها الشديد للمعاشرة.

٤ ـ انعدام التوافق النفسي، يقول ابن حزم في هذا الشأن: «ترى الشخصين يتباغضان لا لمعنى ولا لعلة، ويستثقل بعضهما بعضاً بلا سبب»(٦)، فالنفور وعدم التوافق النفسي، وانقطاع التواصل الروحاني بين الزوجين، يعتبر من أدق وأخفى الأسباب، ولعل سببه يرجع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، وهذا لا يعني انتشار التباغض بينهما، فلربما يحب أحدهما الآخر، والآخر يبغضه، وبالعكس، فالحب من طرف واحد أمر واقع ومشاهد ولا ينكره إلا مكابر، وعدم التوافق النفسي هو معول هدم للأسرة، إذا لم يتداركه الحرص من الزوجين على الاستمرار لاعتبارات أخرى.

٥ - انعدام المصارحة وتأخر المصالحة عند وقوع الشقاق أو ظهور أسبابه، وذلك قبل أن يستفحل خطره، ويهدد كيان الأسرة فالكتمان للآلام المجهولة المصدر وعدم مسارعة الزوج لاسترضاء زوجته عقب استغضابها مباشرة أو بفترة وجيزة، يغرس في نفسها بذور البغض، ويبعث في قلبها نبضات الكراهية... لا ستشعارها الإهانة من زوجها، ولتأخره في جبر ما صدعته هذه الإهانة التي قد لا تغتفر إذا تأخرت المصارحة أو تعثرت المصالحة، بسبب التكبر أو العناد أو التقاعس غير المبرر.

ولا يمكننا حصر أسباب الكراهية غير الظاهرة، نظراً لتداخلها وصعوبة وضع معيار موضوعي لها، لأنها تتفاوت زيادة ونقصاناً بحسب ما يكمن في نفسية كل زوجة، لكنها لا تخرج - في الجملة - عن ما ذكرناه، من أسباب كامنة تؤدي غالباً إلى كراهية الزوجة لزوجها، من حيث تدري أو لا تدري، لتراكم أسباب هذه الكراهية في النفس بلا اجتثاث أو تناس أو إسقاط لحساباتها القاسية.

آثار الكراهية على عرين الزوجية والمجتمع

إذا استشرت روح الكراهية في الأسرة، واندلعت نيرانها الخفية في جنباتها، فإنها ستلحق الضرر بالزوجة ذاتها، فضلا عن الزوج والأبناء، ومن ثم المجتمع، لأن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، فالكراهية لا يتولد عنها سوى المزيد من النفور، ولذلك يدعونا الإسلام إلى بذل المحبة حتى لمن يعادينا من إخواننا أو أخواتنا في الدين أو الإنسانية قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت:٣٤، لأن الآثار المدمرة للكراهية قد تدفع بالزوجة إلى التخلص من زوجها غدراً أ العكس، بل قد تدفع بأحد الزوجين إلى التخلص من ثمار هذه الزوجية، بالقتل اوالاضطهاد لفلذات الأكباد من البنين والبنات، بلا ذنب ارتكبوه، ولكن ربما يحدث هذا بسبب الكراهية المنغرسة في قلب الزوجة لسبب ظاهرة أو خفي، والمجتمع في النهاية هو الذي يتحمل نتائج هذه الكراهية بفقده لبنة من لبناته، وهنا تحدث المعاناة من الاضمحلال والتفكك للروابط الاجتماعية بسبب تداعيات هذه الكراهية، لأن الأم مدرسة من يحسن إعددها، يحصد أمة طيبة الأعراق، قوية متماسكة، مترابطة متراحمة، وتلكم أخطر الآثار الناجمة عن كراهية المرأة زوجها.

العلاج الإسلامي لكراهية المرأة زوجها

لا داء بلا دواء، لكن قد يعرفه من يعرفه، وقد يجهله من يجهله، فالبحث عن الدواء لمعالجة الداء، بعد الفحص والتشخيص، أمر لا مناص منه، وداء

الأبدان قد يكون من اليسير علاجه، لكن داء النفوس وما ينطمر فيها من كراهية عميقة، أو بغضاء شديدة، قد تعجز عنه أنجع الأدوية وأكثرها فاعلية في ظلال الحياة الطبيعية أو السوية لأن الكراهية سرطان خبيث، و«إيدز» العصر الحديث، الذي قد يقاوم الدواء، ويعمل على استشراء واستفحال البلاء بانتشار الداء في النفس البشرية الضعيفة لتعاني منه ومن ويلاته ربما حتى الممات.

لكن خالق النفس الذي سواها جلَّ في علاه، يعلم ما ينضوي في نفوس مخلوقاته مصداقاً لقوله سبحانه: (ألا يعلم من خلق وهواللطيف الخبير) الملك:١٤ بلى يعلم علماً تاماً شاملاً، لذلك شرع الدواء الناجع لتلكم الكراهية التي تهدد كيان الأسرة، وتنال من نفس وبدن الزوجة، بلا ذنب - أحياناً - ولا جريرة، ويتمثل العلاج الإسلامي لداء كراهية المرأة زوجها فيما يلي:

أ - توافر أسباب الوقاية من سرطان الكراهية قبل الزواج:

الكراهية لا تتولد في لحظة واحدة، بل تتولد عندما تتوافر بواعثها أو أسبابها، الظاهرة أو الخفية، والإسلام يحض على مراعاة مشاعر المرأة عند خطبتها، فيدعو إلى الأخذ برأيها والاستجابة لرغبتها المشروعة، ولا أدل على ذلك مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه جاءته صلى الله عليه وسلم فتاة فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع به خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء» ولابد من مراعاة الكفاءة - في الأصل - يقول الزيلعي: «النكاح يعتد للعمر، ويشتمل على أغراض ومقاصد كالإزدواج، الصحبة، والألفة، وتأسيس القرابات، ولا ينتظم ذلك عادة إلا بين الأكفاء»

ومن مزايا الخطبة أنها تمكِّن الخاطب من النظر إلى من يرغب في الارتباط بها، وتمكّنها هي أيضاً من النظر إليه حتى يطمئن قلبها ويشعر بالألفة والمحبة تجاه من يخطبها بالقدر الذي يشعر به هو أيضاً، فلا يكفي الاعتداد بمشاعر خاطب على حساب مخطوبة، بل يعتد برغبتيهما معاً، فقد ورد عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» أي يؤلف بين قلوبكما، ويجمع شملكما على المودة والرحمة، والأحاديث كثيرة في هذا الشأن، كلها تدعو إلى النظر إلى كل ما يدعو إلى الارتباط، وإشباع نهم الرغبة بعد الزواج، لأن من أهم أهداف النكاح إعفاف الزوجين، ولا يتحقق ذلك بصورة مثلى - غالباً - إلا عن قناعة وطيب نفس ومحبة أو توافق وقبول من الطرفين، وهذه البداية هي أنجع السبل للوقاية من نيران الكراهية التي قد تحتدم بعد الزواج، والوقاية خير من العلاج.

ب - توافر أسباب النجاح للعلاقة بعد الزواج:

ما سمي القلب قلباً إلا لتقلبه، وما سميت النفس نفساً الا لنسيانها، فالقلب يتقلب بين الحب والبغض، والمودة والنفور، والنفس يعتريها الرضا والسخط، وهي عرضة للسلوان والنسيان بمرور الزمان، لأخطر ما قد يحيق أو ينزل بها من أحداث جسام - غالباً - تلكم هي الطبيعة البشرية، ومن هنا جاء العلاج والدواء الإسلامي لاجتثاث جذور الكراهية، وتحصين علاقة الزوجية من براثن داء الكراهية الذي قد يستشرى لأسباب واهية ما لم يتم القضاء الفوري على مسبباته وبواعثه، أو تدارك آثاره ومثالبه، بالحرص على إزالتها بمنتهى القوة والحسم من خلال المنهج الإسلامي المتمثل فيما يلي:

١ - الدعوة إلى الصبر أو التصبر، وينبغي للزوجة أن تتعلم كيف تحب

إلى من يهمها الأمر...

بقلم: حسن الأشرف (أستاذ وباحث في الدراسات الإسلامية. الرباط. المغرب

أيتها الأخت الكريمة: أوجه إليك كلماتي وأرجو أن تلامس شغاف فؤادك وأن تتأملي فيها، فأنا لا أريد لك إلا الخير. ولم أخاطبك هكذا اعتباطا، بل أعلم أن في قلبك خيراً وإيماناً والحمد لله: إنما هو إيمان يحتاج إلى من ينفض عنه غبار الإهمال ومن يصرف عنه مغريات الحياة وملهياتها.

* أختي في الله: تقربي إلى خالقك. إنه قريب منك ولكنك أنت البعيدة عنه... إنه خالقك، وبارئك، ورازقك النعم التي لا حصر لها ولا حساب... رزقك الشفتين واللسان، فلا تقولي بهما المنكر، ولا تتحدثي بالزور والباطل... رزقك العينين الجميلتين، فلا تنظري بهما إلى الرجال بلا حسيب ولا رقيب، ولا تفتني بهما الشباب، وغضي بصرك فهو أزكى لك وأطهر... ورزقك اليدين فلا تبطشي بهما ولا تمديهما إلى الحرام... رزقك الرجلين فلا تتخذينهما وسيلة للمشي إلى الحرام... ورزقك العقل لتميزي بين الخبيث والطيب، وبين الصالح والطالح، وبين الحسن والقبيح، وبين الغث والسمين، فحاولي استخدامه في ما يرجع عليك بالخير العميم في الدنيا والآخرة، ولا تجعلي عقلك سلة للنفايات والقاذورات من تفاهات الموضة وأخبار الفنانات والمسلسلات الساقطة... ورزقك قلبا ينبض بالحياة، فحاولي أن تجعلي قلبك حيا ذاكراً الله عز وجل، ولا تجعليه سريراً يتقلب فيه العشاق والأخدان.

* أختي في الله: كأنك تقولين الآن: إن نفسي تريد الرجوع إلى خالقها؛ تريد الأوبة إلى فاطرها؛ لقد أيقنت أن السعادة ليست في اتباع الشهوات والسير وراء الملذات، واقتراف صنوف المحرمات... ولكن مع ذلك لا تعرفين كيف تتوبين؟ ولا من أين تبدئين!. أقول لك: إن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا يسر له الأسباب التي تأخذ بيده إليه، وتعينه عليه.

اصدقي النية وأخلصي التوبة لله، فإنك إذا أخلصت لربك وصدقت في طلب التوبة أعانك الله وأمدك بالقوة، وطرد عنك الآفات التي تعترض طريقك وتصدك عن التوبة... ومن لم يكن مخلصا لله استولت على قلبه الشياطين؛ فلا تكوني كذلك حتى لا يصير في قلبك السوء والفحشاء. لهذا قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) يوسف:٢٤.

* أختي في الله؛ حاسبي نفسك قبل أن يحاسبك فإن محاسبة النفس تدفع إلى المبادرة إلى الخير، وتعين على البعد عن الشر وتساعد على تدارك ما فات. وحاولي أن تذكري نفسك، عظيها وعاتبيها وخوفيها. قولي لها: يا نفس، توبي قبل أن تموتي، فإن الموت يأتي بغتة. وذكريها بموت فلان وفلان... أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك؟ والقبر بيتك؟ والتراب فراشك؟ والدود أنيسك؟... أما تخافين أن يأتيك ملك الموت وأنت على المعصية قائمة؟

هل ينفعك ساعتها الندم؟ وهل يقبل منك البكاء والحزن؟... ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك، وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك؛ وهكذا تظلين توبخين نفسك وتعاتبينها وتذكرينها حتى تخافي من الله فتؤوبي إليه وتتوبي.

* أختي في الله: أعزلي نفسك عن مواطن المعصية لأنك إذا تركت المكان الذي كنت تعصين فيه الله، أعانك ذلك على التوبة: «فإن الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا، قال له العالم: إن قومك قوم سوء، وإن في أرض كذا وكذا قوما يعبدون الله فاذهب واعبد الله معهم»...

زوجها، فإن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم والحب يتحقق ببذل المزيد من الحب، لكي يحدث التجاوب بين الطرفين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» فالحديث يحض على عدم التباغض بين الزوج وزوجته، لأن لكل واحد منهما من الصفات أو الخصال ما يشتمل على الحميد والذميم، والكمال لله وحده – جل في علاه – فلتنظر المرأة للصفات الحميدة في زوجها، ولتصبر صبراً جميلاً حتى يتحقق لها الخير بفضل التمسك بتلابيب هذا الصبر الجميل.

٢ – علاج نشوز الزوجة بالسبل الشرعية بلا إفراط أو تفريط، وذلك لحسم ووأد مادة الكراهية في مهدها، فلا تتمكن من قلب الزوجة، ولا تجد لها موطناً في نفسها بعد تناولها للعلاج الإسلامي وتجاوبها معه بمنتهى السماحة والرضا، وهذا الحل حاسم مصداقاً لقوله تعالى: {إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما} النساء:٣٥.

جـ ـ توافر أسباب إنهاء العلاقة الزوجية بصورة سلمية عند استحكام النفور: فلا يمكن إجبار زوجة على الاستمرار مع زوج تبغضه أو لا تطيق العيش معه، وذلك بعد استنفاد جميع أدوية وسبل تلافي إنهاء الرباط المقدس الذي يجمعهما، وبخاصة ما نص عليه الشارع الحكيم – جلّ وعلا.

– عندئذ لامناص من اللجوء إلى الحلول والأدوية الإسلامية للتخلص من داء الكراهية بصورة سوية، وبغير تداعيات سلبية شديدة أو غليظة على الأسرة، فشرع الإسلام نقض عرى الزوجية المتهالكة بإحدى الوسائل التالية:

١ ـ إعطاء الزوجة الحق في طلب الطلاق بصورة ودية من زوجها إذ ما توافرت أسبابه.

٢ ـ إعطاء الحق في طلب الخلع، وذلك برد ما أخذته من مهر أو بحسب الاتفاق.

٣ ـ إعطاء الزوجة الحق في اللجوء إلى القضاء لطلب التطليق للضرر أو للكراهية إذا كانت أسبابها ظاهرة، أو تتمثل في جرم وقع على الزوجة، فيمكنها إثباته للتخلص من هذه الزوجية.

تلكم أهم أسباب التداوي والعلاج الإسلامي لكراهية الزوجة زوجها ●

المصادر والمراجع:

(١) لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح، مادة: كره.
(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي جـ ٢ من ١٤٦ ط عالم الكتب.
(٣) روضة المحبين ونزهة الشقاقين لابن قيم الجوزية ص ١٧ ط الفجالة بالقاهرة.
(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة، حديث رقم ١٤٣٧.
(٥) مسند الإمام أحمد حديث رقم ٢٧٠٣٦.
(٦) طوق الحمامة لابن حزم ص ٣٦.
(٧) سنن ابن ماجة (كتاب النكاح) باب من زوج ابنته وهي كارهة حديث رقم ١٨٧٤ وإسناده صحيح.
(٨) تبيين الحقائق شرح كنز الوقائق للزيلعي جـ ٢ ص ١٢٨.
(٩) سنن الترمذي، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، حديث رقم ٨٧/٠٦٠، وهو حديث حسن.
(١٠) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم ١٤٦٩.
(١١) راجع: في (حكم الشريعة الإسلامية في كراهية المرأة زوجها من غير سبب ظاهر) موضوع رسالة الماجستير للسيدة/ مريم يعقوب يوسف باقر العبدالله في مكتبة كلية الدراسات العليا – جامعة الكويت – غير منشور.

ولا تنسي أن تبتعدي عن رفقة السوء، فإن طبعك يسرق منهم، واعلمي أن رفيقات السوء لن يتركوك خصوصا أن من ورائهن الشياطين تؤزهن إلى المعاصي أزا، وتدفعهن دفعا وتسوقهن سوقا. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام :«الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»... ثم تدبري عواقب الذنوب، فإنك إذا علمت أن المعاصي قبيحة العواقب سيئة المنتهى، وأن الجزاء بالمرصاد، دعاك ذلك إلى ترك الذنوب بداية، والتوبة إلى الله إن كنت اقترفت شيئا منها...

وحاولي أن تذكري نفسك بعظمة الجنة، وما أعد الله فيها لمن أطاعه واتقاه، وخوفيها بالنار وما أعد الله فيها لمن عصاه. واشغلي نفسك بما ينفع، وجنبيها الوحدة والفراغ: فإن النفس إن لم تشغليها بالحق شغلتك بالباطل، والفراغ يؤدي إلى الانحراف والشذوذ والإدمان، ويقود إلى رفقة السوء... وخالفي هواك، فليس أخطر على العبد من هواه ولهذا قال الله تعالى {أرأيت من اتخذ إلهه هواه}... قال أحد السلف : «شر إله عبد في الأرض الهوى»: فإذا أردت يا أختي الكريمة أن تتوبي توبة نصوحا عليك أن تحطمي في نفسك كل ما يربطك بالماضي الأثيم، ولا تتساقي وراء هواك.

وهناك أسباب أخرى تعينك أيتها الأخت على التوبة منها : الدعاء إلى الله أن يرزقك توبة نصوحا، وذكر الله واستغفاره، وتذكر الآخرة وتدبر القرآن، والصبر في البداية والنهاية واختيار الصحبة الصالحة الناصحة.

فهلمي يا أختي إلى رحمة الله وعفوه، وتداركي نفسك قبل فوات الأوان... دعي عنك لباس الكاسيات العاريات اللواتي حرمن من رائحة الجنة... دعي عنك لباس السراويل الضيقة اللاصقة على جسدك... دعي عنك الثياب التي تصف عورتك... فهل طار الخجل؟ أين الحياء يا أمة الجبار؟؟ إلى أين أنت ذاهبة؟ ألا تخجلين وأنت تمشين في الشارع مزهوة كالطاوس، ومفاتنك تكاد تظهر للعيان؟. ابتعدي عن نتف الحاجب أو وصل الشعر أو فلج الأسنان، ولا تتشبهي بمن مصيرها النار... فالمرأة الغربية نصرانية كانت أو يهودية في النار {المغضوب عليهم والضالون}: فلا تتشبهي بها... استعملي عقلك قليلا، وانتبهي إلى أنك مسلمة عربية، وأن الله خاطبك في القرآن الكريم، ونهاك عن التبرج وإظهار المحاسن أمام الرجال الأجانب، وأمرك بتغطية الرأس والنحر والصدر والساقين. انظري إلى سورة النور والأحزاب واقرئي آيات الحجاب، ولا ترددي في ستر رأسك، فهو واجب فرضه الله عليك تماما كباقي الفرائض... فهل تؤمنين ببعض الكتاب وتكفرين ببعض؟!.. لا، هذا ليس من أخلاق المسلمة... فكوني مؤمنة قلباً وقالباً، وشكلاً ومضموناً، فالإسلام جاء ليهتم بالشكل والمضمون معا: ودعي عنك أولئك الذين يقولون: إن الشكل غير مهم فالمهم هو ما في القلب... طبعا، المهم هو ما في القلب، لكن يجب ترجمته إلى أفعال وسلوكات وحقائق... فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل... نعم يجب العمل لتجسيد الإيمان الذي وقر في القلب... أخيرا، أكرر كلامي، فلولا حبي الخير لك ما كتبت لك هذه الكلمات التي أرجو أن تكون قد لامست شغاف فؤادك. واسأل الله تعالى أن يوفقك لقبول الحق والعمل به، إنه ولي ذلك، والقادر عليه والسلام عليك ورحمة الله ●



إلى الأم المسلمة في كل مكان
أظهري عاداتك الطيبة وحُسن خُلقك أمام طفلك

بقلم: رفعت محمد بروبي



أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الأفراد صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءاً، شيباً وشباباً، على قواعد تربوية فاضلة وأصول نفسية ثابتة، وعوَّدهم على ضرورة الاهتمام بالطفل وإكسابه العادات السوية وذلك من الأشهر الثلاثة الأولى وذلك عندما يصحو الطفل من نومه فتهرع إليه أمه لتحمله وتحضنه، وكُلما ازداد نمو الطفل ازدادت بالتالي قابليته لاكتساب عادات جديدة أسرع من ذي قبل.

ومن العوامل المهمة في اكتساب العادات قُدرة الطفل الطبيعية على المحاكاة والتقليد إلى جانب درجة ذكائه وذاكرته، فالأطفال الأكثر ذكاء من حيث الاستجابة للتعليم والإدراك أسرع في اكتساب العادات على وجه العموم سواء الطيبة منها أو السيئة.

ومن هُنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد تربية صحيحة اجتماعياً وسلوكياً عن طريق إظهار المفيد من العادات الطيبة أمام الأطفال من مُنطلق تقليد الأطفال لوالديهم والتزامهم بمحاكاة الأب والأم في كل التصرفات العادية التي يشاهدها الطفل أمامه في مختلف المواقف الحياتية.

ولقد حضَّ الأدب الإسلامي على تشبّع الطفل بالمبادئ السامية «الحق والخير والحب» منذ نعومة أظفاره، فإذا نشأ الطفل في بيته وسط أسرة تفيض بالحب والحنان عارفة بأمور دينها ومحافظة على أداء صلاتها، مؤدية لزكاة أموالها، متمسكة بالتعاليم الإسلامية الرائعة نشأ الطفل متأدباً بآداب الرحمة متذوقاً لأساليب الخير والحق عاشقاً للرحمة والحنان عارفاً بمبادئ العبادة والطاعة والسلوك القويم، لأن الطفل يُحاكي الوالدين في كل ما يشاهده من تصرفات تحدث أمام عينه، مصداقاً لقول الله عز وجل: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان).

تهذيب اللسان

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» لأنه تأدب بأدب القرآن وتخلّق بأخلاقه، فقراءة القرآن الكريم أمام الطفل يُعوِّده على سماع الآيات الكريمة التي يرتاح لها خاطره ويطمئن قلبه الصغير أمام جمالياتها وسمو كلماتها البيِّنات، كما أن سماع القرآن وحفظه يُعرِّب لسان الطفل ويهذبه فيكون الطفل أعظم بياناً وفصاحة وبلاغة وأدباً ويرقى بعاطفته ويجعلها تتسمُ بالصدق والايمان الخالص لوجه الله تعالى.

ويرى الدكتور محمد طه عسر: أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - أن الطفل يعتمد في تفكيره على البدهية لا المنطق فهو يخلع الحياة - على الشمس ويتخيَّلها وهي تمشي لأنها في منطقة تتحرك والحركة لا تكون إلا صنعة للأحياء، وهو يعتقد أيضاً أن الطيور تتكلم، والقطط تبكي، إذاً الطفل يتخيَّل أشياء وأشياء خيالية وهذه الأشياء تتناسب عكساً مع عُمره وأي لعب وهمي لديه يُكسبه الحس المعرفي والدرامي، لهذا تُعد مرحلة الطفولة بمثابة المخزن الفني - الذي يتيح للطفل أن يتلقى باللغة الفنية في صورتها العملية ليشربها ويتمرَّس عليها - والطفل بهذه الطريقة يمرُّ بتجارب كثيرة تُختزن في عقله الباطن وسُرعان ما تمرُّ الأيام فيسترجعها ليُسقطها بالايجاب على سلوكياته وتصرفاته بعامة.

وأما إذا ما تعود الطفل العادات السيئة فإن محاولات القضاء عليها تُؤدي إلى صراع ذهني يتناوب الطفل وبمرور الوقت يُقارن الطفل بين العادات السيئة وبين العادات الصحيحة فيستبدلها تلقائياً لو استشعر خطورة تلك العادات السيئة وهنا يأتي دور الأم والتي تقوم بتمرير الطفل بتجارب عدة تجعل الطفل

«لا إرادياً» يقارن بينها وبين بعضها الآخر.

مُحاكاة الطفل لوالديه

وتبدأ أولى مظاهر تقليد الطفل لأبويه وإخوته من الشهرين «الخامس والسادس»، حينما يحاول الطفل تقليد الكبار فيمضغ الطعام أو يثير ضجيجاً، ثم يبدأ الطفل بعد ذلك في تقليد أمه في سائر الشؤون المنزلية «كالكنس والغسل وتجفيف الأشياء»، والطفلة تخلع ثياب عرائسها وتُلبسها إياها تماماً كما تفعل أمها معها حينما تستبدل لها ثيابها، وما بين الشهر «الثامن» والعام الثالث، يُقلد الأطفال الطريقة التي يلاعبهم بها الآخرون، وهُنا تبرز أهمية إعطاء الطفل القدوة الصالحة عن طريق إظهار السلوكيات الحسنة أمام الطفل لإكسابه سمات مميزة وعادات طيِّبة، ولو حدث عكس ذلك وظهرت سلبيات في السلوكيات العامة المعمول بها أمام الطفل فإن ذلك ينسحب على كل سلوكياته المستقبلية وتكون بمثابة «المخزون» الفكري الذي يستقي منه الطفل تصرفاته ومُثُله في كل سلوكياته.

كما يجب على الأم تعليم طفلها وتعويده على فضيلة «الأدب» قولاً وعملاً وأن تُذكره دائماً بآيات الله البيِّنات، وأن القول الحسن والفعل الحسن له ثوابه عند الله عز وجل: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) فصلت:٣٤.

وأن يتعلم الطفل اللين في تصرفاته الرفق بأمه: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) الإسراء:٢٤.

إن الأم تقع عليها مسؤوليات جمة تجاه وليدها، فإضافة لإطعامه وسقايته، يجبُ أن تُطعمه حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأن توجهه لمكارم الأخلاق وجميل الصفات والتحلي بالآداب، كي ينشأ الطفل عارفاً بمكارم الأخلاق متحلياً بالصفات الحميدة، فالأطفال هم شباب ورجال الغد، وأمل الأمة ●

الصفحة البيضاء

بقلم: سيد عبدالحليم الشوربجي

بدا وجهها وهي تنظر في المرآة أشبه بهالة من النور... كانت فرحتها لا توصف وهي تلبس الحجاب للمرة الأولى... لم تشعر براحة قبل ذلك مثل راحتها وفرحتها هذه المرة وهي تقف أمام المرآة... لقد كانت تقضي الساعات الطوال قبل ذلك أمام المرآة تصفف شعرها وتزين وجهها بمختلف المساحيق تبدّل وتغير ولا تخلص من ذلك إلا إلى حيرة وقلق لا تعلم سببها كانت تنزل إلى العمل وهي قلقة ماذا يقول الناس عن ثيابي... عن مكياجي... عن وجهي... عن مظهري... كانت تنتابها حالات حيرة وقلق، رغم جمالها الظاهري الذي كان يلحظه كل ناظر إليها، لكن داخلها لم يكن أبداً مطمئناً كانت تحس دائماً بفراغ شديد، وأن شيئاً ينقصها ما هو؟! لا تدري!! كانت تنتابها لحظات يخفق قلبها دون أن تعلم السبب... زميلاتها وصديقاتها كن يحسدنها على جمالها ووجهها الفاتن واهتمامها الزائد بمظهرها وجاذبيتها وولع الرجال بها، كانت ترتسم على وجهها ابتسامة تبدي بها بعض الرضا - الذي لم تكن تشعر به - مع كل كلمة إطراء لو إعجاب، لكنها لم تكن أبداً سعيدة ولا راضية في داخلها، لم تشعر أبداً بدفء حتى في أيام الصيف الشديدة كانت تشعر بأنها في حاجة إلى غطاء يحمي جسدها من هذه الرياح الشديدة البرودة المنبعثة من كل مكان التي لم تكن تعلم مصدرها.

اليوم فقط وهي تقف أماما لمرآة علمت السبب لماذا لم تكن تحسُّ بالدفء قبل ذلك... بدأت تسوي حجابها وتتأكد تماماً أنه لا يظهر شيئاً مما لا يجوز إظهاره... نزلت إلى العمل للمرة الأولى بالحجاب... بدا كل شيء أمامها جديداً... الشارع الذي كانت تجتازه ذهاباً وإياباً إلى العمل يبدو وكأنه شارع آخر وجوه الناس مختلفة... نظراتهم التي كانت ترصدها مع كل ذهاب وإياب بدت مشدوهة لا تكاد ترتفع إليها حتى تغض الطرف مرة أخرى... أحست وهي تدخل مكان العمل كأنها تدخل للمرة الأولى، وكأنها تتسلم عملاً جديداً في مكان جديد... الوجوه كلها داخل مكان العمل ترمقها لم يتعرف إليها معظم زملائها - في بداية الأمر - لقد رأوا أمامهم إنساناً جديداً في مظهره وملبسه وحركاته... المشية المتمايلة المتبخترة مع صوت الأقدام اختفت تماماً... الصوت الرقيق المثير الذي يجذب مستمعه اختفى تماماً... العيون التي كانت تستميل كل ناظر إليها لم تعد ترتفع إلا لتبصر الطريق فقط... بعضهم ظنوها موظفة جديدة جاءت تتسلم العمل وبعضهم ظنها امرأة من خارج العمل جاءت تخلص بعض الأوراق... لم يخطر ببالهم يوماً أن تتحول هذه الأنوثة الطاغية إلى هذا الشكل.

أطلق عدد من زملائها كلمات تندروا بها عليها لم تأبه بكلماتهم، جلست على مكتبها وسط هذه الضجة العالية من الأصوات التي حولها لقد صارت حديث الساعة بين زملائها وزميلاتها بعضهن يقول: إنها أصيبت بمسٍّ شيطاني وبعضهم يقول: إنها اكتشفت أنها مصابة بمرض خبيث فأرادت أن تتوب، وبعضهم ظن أن هذا أمر وقتي ربما سببه وفاة أحد أقاربها، تعليقات كثيرة سمعت بعضها ولم تسمع بأكثرها لم تأبه بذلك، كانت تستمع لهذه التعليقات دون أن تعلق عليها بشيء أو ترد على أحد، كانت تعلم أن المفاجأة شديدة وأن هذه التعليقات رد فعل طبيعي لهذا التحول لأنهم رأوا شخصاً مختلفاً تماماً عن ذي قبل، ناهيك عن النوايا السيئة التي كانت وراء هذه التعليقات، تمنت لو تستطيع أن تصرخ في هؤلاء فتقول لهم: أنتم لاتفهمون ولا تعلمون أن التوبة ومعرفة طريق الإيمان

والتقوى بمثابة ولادة جديدة وبعث جديد للإنسان، بل هو الحياة الحقيقية لمن يريد أن يستمتع بهذه الحياة... كانت تعلم أن أشياء كثيرة ستواجهها من باب الاختبار فكانت مستعدة لأي رد فعل ممن حولها وما عليها إلا أن تثبت وتصبر... تناولت بعض الأوراق التي أمامها انشغلت قليلاً بالكتابة تناست الأصوات والهمسات التي حولها سمعت صوتاً يقول لها: أين الآنسة منى رفعت رأسها وقف مشدوهاً للحظات وهو ينظر إليها لم يتعرف إليها في بداية الأمر... من؟؟!

– منى... ما هذا؟؟!!

ـ كما ترى...

ـ أنا أرى شخصاً جديداً أمامي كأني لم أعرفه من قبل.

ـ نعم هو كما ترى فعلاً...

ـ ماذا حدث؟!

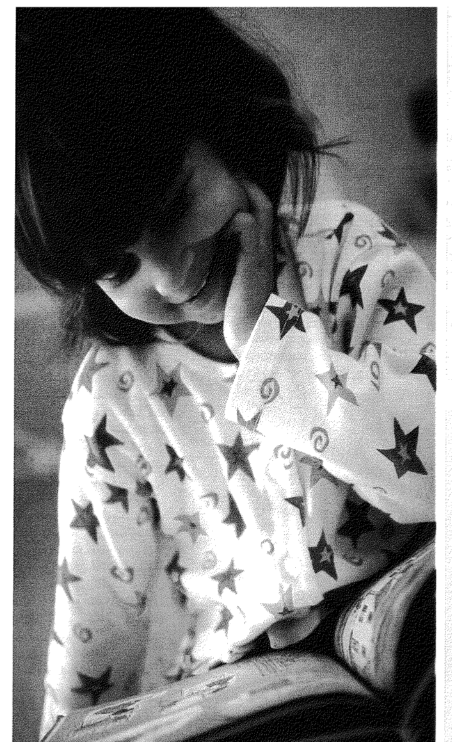
ـ لم يحدث شيء.

ـ ما التغير المفاجئ هذا؟!

ـ ليس مفاجئاً، بل هو ثمرة تفكير وبحث عن الحياة الحقيقية التي أجد فيها نفسي وراحتي وعزتي وثقتي بنفسي... كانت بينهما علاقة إعجاب متبادل لكن لم يكن يربطهما شيء رسمي كانت أحياناً تخرج معه وتحادثه من باب الصداقة والزمالة كان بينهما شبه وعد ضمني على الارتباط، علمت أن الوضع تغير عن ذي قبل ولن تسمح لنفسها بعد ذلك بمثل هذه العلاقة...

كان يهمها رد فعله في هذه اللحظة حتى تضع حداً لهذه العلاقة، تمنت لو طلبت منه رأيه صراحة وهل تغيَّر ما وعدها به قبل الحجاب لأنها لن تقبل بغيره ـ كان قد وعدها أن يتقدم لها رسمياً ـ لكنها آثرت الصمت...

لم يضف تعليقاً انصرف من أمامها بعد أن ألقى عليها السلام، ردت عليه السلام... عادت إلى أوراقها... تناست الموضوع وطوت صفحته تماماً، كما تناست وطوت صفحات كثيرة من حياتها السابقة لتفتح صفحة بيضاء جديدة... عادت إلى البيت هادئة مطمئنة أحست بسعادة غامرة وهي تتدخل إلى البيت ـ لم تشعر بها من قبل ـ قالت في نفسها: اليوم سأمزِّق كل الصفحات السابقة في حياتي وافتح صفحة جديدة، صفحة بيضاء لا أسطر فيها إلا ما يرضي الله عز وجل ●



تأخر النطق عند الأطفال

عبدالرزاق سمعو. كاتب سوري

يقلق الأهل عندما يتأخر طفلهم الصغير عن النطق وبخاصة إذا تجاوز الثلاث سنوات ولم يتكلم كلاماً واضحاً ومفهوماً، ويلجأ الكثير منهم إلى الأطباء لمعرفة السبب في ذلك فقد يكون نتيجة لعوامل بيئية اجتماعية أو لعوامل وراثية أو مرضية.

مراحل اكتساب اللغة عند الطفل

أثبتت الدراسات المفصلة على لغات الأطفال أن اكتساب اللغة يتبع جدولاً زمنياً تفصيلياً من حيث إن الطفل يبدأ بالتصويب ثم بالمناغاة فالكلمة الواحدة، فتنغيم الجملة، ثم بالكلمتين معاً ثم بجمل تبدو غير صحيحة.

١ ـ مرحلة ما قبل اللغة: هي مرحلة الصياح أو الصراخ وتمتد من مولد الطفل حتى أسبوعه الثامن ويعزى الصراخ في هذه المرحلة إلى الألم أو المنبهات القوية كالضوء الشديد أو الحرارة، فالطفل يستخدم الصراخ للتعبير عن حالاته الانفعالية ودوافعه المختلفة.

٢ ـ مرحلة المناغاة: وهي مظهر يخلف الصراخ والمناغاة وهي وراثية إلى أن للوسط أثره في تثبيت أصوات معينة وتطور أصوات أخرى وتختلف المناغاة عن الصراخ في أن المناغاة منغمة ذات ألحان متغيِّرة وفق حالات الطفل كما أن الصراخ غير مقطعي بينما المناغاة مقطعية مما يجعل المناغاة سمة إنسانية ذلك لأن المقطعية سمة الكلام الإنساني، أما الأصوات التي يمزجها الطفل في المناغاة فهي عبارة عن أحرف علة ومتحركة وتعد فترة المناغاة فترة سابقة لتقليد الكلام.

إن ذهن الطفل يدرك تنوع الأصوات التي يخرجها ويسمعها ويربط بينها وبين طرق إخراجها وهنا تبدأ مرحلة تجريب يحرك فيها أجهزته الصوتية بأشكال مختلفة ويستمع إلى نتائج هذه التغيرات.

٣ ـ مرحلة المحاكاة: يرى «فالون» أن الطفل بعد الشهر الثالث يأخذ بمحاكاة من حوله في إيماءاتهم وتكشيراتهم وأن الحركات المعبرة عنده هي جسر موصل إلى لغة الكلام.

وتبدأ المحاكاة بعد الشهر التاسع كما يرى أغلب الباحثين وتستمر حتى السن المدرسية، وهناك فوارق فردية بين الأطفال في القدرة على المحاكاة ونطق الكلمة الأولى، وهذه تخضع لعوامل متعددة كالذكاء والسن والجنس وفرص الكلام المتاحة للطفل ووجود أطفال آخرين معه في الأسرة وثراء البيئة الاجتماعية والثقافية.

٤ ـ مرحلة الكلام الحقيقي وفهم اللغة: وهي المرحلة التي يبدأ فيها الطفل بفهم مدلولات الألفاظ ومعانيها ويظهر ذلك في الأشهر الأولى من السنة الثانية فتتضح المعاني أكثر مع ظهور عناصر الاتصال الأولى التي تنشئ المرحلة من الجملة ويلاحظ في هذه المرحلة بعض العيوب في النطق والتي تعتبر موقتة وطبيعية بعد عمر ٤ سنوات، فإذا ما توافرت الشروط البيئية والتربوية المناسبة تختفي هذه العيوب في الكلام الطفولي مثل الجمل الناقصة والإبدال واللثغة وغيرها.

ومن هنا تبرز أهمية مراقبة النطق في الطفل منذ المراحل الباكرة من الطفولة وتلافي عيوب الكلام منذ البداية وإن لم يتخلص الطفل منها بين الرابعة والسادسة من عمره، أصبح شاذاً بالنسبة لمعايير النطق الصحيحة ووجب عرضه على اختصاصي نفسي

العوامل المؤثرة في النمو اللغوي وتعلم الكلام

١ ـ الجنس: لوحظ أن الإناث يتفوقن على الذكور في كل جوانب اللغة كبداية الكلام وعد المفردات اللغوية فيتكلمن بشكل أسرع وهن أكثر تساؤلاً وأكثر إبانة وأحسن نطقاً والسبب العلمي لهذا التفاوت غير مطروح حتى الآن.

٢ ـ الذكاء: تعتبر اللغة مظهراً من مظاهر نمو القدرة العقلية العامة والطفل الذكي يتكلم مبكراً عن الطفل الغبي.

٣ ـ المحيط الاجتماعي: يعتبر المحيط الاجتماعي بسماته الثقافية والاقتصادية المميزة من أهم العوامل المؤثرة على تعلم النطق والكلام لدى الطفل، حيث إن النمو اللغوي يتأثر بانجراف وكمية ونوعية الميزات الاجتماعية، إذ تساعد كثرة الخبرات وتنوعها واختلاط الطفل بالراشدين في نمو اللغة ويشير فرويد إلى الطفل في العائلة إذا سافرت أمه بعيداً عنه فإنه يفقد موهبته بالكلام التي اكتسبها حديثاً، كما لوحظ أن الأطفال من الطبقات العليا أثرى لغوياً من الطبقات الدنيا ربما لأنه تتاح لهم فرص الاحتكاك مع الآخرين ويلقون الاهتمام من الأهل ويلتحقون بالمدارس التي تولى أمور النطق أهمية كبيرة وللعطف والتشجيع أما أطفال الطبقات الدنيا فمحرومون من كل ذلك مما أدّى إلى تأخر الطفل لا بل تعثره بمثل التأتأة والفأفأة والتلعثم والارتباك. هذا وتؤثر الحكايات والقصص تأثيراً كبيراً على النمو اللغوي.

٤ ـ العوامل الجسمية: ومنها سلامة جهاز الكلام واضطرابه وكذلك كفاءة الحواس ولا سيما السمع.

٥ ـ وسائل الإعلام: ولا ننسى دور وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وغيرها فهي تتيح إثارة وتنبيهاً لغوياً أكثر وأفضل يساعد على النمو اللغوي السليم ●

مرحلة إدراك الطفل تبدأ بتجريب تحريك أجهزته الصوتية بأشكال مختلفة

الحقيبة المدرسية
مضارها الصحية... وسبل الوقاية

إعداد: ليلى عبدالرحمن

لا شك أننا نفرح عندما نشاهد أطفالنا يضعون حقائبهم المدرسية على ظهورهم ويتجهون إلى مدارسهم لينهلوا من ينابيع العلم والمعرفة... فالحقيبة المدرسية أصبحت رمزاً للعلم وارتشاف رحيقه وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصية التلاميذ وهم يغدون في الصباح الباكر إلى المدارس إنه منظر مألوف يبعث الراحة والسرور في النفوس والأمل والتفاؤل بمستقبل مشرق، ولكن هذا المشهد الجميل سرعان ما يبعث المخاوف في نفوس الأهل عندما يتعرفون إلى مخاطر الحقيبة المدرسية وثقل وزنها على العمود الفقري للطفل، فقد ذكرت دراسة نشرت في «فيينا» أن أمراضاً وتشوهات في العمود الفقري والمفاصل قد ظهرت بين طلبة المدارس نتيجة لعدد الكتب والكراسات التي يحملونها من وإلى المدرسة، وأحصت الدراسة مجموع ما يحمله الطفل النمساوي سنوياً من الكتب والدفاتر بما يعادل (٢ و٣) أطنان، وقد طالب وزير التربية المعلمين والمعلمات بتقليل طلباتهم عن الطالب، وتقليل عدد الكتب التي يحملها الطالب بحيث لا يزيد وزنها عمّا يتراوح بين ١٠ و١٢٪ من وزن الطفل.

إن الحقيبة المدرسية مع محتوياتها تزن بين ٢٥ - ٤٠٪ تقريباً من وزن الطفل الذي لم يشتد عودة بعد لحمل مثل هذا الثقل مما أثار انتباه الأطباء وخوفهم على جيل الغد المعرض للكثير من الأمراض. الأمر الذي يؤدي إلى تخلف الأطفال عن مدارسهم سواء لضرورة تقديم العناية والمعالجة الصحية لهم أو بسبب ملل الأطفال أنفسهم وتعبهم من حمل تلك الأثقال الإلزامية.

مضار الحقيبة المدرسية

يرى الأطباء أن حمل ثقل زائد في الحقيبة المدرسية يعرض الأطفال لآلام في الرقبة والذارعين والكتفين والظهر وحتى القدمين.

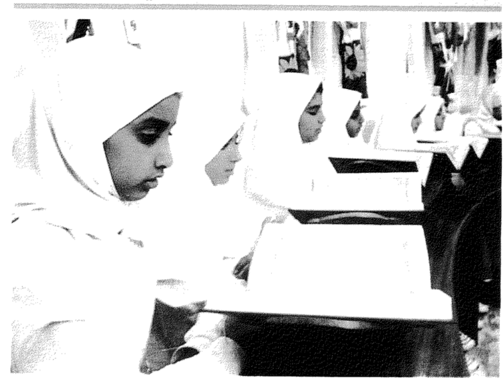
وقد تسبب أحياناً ضغطاً على القلب والرئتين نتيجة تشوه الهيكل العظمي والعمود الفقري الذي يصبح على شكل حرف (C) مما يستلزم عملاً جراحياً ولذلك يحذر الأطباء من حمل الأطفال لتلك الحقائب الثقيلة وبخاصة على أحد الكتفين، إذ إن احتمال إصابتهم بأمراض الظهر حينها ٣٠٪ في حين أن الاحتمال يتناقص إلى ٧٪ فقط في حال حملها على كلا الكتفين.

كما أن حمل الحقيبة على كتف واحدة يسبب انحناء جانبياً وقد يؤدي إلى سير الطفل بطريقة غير طبيعية ومختلة.

ومن نتائج الثقل الزائد في الحقيبة المدرسية أنه يؤدي إلى استدارة الظهر إلى الأمام أو تحدّبه مما يؤثر على شكل الجسم بصفة عامة وعلى العظام والجملة الحركية بصفة خاصة.

وما يزيد من رعب الأطباء والأهل هو أن مضاعفات المرض قد لا تظهر بشكل آني في مرحلة الطفولة وإنما قد قد تتطور مع مرور الأيام لتظهر في المستقبل على شكل

يتجسد دور الأهل في عملية توعية الأطفال وتنبيههم لعدم التفاخر بعدد الكتب والحاجات التي يحملونها



تحدّب في الظهر أو «الجنف» وهو الميل بالجسم نحو أحد الجانبين.

الوقاية... دور الأهل والمدرسة

الأسلوب المجدي للوقاية من مثل هذه الإصابات يتمثل أولاً في عدم حمل الطفل حقيبة مدرسية ثقيلة وبخاصة في سنواته الدراسية الأولى، ويكفي جداً ثلاثة أو أربعة كتب، وثانياً ضرورة تعويد الطفل على حمل الحقيبة بطريقة صحيحة بحيث لا يستسلم لثقل الحقيبة ويميل بجسمه معها، بل يحاول دائماً أن يحافظ على توازن واستقامة عموده الفقري.

ويؤكد الأطباء أن أفضل طريقة لحمل الحقيبة المدرسية هي حملها على الظهر وليس على أحد الجانبين، ولاكتشاف أي تشوهات في العمود الفقري تنصح كل أم بملاحظة مستوى كتفي طفلها فإذا وجدت اختلافاً في مستواهما أو ميل في الرقبة أو عدم اتزان في أثناء المشي أو ظهور تقوّس لأحد الجانبين في الظهر، عليها استشارة الطبيب فوراً فالحقيقة الطبية تقول: إن أكثر أنواع إعوجاج الظهر والعمود الفقري شيوعاً ينجم عن حمل الأشياء الثقيلة على أحد الجانبين، وإذا تمّ تلافي أسبابه في بداية الطفولة يصبح علاجه سهلاً عن طريق تمرينات للظهر واستعمال الأحزمة الخاصة بالفقرات، لهذا فإنه بشيء من حسن التصرف والملاحظة الدقيقة من الأم لأولادها نتجنّب مثل هذه المشكلات.

كما يتجسد دور الأهل في عملية توعية الأطفال وتنبيههم لعدم التفاخر بعدد الكتب والحاجات التي يحملونها.

أما المدرسة فيمكنها تقديم العون الأكبر لهؤلاء التلاميذ الصغار، فإما أن تنسق بين التلاميذ بحيث يحمل كل تلميذ كتاب مادة معيّنة والآخر كتاباً لمادة ثانية، أو أن تؤمّن قاعة مكتبية تحوي كتب المنهاج الدراسي فتوزع على كل مجموعة من



الحقيبة المدرسية مع محتوياتها تزن بين ٢٥ - ٤٠٪ تقريباً من وزن الطفل الذي لم يشتد عوده بعد لحمل مثل هذا الثقل

التلاميذ نسخة من الكتب المقررة يستعملونها في المدرسة فيما يتركون كتبهم في المنزل ويتابعون فيها تحضير دروسهم وحفظها وكتابة وظائفهم دون الحاجة إلى حملها يومياً من المدرسة وإليها.

كما يمكن للمدرسة كحل آخر كي لا تسبب تنازعاً بين التلاميذ على نسخة الكتاب الواحدة: إن تخصص كل تلميذ بنسختين من كل كتاب يستعمل إحداها في المنزل والأخرى في المدرسة التي يمكن أن تؤمن أدراجاً خاصة أو خزانة صغيرة لكل طفل يضع فيها نسخة كتبه المدرسية إضافة إلى حاجاته التي يأتي بها من المنزل ويحملها مع حقيبته، إذ يحمل في أحيان كثيرة مستلزمات حصص الرياضة والموسيقا والفنون مما يزيد الأمر سوءاً، ولذلك قامت بعض الدول بإلزام المدارس بإجراءات مماثلة كما قامت بسن قوانين لحماية الأطفال، بحيث لا تسمح أن يحمل الطفل ثقلاً يزيد على ١٠٪ من وزنه، فمثلاً تحظر هذه القوانين حمل الفتيات تحت سن (١٠) سنوات أكثر من وزن (٥ كغ) في الحقيبة المدرسة ولتجنب الآثار والنتائج السلبية للحقيبة المدرسية ينصح التربويون والأطباء بما يلي:

١ - أن يحمل التلميذ إلى المدرسة الكتب المقررة في يوم الدوام «أي الكتب التي يحتاجها فقط».

٢ - أن يحمل حقيبة تتناسب مع حجمه ووزنه وأن ينقل الحقيبة في أثناء سيره من يده اليمنى لفترة إلى يده اليسرى لفترة أخرى، ثم يحملها على ظهره لفترة ثالثة وذلك للحفاظ على تناسق الجسم وتوازنه.

٣ - عمل تمرينات لجميع أعضاء الجسم ولمدة (٢٠) دقيقة من جلوس على مقعد وسند الظهر إلى الوقوف وثني اليدين على الصدر، وأيضاً وقوف وتشبيك الأيدي خلف الظهر والتعلق على الحائط مع سند الظهر وبالتالي الوقوف مع فتح الذراعين وميل الجذع للأمام مع شد عضلات الجسم بأكملها للأمام والثبات.

وختاماً

علينا أن نعمل على زيادة وعي أطفالنا للمحافظة على صحتهم وأن نرشدهم إلى العادات الصحية السليمة سواء في حمل الحقائق أو كيفية الجلوس الصحي في المدرسة لنبعد عنهم شبح الأمراض، ثم نشجع بدورنا الإجراءات الإيجابية للعناية بالأطفال ونهتم بتلك البحوث والدراسات المختصة بأمراضهم وحالهم الصحية لنكون مطمئنين على جيل المستقبل فهؤلاء الأطفال أمانة في أعناقنا وقد كلفنا الله سبحانه وتعالى بصون تلك الأمانة، واعتبرنا مسؤولين عنهم بتنشئتهم على أتم وجه وفي جميع المجالات الأخلاقية والتعليمية والصحية والدينية، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

المراجع:

١ - مجلة «المعلومات» السورية - العدد ٧٤ - تشرين الثاني ١٩٩٨م.
٢ - مجلة «المرأة العربية» السورية - العدد ٤٠٣ - تموز وآب ١٩٩٩م.
٣ - «المجلة العربية» السعودية - العدد ٢٦٣ - ذو الحجة ١٤١٩هـ.
٤ - كتيب ملحق بمجلة «زهرة الخليج» - العدد ٩١٢ - الصادر في ٣٠ ربيع الآخر ١٤١٧هـ.

لماذا يجنح أطفالنا ويضطربون نفسياً؟



بقلم: أحمد توفيق هلال

إن تبعة الصحة النفسية للطفل تلقى على عاتق الوالدين، فالطفل في سنواته الأولى يكون سهل التشكيل والتأثر بما حوله، فإما أن ينشأ مليئاً بالعقد والاضطرابات النفسية وإما أن ينشأ صحيحاً نفسياً.

وثمة أسباب تؤدي إلى الجنوح والاضطرابات النفسية للطفل يتوجب على الوالدين وضعها نصب أعينهم ليضمنوا السلامة النفسية لأطفالهم، من أهمها الأساليب والطرق التي يتبعها الآباء في تنشئة وتربية أبنائهم، فمنهم من يتخذ من أسلوب القسوة منهاجاً مستديماً للتربية، معتقداً خطأ أن القسوة هي الطريق الصحيح لتعديل السلوك الخاطئ ويتأكد له هذا الاعتقاد لما يراه من أطفاله من خنوع واستلام خوفاً من إنزال العقوبات عليهم، إلا أن هذا الأسلوب غالباً ما يلحق الأذى والضرر النفسي للطفل بل يعرضه للمشكلات النفسية دون علم الآباء، فينشأ الطفل فاقداً للثقة في نفسه متردداً في كل تصرفاته خجولاً من أفعاله معتقداً أن كل أفعاله ستجلب له العقاب فيصبح عرضة للمعاناة النفسية.

ومنهم من تتحكم فيهم عواطفهم فيستسلمون أمام تعنت أطفالهم وإصرارهم على إشباع رغباتهم فينتهجون منهاج اللين والتدليل، فينشأ الطفل على سلوكيات خالية من الضبط النفسي ويعتاد على تلبية رغباته فور طلبها في أي وقت وبأي صورة، ويشعر الطفل بالسعادة داخل أسرته، إلا أنه سرعان ما يتعرض للإحباطات والاضطرابات النفسية عندما يصطدم بالمجتمع الخارجي - المختلف في سلوكياته وعواطفه عن والديه - والذي لا تربطه عواطف معينة تجاهه.

الخلافات العائلية

كذلك الخلافات العائلية غالباً ما تضع الطفل في صراع داخلي للانحياز إلى أحد الطرفين، فضلاً عن الصراع الذي ينشأ بين الوالدين للفوز بالطفل في صفه، كل ذلك يعرض الطفل إلى ضغوط نفسية شديدة ومتناقضات بين أوامر الوالدين لدرجة قد تهيئه للأمراض النفسية مستقبلاً.

ميلاد طفل جديد

وميلاد طفل جديد في الأسرة يعتبر تجربة باعثة على الغيرة ومزعجة لكثير من الأطفال، فإذا لم يحسن الوالدان التعامل مع أطفالهم بصورة صحيحة، ولم يحرصوا على عدم الإفراط في الاهتمام بالطفل الجديد وتدليله، قد يؤدي ذلك إلى انهيار أطفالهم الآخرين نفسياً، وقد يولد الكره لهذا الطفل الجديد، ويتجسد هذا الكره أحياناً في صور متعددة منها إلحاق الأذى بالطفل الجديد في غياب الوالدين.

انشغال الوالدين

ومن المشكلات المتكررة في كثير من المجتمعات، عدم وجود حوار بين الوالدين وافتقادهما للتخطيط والتعاون لتنمية شخصية الطفل وقدراته العقلية أو انشغال الوالدين أو أحدهما تاركاً العبء على الطرف الآخر أو سفر الوالد للخارج لفترات طويلة، ما يجعل الطفل يفتقد إلى المثل الأعلى، وكذلك بُعد الطفل عن الأم وبخاصة في السنوات الأولى سواء كان بالسفر أو بالطلاق أو بالإهمال، أو تركه للخادمة، انشغال الأم عنه يعرضه إلى التنشئة في جو من الحرمان العاطفي وعدم الأمن النفسي، فيصاب الطفل بحالة خوف دائم، ويفقد الثقة في نفسة وبالآخرين من حوله:

سلوكيات الوالدين

ومن أكثر الأشياء أهمية في التنشئة السليمة للطفل سلوكيات الوالدين أمام طفلهما والتي لها أثر كبير في صياغة شخصيته في المستقبل، فإذا ما اكتشف الطفل أن أحد الوالدين يمارس الكذب مثلاً، يفقد الطفل في نفسه احترام والده وقد يعرضه ذلك إلى صدمة نفسية قد لا تظهر آثارها إلا عندما يكبر، وإذا لم يتضرر الطفل نفسياً، فإنه لا محالة يتضرر خلقياً، لأنه بذلك سينشأ مفتقداً لقيمة الصدق كقيمة أخلاقية سامية ومكتسبا قيمة الكذب - إن صح إطلاق لفظ قيمه على الكذب على أنه قيمة سلبية.

الوفاق بين الوالدين

لذلك فإن الوفاق بين الوالدين في تربية الطفل له دور كبير في ضمان

اتزان الجو الأسري شرط لضمان الصحة النفسية للطفل



السلامة والصحة النفسية للطفل، فنمو الأطفال نمواً انفعالياً سليماً، وتكيفهم الاجتماعي يتقرر حسب درجة اتفاق الوالدين واشتراكهما وتوحد أهدافهما في تدبير شؤون أطفالهم، لذا يجب على الوالدين أن يزيدا من اتصالاتهما ببعضهما بعضاً في بعض المواقف السلوكية الحساسة وبخاصة أمام أطفالهما، بل إنه من الضروري إشراك الطفل في هذا الاتصال عندما يرغب الوالدان في تحديد قواعد السلوك الخاصة بالطفل أو تعديلها، فمن خلال هذه المشاركة يشعر الطفل أن عليه أن يحترم ما تم الاتفاق عليه لأنه أسهم في صنع القرار.

والجدير ذكره أنه يجب على الوالدين عدم وصف الطفل بأنه «سيئ» في حال خروجه عن هذه القواعد، ولكن يجب إشعار الطفل بأن سلوكه هو السيئ وليس هو ذاته، لأن وصف الطفل بأنه سيئ يجعله يشعر أنه مرفوض لشخصه ما يؤثر على تكامل نمو شخصيته وتكيفه الاجتماعي مستقبلاً.

لماذا يفشل الوالدان في ضبط سلوك الطفل؟

قد يفشل الوالدان في ضبط أو تعديل سلوك الطفل خوفاً من إلحاق الضرر النفسي بالطفل، أو لأسباب تتصل بالوالدين بالذات، فالأم الفاقدة لثقتها بنفسها مثلاً تشعر أنها عاجزة عن تبديل ذاتها أو تقبلها، فكيف لها أن تعدل سلوك طفلها؟!.... والأب الذي ينتابه دائماً الخوف من فقدان حب ولده له إن لجأ إلى إجباره على ما يكره - كأن يسمع من ابنه «أنا أكرهك...» مثلاً -

سلوكيات الوالدين لها أثر كبير في صياغة شخصية الطفل

بعد الطفل عن أمه يصيبه بحال خوف دائم

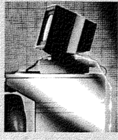
يمنعه هذا الخوف من مناهضة سلوك طفله وتأديبه، والأبوان ضعيفا الهمة والحيوية بسبب مرضهما بالاكتئاب يجعلهما بعيدين عن أجواء الطفل وحياته، والأم التي تشعر بالإثم حيال سلوك ابنها الطائش وتحس أن الخطأ خطأها لأنها فشلت في تربيته من البداية، مثل هذه المشاعر التي تلوم الذات تمنعها من اتخاذ أي إجراء تأديبي ضد سلوك الطفل الخاطئ.

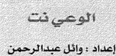
وفي بعض الأحيان نجد أن الأبوين في توجيههما للطفل لتعديل سلوك أو نبذه ينتابهما الانفعال الشديد لدرجة يصعب معها مطالبة الطفل بالهدوء والسكينة اللذين يفتقد إليها الأبوان نفسيهما.

وفي أحيان أخرى نجد أن أحد الوالدين يعترض على أسلوب الآخر في التربية فيطلب منه عدم التدخل في تربية الطفل، والضحية هنا هو الطفل لأنه دائماً في حاجة إلى حزم الأب وعطف وحنان الأم في صورة امتزاج وتناسق تامين وتبادل الأدوار بينهما بين كل فترة وأخرى.

فضلاً عن المشكلات الزوجية وغيرها من المواقف الحياتية الشائكة التي تنشأ بين الزوجين وتؤدي إلى إهمال مراقبة سلوكيات الطفل، مثل هذه الأجواء تحتاج إلى علاج أسري أولاً لإعادة الأسرة إلى جوها التربوي والنفسي الصحيحين حتى ينجحا في توفير الصحة النفسية لأطفالهما، لذلك لابد من تنسيق العملية التربوية باتفاق الأبوين على الأهداف والوسائل المرغوبة والواجب تحقيقها من تربية أطفالهم ●







الوعي نت

إعداد : وائل عبدالرحمن

القاموس الإلكتروني

نظام المدخلات والمخرجات الأساسي BIOS

هو النظام الذي يتحكم في عمل الكمبيوتر كله، وخصوصاً في كيفية تعامل الجهاز مع القرص الصلب ولوحة المفاتيح والشاشة.

زمن الوصول Access

هو الزمن اللازم للوصول إلى بيانات مخزنة في الكمبيوتر، سواء كانت موضوعة على القرص الصلب أو محرك الأقراص المدمجة، وكلما كان الزمن أقل، كان الوصول أسرع، أي أفضل.

القرص الصلب Hard Disk

يعرف أيضاً بالقرص الصلب الثابت، ويقصد به وحدة التخزين الأساسية الثابتة في الجهاز.

مجزء القرص Disk Defrag menter

هو أحد البرامج المهمة في نظام تشغيل الكومبيوتر، ويفيد في إلغاء الفراغات الموجودة بين الملفات المخزنة على القرص الصلب، عبر إعادة تغيير مواقع تخزينها بما يتناسب مع نوعية هذه الملفات وعلاقتها مع البرامج الموجودة في الكومبيوتر، ما يزيل البعثرة في تخزين هذه الملفات.

مساحة محرك الأقراص Drive Space

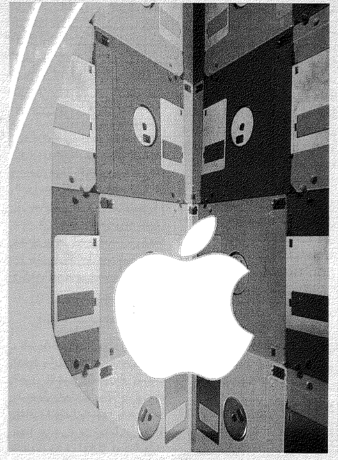
يفيد في إظهار المناطق المشغولة من القرص، سواء المرن أو الصلب، وكذلك المناطق الحرة التي يمكن استخدامها في تخزين الملفات عليها ويتم إظهار المساحات إما على شكل مخطط بياني، أي باستعمال الرسوم، وإما على شكل أرقام تعبر عن النسبة المئوية من الملفات التي أعيد ترتيبها.

سطح المكتب Desk Top

هو الشاشة الافتراضية التي يستقر عليها نظام التشغيل بعد أن تتم عملية إقلاعه، ونلاحظ وجود أيقونات Icons افتراضية على سطح هذا السطح، إضافة إلى وجود شريط يتموضع في أسفل الشاشة، ويسمى بـ«شريط المهمات»، ويحتوي هذا الشريط على زر البدء، الذي يعتبر الانطلاقة الأساسية لمعظم العمليات التي يقدر النظام على تنفيذها، مثل تشغيل برامج أو إعداد الملفات أو غيرها.

لوحة التحكم Control Panel

مجموعة من الملفات مهمتها تهيئة الوضع العام للملفات والبرامج في الكمبيوتر وتحتوي هذه اللوحة على كثير من برامج الأنظمة الخدمية التي



تفيد في تعريف الكومبيوتر على الأدوات التي يستخدمها، مثل الطابعة والمودم، أو أي أدوات جديدة تضاف إلى عمل الكومبيوتر، مثل الكاميرا الرقمية، وتشمل مهمة لوحة التحكم تثبيت برامج جديدة على الحاسب أو إزالة برامج مثبتة سابقاً وكذلك التحكم بحيثيات النظام في شكل كامل.

البرامج الملحقة Accessories

هي عبارة عن مجموعة من البرامج الجاهزة التي تأتي مع نظام التشغيل وتتضمن المجموعة برامج خدمية أو رسومية أو برامج خاصة بالإنترنت أو آلة حساب أو برنامج رسم أو صور وما إلى ذلك.

النسخ الاحتياطي Backup

هو إجراء نسخ احتياطية للملفات الموجودة على القرص الصلب، ويمكن إجراء نسخ احتياطية للملفات على أقراص مرنة أو كمبيوترات أخرى

متصلة بشبكة داخلية، فإذا تعرضت ملفاتك للعطب أو فقدتها لسبب أو لآخر، عندها يمكنك استعادتها من النسخ الاحتياطية.

وينصح باللجوء إليها في حال التخوف من انتشار فيروسات، أو في الأعمال التي تتضمن معلومات مهمة لا يمكن المخاطرة بفقدانها، وأحياناً تستخدم أجهزة خاصة من أجل وضع النسخ الاحتياطية، كما هي الحال في عمل المؤسسات الكبرى والبنوك وغيرها.

استعراض Browse

هي معرفة محتويات قرص مرن أو صلب أو قرص مضغوط وتستخدم في معرفة عناوين المواقع التي يمكن الوصول إليها بواسطة متصفح الإنترنت.

منفذ تسلسلي Serial Port

المنفذ الذي يستخدمه الجهاز للاتصال مع أدوات خارجية كالمودم وكل كومبيوتر يحتوي منفذين من هذا النوع.

تشارك البيانات بالأشعة تحت الحمراء Irda

معيار اتصالات البيانات باستخدام الأشعة تحت الحمراء، يستخدم عادة لتمكين الأجهزة الدفترية «نوت بوك» من الاتصال لاسلكياً مع أجهزة أخرى، مثل الطابعة من دون أن تكون متصلة بالكابل معها.

الذاكرة المخبأة Cache

تستخدم عادة لوصف معالج الكومبيوتر لكنها تستخدم أيضاً في أدبيات الكومبيوتر للإشارة إلى وحدة المعالجة المركزية فيه.

الذاكرة المخبأة العشوائية Cache RAM

تعمل كمخزن موقت عالي السرعة بين الذاكرة العشوائية الرئيسة والمعالج ويحتوي معالج بانتيوم مثلاً على ذاكرة مخبأة لتسريع الوصول إلى البيانات المستخدمة عادة.

وتسمى «الذاكرة المخبأة من المستوى الأول»، ويوجد في الكومبيوتر أيضاً ذاكرة مخبأة خارج المعالج تسمى «الذاكرة المخبأة من المستوى الثاني».

الكمبيونت (http://hyper text transfer protocol)

أي بروتوكول نقل النصوص التشعبية: ويختص بمواصفات الاتصال القياسية المستعملة في الوورلد وايد وب (www)، ويتيح البروتوكول لبرنامج الاستعراض استخراج النصوص والرسوم والأصوات وبقية المعلومات من ملقم الويب.

IDC Internet Database onnector)

أي: موصل قاعدة بيانات الإنترنت): وهي واجهة مشمولة في الملقم Microsoft Internet Information Server تتيح لك استعمال قاعدة بيانات في صفحة الويب.

Isp (Internet Service Provider)

ويعني (مزود خدمات الإنترنت): شركة أو مؤسسة تزود وصولاً إلى كمبيوترات أخرى موصلة بالإنترنت مقابل رسم ما، يمكنك الاتصال بتلك الشركة عبر مودم فتحصل بالتالي على مدخل إلى الإنترنت ●

مواقع على الإنترنت

● www.sokkari.com

من المواقع العربية المميزة التي خصصت لتوفير كل ما يتعلق بداء السكري «لا أراكم الله مكروهاً» بعد أن انتشر هذا المرض بشكل ملفت في الآونة الأخيرة، مما يجعلنا في حاجة لمعرفة أسبابه وكيفية الوقاية منه لتفادي الإصابة به، وخير طريقة لمعرفة تلك المعلومات هي اتصالنا مع هؤلاء المتخصصين في هذا المجال، ومن الجميل جداً أن نرى ترابط وسيلة الاتصالات الأكثر انتشاراً في العالم وهي شبكة الإنترنت، مع تقديم مثل هذه المعلومات والخبرات من الأطباء، وتحديداً من خلال هذا الموقع الذي يشرف عليه أحد المتخصصين في مجاله وهو الطب.

الموقع يحتوي على عدد من الأقسام المختلفة مثل القسم الخاص بالتعريف بالمرض، وتعريف كيفية الإصابة به، استعراضاً لبعض الأعراض والأسباب المسببة لزيادة تأثير المرض، كما يقدم الموقع مجموعة نصائح لاتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب المرض، وكيفية العناية بجسم المصاب بالمرض، مثل كيفية العناية بالقدمين، وكيفية اتباع الحمية الغذائية، وفائدة الصيام، وغيرها الكثير، بالإضافة للقسم الخاص بالعناية بالطفل المصاب، وهناك أيضاً قسم خاص بإبر الأنسولين، وكيفية حقنها، ومقدار جرعاتها، يبقى أن نذكر أن بإمكان الزائر تحويل لغة عرض الموقع للغة الإنكليزية أيضاً.

● http://web.uvic.ca/shakespeare/Annex/shak sites1.html.

هو خاص بموقع شكسبير والأدب الإنكليزي.

● http://www.ama-assn.org

خاص بالجمعية الطبية الأمريكية التي تسمّى AMA وبه معلومات عامة وموارد تشمل الأرشيف البحثي ومكان الدكتور بالاسم والتخصص والمكان.

● http://www.emedicine.

يمكن من خلاله الدخول المجاني على النصوص الكاملة للعديد من المعلومات الطبية، والكتب الطبية البيطرية، وهذا الموقع مفيد للأطباء المحترفين وللعامة أيضاً.

●: Kuwaitboom.com/antique

موقع كويتي يهتم بالتاريخ حيث يحتوي على مجموعة أقسام منها القسم المتخصص بالتحف والقطع النادرة، سواء كانت مطبوعات أو آلات قديمة أو مجوهرات أو ساعات كما يحتوي الموقع على قسم التاريخ الكويتي القديم الذي يقدم مرجعاً غنياً بالمعلومات.

●: http:/www.odci.gov/cia/publications/chiefs/ index.html

هذا الموقع يقدم الإجابة عن أي دولة في العالم، كما يزودك بأسماء أعضاء الطاقم الوزاري بجميع الدول، ومع التقلبات الرئاسية والحكومية المتسارعة في العالم، فإن القائمين على هذا الموقع يحدثونه باستمرار، وهذا بالفعل أفضل ما فيه ●



ثمرات الفكر

إعداد: محمد هاني

الاستراتيجية البيئية لدولة الكويت



في مجلد ضخم يتكون من ٦٨٢ صفحة أصدرت الهيئة العامة للبيئة الجزء الأول من «الاستراتيجية البيئية لدولة الكويت»، الذي يضم عشرة قطاعات رصد فيها الأوضاع البيئية موثقة بالأرقام والصور والخرائط وهي «الخصائص الطبيعية والبشرية - الغلاف الجوي - صحة البيئة - موارد المياه العذبة - التربية والوعي البيئي - الصناعة والطاقة - الحياة الفطرية النباتية والحيوانية - الزراعة والأراضي - البيئة الساحلية والبحرية».

جاء في مقدمة الكتاب الذي أشرف عليه رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للهيئة العامة للبيئة الدكتور «محمد الصرعاوي» وترأس الفريق العلمي الدكتور «سفيان التل» كبير المستشارين في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP أنه بدأ التفكير في إعداد هذه الاستراتيجية بالتوجه نحو تحديد الأهداف ولهذا الغرض عقدت الحلقة النقاشية الأولى في أواخر العام ١٩٩٨م، ودُعي إليها نحو مئة من القطاعات المختلفة التي تمثل الجهات الرسمية والخاصة والنفع العام وتم الاتفاق على الغايات والأهداف المقترحة للاستراتيجية البيئية لدولة الكويت، وبعد ذلك بدأ بتشكيل فرق العمل لعدد من القطاعات وعقدت حلقة النقاش الثانية والتي وضعت بعض المقترحات والتصورات للقطاعات التي تمت مناقشتها.

في أواسط العام ٢٠٠٠م، تم الاستعانة بالمنظمة الاقتصادية والاجتماعية لدول غرب آسيا، حيث وضع المستشار الإقليمي الشروط المرجعية المقترحة لإعداد هذه الاستراتيجية، وباشرت فرق العمل التي تم تشكيلها بجمع المعلومات اللازمة والتي يجب أن تشكل المادة الأساس لجميع قطاعات الاستراتيجية بعد ذلك تم انتداب عدد من المختصين ليباشر كل واحد منهم بصياغة المسودة الأولى لأحد القطاعات.

وفي أواخر العام ٢٠٠٠م تم الاستعانة ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP. حيث حضر كبير المستشارين ليتفرغ للعمل على إنجاز جميع قطاعات الاستراتيجية وباشر عمله مع فرق العمل والمختصين بالصياغة إلى أن تم الانتهاء مع نهاية العام ٢٠٠١م من إنجاز استراتيجية القطاعات العشر وللحصول على إجماع وطني لهذه الاستراتيجية ولمناقشة استراتيجيات القطاعات المختلفة، تم عقد ورشتي عمل في العام ٢٠٠١م، ودُعي لكل واحدة منهما أكثر من مئتي جهة رسمية وخاصة، بما في ذلك مجلس الأمة ووزعت عليهم وعلى الصحافة الاستراتيجية، وجرت المناقشة بكل شفافية ووضوح ومصارحة، في ورشات العمل وفي الصحافة، وتم جمع كل وجهات النظر ذات العلاقة، وتم الاستفادة منها في الصياغة النهائية، ومن الجدير ذكره أن هذه الاستراتيجية لا تتضمن قطاع النفط فقط، وقد ارتأينا وبالتنسيق مع المسؤولين في هذا القطاع أن نفرد له الجزء الثاني من الاستراتيجية نظراً لضخامة وتعدد مؤسساته وجوانبه البيئية ومازال العمل جارياً في هذا المضمار حتى الآن. لقد تم التركيز على محاولة تنسيق المعلومات في جميع القطاعات حسب منهجية موحدة، تبدأ بمقدمة، ثم حصر موارد أو إمكانات القطاع المؤسسية والبشرية والتشريعية، ومن ثمَّ حصر المشكلات والقضايا التي يعانيها القطاع، وبعد ذلك البحث عن أسبابها، وننتقل في النهاية إلى الحلول والإجراءات المقترحة والتي نرى ضرورتها لحماية وتطوير البيئة في ذلك القطاع.

ولتسهيل عملية التنفيذ والمتابعة، للحلول والإجراءات المقترحة باشرنا بإعداد خطة العمل التي نأمل الانتهاء منها في المستقبل القريب، وسنحاول في خطة العمل هذه تحويل الحلول والإجراءات المقترحة إلى مشاريع محددة مع اقتراح سنوات تنفيذها وتقدير ميزانياتها. وبهذا العمل نعتقد أنه سيكون هناك استراتيجية بيئية وخطة عمل واضحة المعالم تلقي الضوء على طريق عمل جميع مؤسسات الدولة وتساعدها على وضع برامجها وخطط عملهاواعتماد ميزانياتها وتسهيل تنفيذها. ونظراً لوجود عدد من المؤسسات العلمية التي تتمتع بمستوى عال من الكفاءة والفاعلية فقد رأينا حصر الأبحاث والدراسات التي تمت في تلك المؤسسات وكذلك مشاريع الأبحاث التي مازالت في مراحل التنفيذ والتي لها علاقة بالبيئة. وقد أوردنا موجزاً لهذه الأبحاث في الملاحق في نهاية الاستراتيجية لتسهيل الرجوع إليها والاستفادة منها ●

صدر حديثاً

المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام



في نحو ٣٤٥ صفحة من القطع المتوسط، صدر عن دار الوفاء للطباعة والنشر في المنصورة - مصر، كتاب «المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» لمؤلفه الأستاذ «زكي علي السيد أبو غضة»، وهذا الكتاب يتحدث عن المرأة، ذلك المخلوق الذي احتار الفلاسفة في فهمه وتعريفه، فأسراره لا تنقضي وعجائبه لا تنتهي، وسبر أغواره محال، فهو الكائن الوحيد في العالم القوي في ضعفه، الرقيق في شعوره ووجدانه،

مؤسسة البابطين: دورتنا المقبلة في إسبانيا لإجلاء صورة العرب الحضارية

أقر مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، عقد الدورة التاسعة للمؤسسة «دورة ابن زيدون» في قرطبة بأسبانيا في أكتوبر من العام ٢٠٠٤م، وهذه هي المرة الأولى التي تقيم فيها المؤسسة إحدى دوراتها خارج الوطن العربي، وتهدف من ذلك كما قال بيان صادر عن المؤسسة إلى إجلاء الصورة الحضارية والفكرية والثقافية الصادقة للعرب والمسلمين، بعد الصورة الشائهة التي رسمتها بعض الجهات الغربية المعادية لهم في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر من العام ٢٠٠٢م، وستقام بعض أنشطة الدورة - في مدينة قرطبة إضافة إلى مدينتي غرناطة وإشبيلية، وجاء اختيار المؤسسة لمدن في إقليم الأندلس لتقام فيها أنشطة الدورة وفاعلياتها، من منطلق العلاقات التاريخية الطويلة بين العرب وأسبانيا.

وإضافة إلى ما تتضمنه الدورة في أمسيات شعرية وفنية مشتركة بين الجانبين العربي والأسباني، فستتكون ندوتها من ثلاثة محاور هي: المحور الحضاري العام، ومحور الإبداع الشعري في الأندلس، أما المحور الثالث فيتمثل في ندوة حوار مشتركة بعنوان: «العلاقات العربية الأيبيرية: الذاكرة والمستقبل»، ويتضمن كل محور من هذه المحاور عدداً من الفروع التي يختص بها، وقد رشح المجلس عدداً من الأسماء المقترحة من الأساتذة العرب والغربيين المتميزين من ذوي الخبرة والاختصاص للكتابة في هذه المحاور والمشاركة في الندوة.

وستتضمن الدورة كالعادة مسابقة في الإبداع الشعري ونقده، في مجالات الإبداع في مجال نقد الشعر، أفضل ديوان شعر، أفضل قصيدة، وقيمة هذه الجوائز على التوالي: أربعون ألف دولار، عشرون ألف دولار، عشرة آلاف دولار، أما جائزة الإبداع في مجال الشعر فتمنح لشاعر عربي كبير ممن أسهموا في إثراء الشعر العربي، وهي جائزة تكريمية لا تخضع للتحكيم، بل لآلية خاصة يضعها ويشرف عليها رئيس مجلس أمناء المؤسسة، وقيمتها خمسون ألف دولار.

أما الجوائز الثلاث الأخرى فإنها تخضع للتحكيم وفق شروط عامة، يمكن الاطلاع عليها في روابط واتحادات الكتّاب والأدباء العرب وأقسام اللغة العربية في الجامعات في مختلف أنحاء الوطن العربي ●

المتجبر بدهائه، والفيّاض في حنانه.

ونظراً لأهمية الدراسة والمحاولة الجادة لتحري الدقة فقد ضمّنها الكاتب - موضوعات كثيرة، منها: بعض النساء اللائي ذُكرن في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم... كما ضمنها بعض أحكام المرأة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، مثل: القوامة.. عمل المرأة.. إرث المرأة.. الختان.. الحجاب.. الطلاق والخُلع.. تعدد الزوجات.. العبادة وجزاء الأعمال للمرأة.. إلى آخر هذه الموضوعات التي تتعلق بالمرأة.

الإعلام القديم والإعلام الجديد



يتمحور الموضوع الأساسي لهذا الكتاب من غلافه الأول للإجابة عن سؤال مهم مفاده: هل الصحافة المطبوعة في طريقها للانقراض؟ ذلك أن المؤلف الدكتور «سعود صالح» كان متخصصاً في علم الكمبيوتر ونظم المعلومات لهذا يبحث في كتابه مستقبل الصحافة عبر عشرة فصول تتوزع على ٣٨٦ صفحة من القطع الكبير، والكتاب مزوّد بالصور والرسوم والبيانات التوضيحية التي تتعلق بموضوع الإنترنت، وغرفة صحافة المستقبل، وكيفية استقبال الصحافة المستقبلية، ويخلص المؤلف في مقدمته إلى أن صحيفة المستقبل ستكون رقمية وذات طابع شخصي يستقبلها القراء عبر أجهزة خاصة داخل منازلهم وبوسائل إلكترونية مختلفة.

لماذا أخفقت النهضة العربية؟

صدر حديثاً عن دار الفكر بدمشق

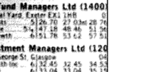


وضمن سلسلة حوارات لقرن جديد كتاب عنوانه: «لماذا أخفقت النهضة العربية؟» لمؤلفيه الدكتور «محمد وقيدي» والدكتور «أحمد النيعز»، والكتاب يتحدث عن النهضة تلك الإشكالية التي مُني فيها الفكر العربي منذ القرن التاسع عشر وأعيد طرحها مجدداً منذ بداية ستينيات القرن العشرين، ولكن ماذا نعني بالنهضة؟ وما معوقاتها؟

الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها تجدها بين دفتي الكتاب في حوارية تقع في ٤٠٨ صفحات من القطع المتوسط ●

أخبار ثقافية

- منحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «اليسكو» خادم الحرمين الشريفين الوسام الذهبي الأكبر تقديراً لإنجازاته ولما قدمه لبلاده والأمتين العربية والإسلامية.
- أكدت جامعة الكويت تأجيل عقد الدورة الثامنة للمكتب التنفيذي لرؤساء جامعات العالم الإسلامي والذي كان مقرراً عقده في الفترة من ٣ - ٥ مارس الماضي في دولة الكويت على أن يعقد في شهر مارس من العام المقبل ٢٠٠٤م.
- أعلن معهد نوبل النرويجي للسلام أنه استناداً إلى الأرقام النهائية قدم ١٦٥ ترشيحاً، لجائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٣م وهو رقم قياسي جديد.
- تواصل مؤسسة الثقافة الإسلامية في مدريد جمع التوقيعات من مختلف رجال الفن والثقافة المعروفين على صعيد العالم، وكذا المنظمات الحكومية وغير الحكومية من أجل الحصول على دعم لأنشطتها التي تقوم على نشر الثقافة الإسلامية عبر العالم، منطلقة من ضرورة التذكير بمرحلة من مراحل تاريخ أسبانيا الخصب وهي مرحلة الأندلس المرتبطة بالحضارة الأسبانية الإسلامية.
- جرى في معهد الاستشراق بجامعة صوفيا، افتتاح قاعتين في كلية اللغة العربية، تم ترميمهما بمساعدة مالية من مجلس السفراء العرب المعتمدين لدى بلغاريا ●



ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

إخلاء المستوطنات أو الانهيار الاقتصادي



إذا تواصل تدهور الاقتصاد الإسرائيلي بوتيرته الحالية، فلا شك في أن السؤال الذي سيواجهنا هو ليس «إذا» كان الاقتصاد سينهار، وإنما «متى سينهار»؟ فالعجز المالي الحكومي الذي بلغ مليار شيكل في يناير الماضي هو أحد أدلة عدة تشير إلى ذلك.

ولو كانت الحكومة زبوناً في بنك، لاستدعاها مدير البنك على عجل، وطلب منها القيام فوراً ببيع أغلبية ممتلكاتها قبل أن تعلن إفلاسها.

تصل نسبة العاطلين عن العمل في إسرائيل إلى ١٠٪ من القوة العاملة، وينضم إليهم عشرات الأشخاص كل يوم وفي كل أسبوع تُغلق الكثير من الأعمال التجارية والمطاعم، وتجري تقليصات قاسية في القطاعين العام والخاص، وتخفض قيمة الشيكل وتنخفض مداخيل الدولة من الضرائب بصورة حادة، وتهرب العملة الأجنبية إلى الخارج.

وهذا كله يشهد على أن إسرائيل على عتبة انهيار اقتصادي.

لكن ثمَّة بارقة ضوء في هذا الظلام أيضاً، فقد بشرونا بازدياد عدد المستوطنين في المناطق الفلسطينية بنسبة ٦٪ لعام ٢٠٠٢م، وفي أعقاب نشر هذا النبأ، أخبر رئيس مجلس المستوطنات «بتنسي ليبرمان»، بأن هذه المعطيات تشهد على مناعة الاستيطان في المناطق الفلسطينية بعد محادثة «متسناع» و«شارون».

ويمكن لـ«ليبرمان» ورفاقه في قيادة المستوطنات الاطمئنان، فحكومة شارون الجديدة لن تفكك أي مستوطنة قريباً، حتى تلك التي تدور حولها خلافات قاسية في أوساط الجمهور الإسرائيلي، كمستوطنة «نتساريم» في قطاع غزة مثلاً.

كما أنهم ليسوا مضطرين إلى الشعور بأي أسف إزاء الأنباء التي تحدثت عن نية المالية تقليص ميزانيات المستوطنات، لأن هذه النية ليست جدية، وسيستمر تحويل الميزانيات الضخمة إلى المستوطنات، طالما واصل «شارون» دعمها، وملايين المواطنين في إسرائيل يئنون تحت أعباء الظلم القاسي ويقلصون من مصاريفهم، قدر ما يمكنهم تقليصه.

وتعيش مجموعة كبيرة منهم وسط مخاوف عدم تمكنها من مواصلة إعالة عائلاتها، غداً أو بعد غد.

وفي غضون ذلك يتواصل الاحتفال في المستوطنات، أن الميزانيات الضخمة التي يحصل عليها المستوطنون - ومنها بيت وقطعة أرض بأسعار مثيرة للسخرية إذ إنها مجانية تقريباً - تغري الكثير من الإسرائيليين الذين يعيشون ضائقة اقتصادية صعبة في الانضمام إلى ذلك القطاع



الذي يتم تمييزه إيجاباً، رغم الأخطار الأمنية، وهذا هو أحد أسباب ازدياد عدد المستوطنين في المناطق الفلسطينية، خلال العام الماضي.

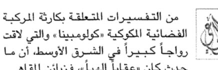
ولكن، فور انتهاء الحرب في العراق، ستواجه إسرائيل خلال الأشهر القليلة المقبلة، خياراً حاداً بين مواصلة قيام المستوطنات وانهيار الاقتصاد، أو إخلاء المستوطنات مقابل حصولنا على مساعدات مالية كبيرة من أميركا، وتتحدث «خريطة الطريق» الأميركية عن هذا الأمر بوضوح ولن تتمكن أي حكومة وحدة من منع تفكك الاقتصاد ـ حتى إذا أجريت تقليصات كبيرة في الميزانية ـ من دون اتخاذ قرار سياسي واضح بالتجاوب مع المطلب الأميركي في ما يتعلق بالاستيطان في المناطق «المحتلة».

ويعرف حتى المؤيدون الكبار للمشروع الاستيطاني في المناطق، أن إسرائيل تدفع ثمناً باهظاً ـ سياسياً واقتصادياً ـ لقاء مواصلة حلمهم، لكنهم مستعدون لدفع الثمن شرط تواصل حلمهم واتساعه، ويستدل من استطلاعات للرأي العام أن أغلبية المواطنين في إسرائيل ليسوا مستعدين لدفع هذا الثمن رغم ميلهم الواضح نحو اليمين والانتصار الساحق الذي حققه أريبل شارون و«الليكود» في الانتخابات الأخيرة.

ساعة الحسم تقترب، وقد تبقت أمامنا أسابيع أو أشهر عدة معدودة فقط، لن تنفع الشعارات الطائشة بشأن ساعة الطوارئ والوعود الفارغة بتحسين الأوضاع بعد الحرب في العراق، ومهما كان شكل الائتلاف الجديد، سيقف رئيس الوزراء الإسرائيلي قريباً أمام اتخاذ القرار المؤلم: انهيار المشروع الذي أقامه في المناطق الفلسطينية طيلة سنوات كثيرة أو انهيار الاقتصاد كله ●

«يديعوت أحرونوت»

كارثة المكوك يعتبرونها عقاباً إلهياً في الشرق الأوسط



من التفسيرات المتعلقة بكارثة المركبة الفضائية المكوكية «كولومبيا» والتي لاقت رواجاً كبيراً في الشرق الأوسط، أن ما حدث كان «عقاباً إلهياً»، فزبائن المقاهي ـ شأنها شأن بعض كتاب الأعمدة الصحافية ـ لم يروا في الكارثة أبعد من خبر الكولونيل الإسرائيلي الذي كان على متن المركبة والتقارير التي أشارت إلى أنها تحطمت وسقطت فوق بلدة تدعى «باليستاين» «فلسطين» بولاية تكساس، وقد استنتج هؤلاء أن الله أرسل بذلك رسالة إلى الولايات المتحدة، مفادها أن سياستها في الشرق الأوسط سياسة خاطئة.

تقول «مروة عبدالوهاب»، ٢٩ سنة، وهي موظفة في شركة نفط «متعددة الجنسية» وهي تغذ السير في ضاحية الزمالك الراقية في القاهرة: «من المؤكد أن الحادث عقاب إلهي لأميركا بسبب استعداداتها الجارية لشن الحرب على العراق». وتضيف: «لكن ما حدث لم يفرحني. فأنا أشعر بالتعاطف مع هؤلاء العلماء. إنهم بشر قبل كل شيء، كان من الممكن أن يكون هناك مصري في عدادهم».

وما أن شاع خبر الكارثة حتى بدأ العرب ينتظرون سماع سلسلة الاتهامات التي تعقب وقوع كارثة في الولايات المتحدة هذه الأيام.

ويقول «خالد باطرفي»، مدير تحرير جريدة «المدينة» السعودية في جدة بهذا الصدد: «معظم الناس رأوا أن المسألة مجرد حادث، لكن الأميركيين لابد أن ينحوا باللائمة في ما حدث على «القاعدة» أو العرب أو المسلمين، لقد كانوا يتوقعون الأسوأ، ولهذا تنفسوا الصعداء لأن ما جرى ليس عملاً إرهابياً».

وقد بلغ الأمر بالصحافي الأردني باسم «سكجها» أن كتب عموداً ملتوياً في جريدة «الدستور» أشار فيه إلى «كالبنا تشولا»، وهي إحدى رائدتي فضاء كانتا على متن المركبة، جاء فيه أن النظريات التي تتعلق بالمركبة «كولومبيا» ستربط ما حدث مجدداً بالإرهاب، وخصوصاً لأن أحد رواد الفضاء الأميركيين فيها يتحدر من أصل هندي، وما تخشاه أن الأميركيين سيعتبرونها مسلمة انتحارية ويقولون إنها توكلت على الله فأدت إلى تدمير «كولومبيا».

وكان بذلك يعود بالذاكرة إلى أكتوبر ١٩٩٩م الذي تعرضت خلاله طائرة تابعة لشركة «مصر للطيران» للسقوط، وهو الحادث الذي عزاه المحققون بإسقاط الطائرة عمداً وهو يردد: «على الله توكلت».

وقال «سكجها» إنه يأمل أن تدفع الكارثة بالأميركيين إلى التفكير في ما يفعلونه في الشرق الأوسط يومياً، وبالخراب والموت الذي تسببه الأسلحة الأميركية الصنع، وهذا الشعور هو السائد في الشارع العربي، «فأبوعصام»، وهو بائع سندويتشات في أحد أكشاك العاصمة الأردنية عمان، يتساءل بهذا الصدد: «هل يمكن احتمال الوضع في الضفة الغربية أو العراق؟».

وتقول «رشا محسن محمد» ٢١ سنة، الطالبة في جامعة حلوان في مصر: «كالناس يتحدثون عن الحادث في الأوتوبيس الذي جئت به، وقد أعرب كثيرون عن سعادتهم أن ما حدث يمكن أن يحرف انتباه الأميركيين عن العراق ويجعلهم يعيدون النظر في سياساتهم مجدداً».

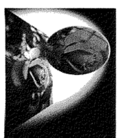
والحال أن المرارة التي اتسمت بها العلاقات العربية ـ الإسرائيلية وبخاصة في ضوء النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي منذ سبتمبر ٢٠٠٠م، تسربت بشكل جلي إلى الحادث.

فالبطولة أبعد ما تكون عن أذهان العرب عندما يفكرون في طيار من سلاح الجو الإسرائيلي، بل إن إسباغ هذا الوصف على الكولونيل «إيلان رامون»، رائد الفضاء الإسرائيلي، على شبكات التلفاز الأميركية، أثار سخط بعض العرب.

ويقول «محمد الجندي»، مهندس الديكور المصري البالغ من العمر ٢٩ عاماً: «موت إسرائيلي في حد ذاته خبر طيب، كما أن موت بعض الأميركيين خبر طيب أيضاً نظراً لما يفعلونه بنا. الله لا يمكن أن يغفر الظلم، عندما يموت كلب إسرائيلي أو أميركي تقوم الدنيا ولا تقعد، ولكن عندما يموت ٥٠٠ فلسطيني فهذا خبر مقبول لا اعتراض عليه، إنهم لا يترددون في النحو باللائمة على الفلسطينيين».

ولكن تجدر الإشارة إلى أن الأوساط العلمية العربية أصابها الحزن من جراء ما حدث، يقول «منيف زعبي» المدير العام لـ«أكاديمية العلوم الإسلامية»، وهي منظمة للأبحاث تمولها الحكومة ومركزها عمان: «كان الحادث مثيراً للحزن الشديد لأنه يتعلق بنشاط علمي لا علاقة له بالسياسة إطلاقاً، ما حدث هو أننا فقدنا العلماء والتجارب التي تفيد الإنسانية جمعاء، بصرف النظر عن الجنسية أو الدين أو اللون» ●

«نيويورك تايمز»



حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم. ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور. ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل. وتراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفيٍّ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم)

الشورى: ٤٢ ـ ٤٥.

من هدي رسول الله ﷺ

«عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن تفسير قوله تعالى: (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال: يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر، فإذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم، المتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم، قيل، بل منهم يا رسول الله؟ قال: لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً»

رواه أبوداود وحسّنه الترمذي.

في حب الوطن

قيل: من علامة الرُّشْد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة، وقال الجاحظ: كان النفر في زمن البرامكة إذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به، وما أحسن ما قال بعضهم:

بلاد ألفناها على كل حالة
وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التي لا هوا بها
ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

في المن والأذى

قال الإمام الشافعي ـ يرحمه الله ـ في المنِّ والأذى، وتعداد صنائع الإحسان:

لا تحملنَّ لمن يمنـ
ـن من الأنام عليك منّة
واختر لنفسك حظها
واصبر فإن الصبر جنّة
مِنن الرجال على القلوب
أشدُّ من وقع الأسنّة

خطأ شائع

ـ من الخطأ أن نقول: يضم هذا القسم ٢٠٤ موظف، والصواب ٢٠٤ موظفين، لأن تمييز الأربعة يكون بالجمع فنقول: موظفين.

ـ يقولون: فلان غارق في الملذات والصواب: في اللذات، جمع لذة أو في الملاذ، جمع ملذ، وهو مصدر ميمي من لذَّ.

ومضات

- قال ابن عباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجله هناه، وإذا صغره عظمه، وإذا سترة تممه.
- قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر أبيك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقي سطحاً وأنا تحته.
- قال رجل لآخر: بلغني عنك أمر قبيح، فقال: يا هذا إن صحبة الأشرار ربما أورثت سوء ظن بالأخيار.

الأنس بالله

قال ابن قيم الجوزية يرحمه الله: من فقد أنسه بالله بين الناس ووجده في الوحدة فهو صادق ضعيف، ومن وجده بين الناس وفقده في الخلوة فهو معلول، ومن فقده بين الناس وفي الخلوة، فهو ميت مطرود، ومن وجده في الخلوة وفي الناس فهو المحب الصادق القوي في حاله.

الاختلاف نوعان

قال المأمون لمرتد إلى النصرانية: خبِّرنا عن الشيء الذي أوحَشك من ديننا بعد أنسك به، واستيحاشك مما كنت عليه، فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، وإن أخطأ بك الشفاءُ ونبا عن دائك الدواء كنتَ قد أعذرتَ ولم ترجع عن نفسك بلائمة، وإن قتلناك قتلناك بحُكم الشريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة وتعلم أنك لم تُقَصِّر في اجتهاد ولم تفرِّط في الدخول من باب الحزم.

قال المرتدُّ: أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلاف فيكم.

قال المأمون: لنا اختلافان: أحدُهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، والتشهُّد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووجوه القراءات، ووجوه الفُتيا، وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخيُّرٌ وسعةٌ وتخفيفٌ من المحنة، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يُخطئ من أذن مثنى وأقام فرادى، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعايبون، والاختلافُ الآخر كنحو اختلاف في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات: وينبغي لك ألا ترجع إلى لُغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها: ولو شاء الله أن ينزل كُتُبَه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رُسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنَّا لم نر شيئاً من الدين والدُّنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد، وأن محمداً صادقٌ، وأنك أميرُ المؤمنين حقاً ●

فصاحة صبي

لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - أتته الوفود، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر إلى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال:

ليتكلم من هو أسنُّ منك فإنه أحق بالكلام منك، فقال الصبي:

يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق منك، قال:

صدقت، تكلم، فقال يا أمير المؤمنين: إنَّا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي منَّ علينا بك، ما قدمنا عليك برغبة منَّا ولا رهبة منك، أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة، فقد أمنا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسلام، فقال عمر رضي الله عنه:

عظني يا غلام، فقال:

يا أمير المؤمنين: إنَّ أناساً غرَّهم حلم الله، وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغره حلم الله، وثناء الناس عليه، فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم:

(ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة، فأنشدهم عمر رضي الله عنه:

تعلم فليس المرء يولد عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهل

فإن كبير القوم لا علم عنده

صغيراً إذا التفت عليه المحافل

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو رية

رأسياً:

١ - من الصالحين - أقلع عن الذنب.
٢ - جبل في دمشق - يلامس القلوب - للمرور.
٣ - بين الخمس والسبع.
٤ - للمصروف عند الحاجة - رحالة عربي شهير.
٥ - سقي - من روسيا - نصف رامي.
٦ - بحر - اقترب - تبادل الرسائل.
٧ - أداة نصب وتوكيد - للنفي.
٨ - أكمل - فاكهة جميلة من لبنان.
٩ - مثلان - قمر مكتمل - طبخ في الزيت.
١٠ - ألفان - للتخيير - فوارق - متشابهان.
١١ - طرف الإصبع - للدهشة - صوف الإبل.
١٢ - فيه فرح وسرور وحياة جديدة.
١٣ - محفظة - بين الإفراط والتفريط.
١٤ - متشابهات - طائر كثير السفر والحركة - ساحات واسعات.
١٥ - كثير اللعب على وزن الأفعلان.

أفقياً:

١ - اسم استشهر به عبدالرحمن الداخل - دعاء فيه خشوع شديد.
٢ - متشابهان - غزال - للتوكيد - للنفي.
٣ - ثلثا «فلس» - من الجواهر - للنداء.
٤ - فيه حياة - أثنان من الحي الشرقي.
٥ - نصف سرور - ميناء أقرب للبصرة - بالإنكليزية «لا».
٦ - لوجع الرأس - نصف رامي.
٧ - حرف جر - نصف ولول.
٨ - ألقي فيه موسى صغيراً - مقابل بحر - متشابهات.
٩ - بيوت - من الزواحف.
١٠ - متمرد
١١ - حاراً وبارداً ومعتدلاً - سرور وفرح.
١٢ - جمع إطار - صنف - نسوق بها الحمير.
١٣ - اكتمل - بذل من ماله - إثبات.
١٤ - البارحة - بئر - أخت الجواد.
١٥ - أشهر فاكهة في يافا بفلسطين - ظلم وتعدٍ.

حل العدد السابق







اتفاقية دولية لمكافحة التدخين في العالم

اعتمدت الدول الأعضاء في منظمة الصحة العالمية النص النهائي للاتفاقية الدولية الأولى لمكافحة التدخين الهدف منها خفض عدد الوفيات التي يسببها التدخين.

فبعد عامين ونصف العام من المفاوضات الشاقة تمكنت الدول من الاتفاق على النقاط الأخيرة التي كانت لا تزال عالقة وبخاصة مسألة حظر الإعلانات المتعلقة بمنتوجات التبغ.

وكانت نحو مئة دولة اتفقت في أكتوبر الماضي على حظر الإعلانات حظراً كاملاً وبينها دول أفريقية وآسيوية ونحو ٢٠ دولة أوروبية، ولكن دولاً أخرى عارضت بشدة هذا الاتفاق.

وينص الاتفاق الأخير على أن «تقوم كل دولة في إطار احترام دستورها، بحظر كامل لأي إعلان يروج لمنتوجات التبغ».

ولكن الدول التي لا تستطيع بحكم دستورها فرض هذا الحظر، عليها أن تضع قيوداً على الإعلانات التي تروج لمنتوجات التبغ.

وفي هذا السياق، «على الأطراف أن تتخذ عند الحاجة، إجراءات قانونية أو أن تطور القوانين القائمة المتعلقة بالمسؤولية المدنية أو الجزائية بما فيها فرض تعويضات إذا لزم الأمر».

وذكرت منظمة الصحة العالمية التي أطلقت فكرة ضرورة التوصل إلى اتفاقية إطار العام ١٩٩٩م، أن ٤,٩ مليون شخص توفوا العام ٢٠٠٢م بسبب التدخين، مشددة على أن هذا العدد سيبلغ ١٠ ملايين سنوياً بحلول العام ٢٠٢٠ في حال غياب التنسيق لمكافحة التدخين على الصعيد الدولي.

وسترفع الاتفاقية للمؤتمر السنوي للدول الأعضاء الـ«١٩٢» في منظمة الصحة العالمية.



وبعد ذلك يبقى على الدول توقيع الاتفاقية والمصادقة عليها على أن تدخل حيز التنفيذ بعد مصادقة ٤٠ دولة عليها.

ووصف السفير البرازيلي «لوي فيليب دا ساكسا كوريا» هذا الاتفاق بأنه «تاريخي» ●

التلوث يقتل ٤,٧ مليون طفل

يموت مئات الأطفال كل ٤٥ دقيقة بسبب أمراض تتعلق بالبيئة، وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ٤,٧ مليون طفل تحت سن الخمس سنوات يموتون سنوياً نتيجة تدهور حالهم الصحية في بيئة غير صحية.

أوضح المدير العام للصحة الوقائية في وزارة الصحة السعودية الدكتور محمد الزهراني أن السعودية تشارك العالم في «يوم الصحة العالمي»، الذي يُقام تحت شعار «نحو بيئة أكثر صحة للأطفال». ولفت الزهراني إلى أن وزارة الصحة ستقيم ندوة عالمية حول الأطفال وصحة البيئة، من محاورها التعريف بالأخطار البيئية التي تهدد صحة الأطفال السعوديين، وإعداد دراسات وبحوث في مجال الخطر البيئي، وخلق بنية لائتلاف محلي عالمي يعني بصحة الطفل من خلال لجنة وطنية تضم خبراء ومثقفين.

وأشار إلى أن الندوة ستتناول في حضور نحو ٣٠٠ خبير في شؤون الطفل، المتغيرات المناخية والتلوث الغذائي وعلاقته بالبيئة والأخطار الأخرى مثل الفقر والحروب والكوارث وتغير نمط العيش، وتسمم الأطفال بالرصاص والمواد الكيماوية والأمراض السرطانية والأمراض ذات العلاقة بتغير العادات ●

عدد سكان العالم يتراجع

خفَّض خبراء الأمم المتحدة من توقعاتهم لعدد سكان العالم العام ٢٠٥٠ إلى ٨,٩ مليارات نسمة بدلاً من ٩,٣ مليارات نسمة بسبب الزيادة في الوفيات نتيجة مرض نقص المناعة المكتسب «إيدز» وتراجع معدل المواليد.

وقالت وحدة السكان في الأمم المتحدة في تقرير جديد: إن حجم الوفيات سيتجاوز المواليد في معظم الدول الفقيرة قبل نهاية القرن الحالي، وقال جوزيف تشامي مدير قسم السكان: «للمرة الأولى نتوقع انخفاض مستويات الخصوبة في المستقبل في معظم الدول النامية لأقل من ٢,١ طفل لكل امرأة». وقال «تشامي»: «إن الأمم المتحدة تقدم بدقة «جيدة للغاية»، توقعات سنوية بشأن حجم السكان في العالم منذ العام ١٩٥١م، وفي تغير كبير قال الخبراء قبل عام: إن معدلات الخصوبة في كثير من دول آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية بدأت في التراجع على نحو غير متوقع وخففوا من حدة المخاوف بشأن مستقبل الانفجار السكاني العالمي.

إلا أن التغير الرئيس يرجع إلى الانخفاض المفاجئ في معدلات الخصوبة للسكان في أغلب الدول النامية ـ كثيفة السكان ●

مجلس النواب الأميركي يوافق على حظر الاستنساخ

وافق مجلس النواب الأميركي بأغلبية كبيرة على حظر كل أشكال الاستنساخ البشري، منزلاً هزيمة بمشروع منافس يسمح باستخدام تكنولوجيا الاستنساخ لأغراض البحث الطبي.

وكان مجلس النواب قد أقر مشروع قانون مماثل في العام ٢٠٠١م لكن مجلس الشيوخ فشل في إقرار أي تشريع بشأن الاستنساخ، وتعود الكرة الآن إلى ملعب مجلس الشيوخ، حيث تنتظر مشروع قوانين مماثلة موافقة المجلس، وأقر مجلس النواب قانون حظر الاستنساخ البشري للعام ٢٠٠٣م الذي تبناه «ديف ويلدون» النائب الجمهوري عن ولاية فلوريدا و«بارت ستوباك» العضو الديموقراطي عن ولاية «ميتشيغان» بأغلبية ٢٤١ صوتاً ضد ١٥٥ صوتاً بعد مناقشة استمرت بضع ساعات.

ويحظر القانون جميع أشكال الاستنساخ البشري التي تشمل الاستنساخ لأغراض الحمل أو أغراض الأبحاث الطبية، كما يجعل من«تلقي أو استيراد جنين بشري مستنسخ أو أي منتج مستخلص من جنين بشري مستنسخ جريمة عقوبتها السجن عشر سنوات وغرامة مالية قدرها مليون دولار».

ويقلق هذا البند الأخير معارضي القانون الذي يخشون أن يضع المرضى الذين يسعون لتلقي علاجات في الخارج ربما تنتج عن أبحاث لخلايا المنشأ الجنينية تحت طائلة القانون ●

مرض النوم يهدد ٦٥ مليون أفريقي

يهدد مرض النوم الذي يصيب الماشية والإنسان وتنقله ذبابة «تسي تسي» أكثر من ٦٥ مليون أفريقي ويقوض جهود التنمية في القارة، وذكرت وثيقة للاتحاد الأفريقي، أن المرض يشكل «تهديداً كبيراً للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في القارة»، ويعاني أكثر من نصف مليون أفريقي حالياً من مرض النوم الذي يسبب الوفاة في ٨٠٪ من الحالات، ويقول خبراء الاتحاد الأفريقي: إن سكان المناطق الريفية حيث تعشش ذبابة «تسي تسي»، مهددون أكثر بالإصابة بالمرض الذي يقتل خمسين ألف إنسان، وتنفق ثلاثة ملايين رأس ماشية سنوياً، وينتقل الطفيلي المسبب للمرض من الذبابة، التي تحيا بالقرب من الأنهار والبحيرات والغابات، نحو الإنسان، ورصدت منظمة الصحة العالمية نوعين من المرض وفقاً للطفيلي المسبب له، الأول مزمن يظهر في أفريقيا الوسطى والغربية يطول لفترة أشهر وسنين من دون ظهور أعراض المرض، أما النوع الثاني فهو مرض حاد تظهر أعراضه خلال أسابيع وينتشر في المناطق الجنوبية والشرقية لأفريقيا، وينتشر نحو عشرين نوعاً من ذبابة «تسي تسي» في ثلث القارة الأفريقية، أي في أكثر من عشرة ملايين كيلو متر مربع في ٣٧ بلداً في أفريقيا جنوب الصحراء، وتعتبر ٣٢ من هذه الدول الأكثر فقراً في العالم، وللقضاء على المرض، يقترح العلماء اللجوء إلى تقنية تقوم على الحد من تكاثر الذبابة عبر إطلاق ملايين الذكور العقيمة كل أسبوع في المناطق التي تنتشر فيها ●

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
يقود حملة على الإنترنت لتحسين صورة الإسلام

قررت نخبة من العلماء والقيادات الدينية في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قيادة حملة جديدة على صعيد المجتمع الأميركي ورعايا الدول الأوروبية بصفة خاصة ودول العالم بصفة عامة دفاعاً عن الإسلام وذلك عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت خلال هذه المرحلة من خلال موقع المجلس على هذه الشبكة، وتستهدف هذه الحملة حسبما يقول الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس، التي تتركز في صورة بث رسائل مباشرة على الإنترنت للدفاع عن صورة الإسلام ومبادئه ضد الحملات التي تعمل على تشويه صورته بعد أحداث ١١ سبتمبر وتحديد الفواصل والفوارق بين الإرهاب والجهاد والحق في مقاومة الاحتلال.

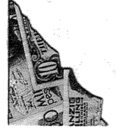
وأوضح، الدكتور مرزوق، أن هذه الرسائل سوف تتناول بين طياتها أيضاً مناقشات تستند إلى المنطق والحقائق، رداً على الكثير من القضايا التي يثيرها المجتمع الغربي في هذه المناطق، إما عن جهل، وإما لأسباب مغرضة، وتبين المناقشات موقف الإسلام من القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان وقضايا المرأة وخصوصاً ما يدور حول أحكام الميراث بالنسبة لها وقواعد المساواة بينها وبين الرجل أو الشهادة ●

حملة عالمية ضد بيع أطفال

طالبت منظمة حماية الطفولة «اليونسيف» الحكومة الألمانية بدعم حملتها التي بدأتها من خلال جمع توقيعات من أجل العمل على وقف عمليات بيع الأطفال التي ازدادت ظاهرتها في الآونة الأخيرة.

وأشارت مندوبة المنظمة، «كرستينا راو» عقيلة الرئيس الألماني «يوهانس رواء»، خلال ندوة صحافية دعت «اليونيسيف» إليها في برلين إلى «أن دول أوروبا الشرقية تعتبر محوراً رئيساً لبيع الأطفال في أوروبا، والذين تتاجر بهم منظمات إجرامية، تأتي بهم من دول أفريقية، وبخاصة بنين، إلى أوروبا لتبيعهم إلى دول أوروبية غنية»، مضيفة: «أن الأطفال ليسوا سلعة للبيع والشراء، مؤكدة أن هذا العمل يعتبر شنيعاً، ويجب على الحكومة الألمانية أن تبذل جميع جهودها لملاحقة المجرمين الذين يقومون ببيع الأطفال وكأنهم عبيد».

وأعلن سفير المنظمة «روجيه موري»، في الندوة الصحافية: «أن جرائم بيع الأطفال والمتاجرة بهم وإرغامهم على ممارسة الجنس، كل ذلك يعتبر مأساة اجتماعية يجب القضاء عليها وملاحقة القائمين عليها وتقديمهم إلى محكمة الجزاء الدولية حتى يعاقبوا أشد المعاقبة، معلناً أن أي توقيع يقوم به شخص واحد في ألمانيا يعتبر نصراً للأطفال وعاملاً مهماً لحمايتهم من هذه الجرائم البشعة» ●



الاقتصاد الإسلامي

إعداد:
معن خليل

البنوك المحلية الكويتية جاهزة لخوض التجربة المصرفية الإسلامية

تبدو البنوك المحلية مستعدة تماماً لمرحلة ما بعد إقرار مجلس الأمة قانون البنوك الإسلامية، وفي الاتجاه الذي تريده وحرارة لهفتها لصدور القانون تزداد مع تأكيدها بأنها جاهزة تماماً لممارسة هذا النشاط. ويقول مصدر مصرفي ما ينقصنا لفتح أبواب مصرفنا الإسلامي الجديد لتقديم هذه الخدمات هو إقرار القانون وموافقة البنك المركزي.

ويضيف مؤكداً: «نحن جاهزون تماماً لخوض غمار هذه التجربة بل نحن مستعدون لتحقيق الإنجاز الذي يطمح إليه قطاع كبير من الجمهور».

ورغم أن بعض المصادر المصرفية تعتبر هذا النوع من النشاط المالي جديداً عليها، وأن الحكم على مدى قدرتها على إثبات الوجود لن يكون واضحاً قبل مرور فترة من الوقت قد تمتد سنوات، فإن مصادر أخرى تؤكد بأن خبرة البنوك التي تراكمت لديها منذ عقود من تقديمها للخدمات المصرفية، ومتطلبات النجاح التي كانت تفرض عليها دائماً ابتكار الجديد ستجعل مع وجود هيئات فتوى تم تشكيلها بالفعل من نجاحها في مجال عملها الجديد أمراً ليس بالمهمة الصعبة ●

تغطية كثيفة للسندات الإسلامية الحكومية بالبحرين

قالت البحرين: إن حجم الطلب على سندات إسلامية حكومية بقيمة ٨٠ مليون دولار عرضت على البنوك والمؤسسات الإسلامية في وقت سابق من الشهر الحالي تجاوز المعروض أكثر من ثلاث مرات. وقالت مؤسسة نقد البحرين - وهي البنك المركزي في المملكة: إن بنوكاً ومؤسسات مالية طلبت شراء سندات قيمتها ٢٥٥,٨ مليون دولار. وعرضت مؤسسة النقد صكوك التأجير الإسلامية ومدتها ثلاث سنوات على المصارف والمؤسسات الإسلامية العاملة في البحرين وهي المركز المالي والمصرفي في الخليج. يبلغ معدل عائد التأجير على السندات ثلاثة في المئة تدفع مرتين في ٢٧ أغسطس و٢٧ فبراير من كل عام وسيتم إدراجها في سوق البحرين للأوراق المالية.

وقال المدير التنفيذي للعمليات المصرفية «وليد رشدان»: «إن هذه الاستجابة تعبير واضح عن ثقة السوق في اقتصاد البحرين بشكل عام وإصدارات حكومة البحرين بشكل خاص وكذلك رغبة السوق المتزايدة للأدوات المالية الإسلامية».

وأوضح «رشدان» أن المؤسسة ستقوم بإصدار سندات أخرى قيمتها ٢٥٠ مليون دولار في شهر مايو المقبل، وأضاف «سندات الإجارة الإسلامية موجودة في برنامج إصدارات الدين الحكومي لعام ٢٠٠٣م» ●

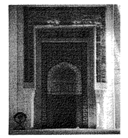
البنك الاسلامي يمول مشاريع الأشغال والطرق في الدول الأعضاء

قال أحمد محمد علي مدني، المدير العام للبنك الإسلامي للتنمية: إن البنك قرر تأسيس صندوق خاص توجه اعتماداته لتمويل البنيات الأساسية بقيمة ١,٥ مليار دولار، وسيتم توظيف هذه الأموال في مشاريع البناء والأشغال العمومية وخصوصاً قطاعات الطرق والماء الصالح للشرب والكهرباء في الأرياف في الدول الأعضاء، وأكد «أحمد مدني» أن البنك يتوفر الآن على ٩٠٠ مليون دولار من رأسمال صندوق البنيات تم تعبئة هذه الموارد من الأسواق الدولية على أن يتم اجتذاب الأموال المتبقية من المصارف العربية الخاصة في منطقة الخليج.

وأضاف «أحمد مدني» أن السياسة المصرفية للبنك لاتزال محافظة على أسسها العامة خصوصاً ما يتعلق بهامش الربح الذي تم تحديده بـ ١,٥٪ بعد خصم الخدمات المتعلقة بقيمة الديون، وشدد «أحمد مدني» أن وضعية البنك حسنة جداً داخل السوق المصرفية العربية والإسلامية، وأن العمليات التي قام بها البنك مع الدول الـ«٥٤» الأعضاء وصلت حتى الآن إلى ٣١ مليار دولار، شملت مشاريع إنمائية وعمليات تجارية، مبرزاً في السياق عينه أن مجموع العمليات التي تمت مع المغرب وصلت إلى ١,٥٦ مليار دولار ●

من هنا وهناك

- قال عضو مجلس إدارة بنك المؤسسة العربية المصرفية الدولي «ترى ستون» أن هناك عدداً من المؤسسات وشركات الاستثمار الإسلامية تنوي الاستثمار في المملكة المتحدة وإنشاء مراكز تجارية لها.
- اشترى بيت التمويل الكويتي «بيتك» ثلاث طائرات تجارية بقيمة ١٨٧ مليون دولار أميركي لصالح صندوق مالك لشراء وتأجير الطائرات المملوك لـ«بيتك».
- يجري حالياً تسويق مشروب خفيف مثير للجدل «مكة كولا» في معركة حامية الوطيس، تستهدف الاستحواذ على قلوب وعقول نحو أربعة ملايين مسلم في ألمانيا.
- أبرمت شركة «اتصالات الجزائر» اتفاقية مع البنك الإسلامي للتنمية حصلت بموجبها على مساهمة البنك بـ٦٠ مليون يورو (٢١٠ ملايين ريال) تمويلاً لخطوة الشركة الجزائرية في توسيع شبكة الهاتف المتنقل «الجوّال» بإضافة نصف مليون خط.
- قال سعد محمد السريع نائب مساعد المدير العام للقطاع التجاري في بيت التمويل الكويتي «بيتك» إن خدمة تأجير السيارات حققت معدلات زيادة بلغت ١٠٠٪ خلال الشهرين الماضيين، مما يؤكد تميز الخدمات التي يقدمها بيتك وحجم الإقبال الكبير من العملاء ●



هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للاجابة عليها.

هاتف مباشر خدمة الفتوى

149

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء

تأخير إيصال الزكاة.. استثمار أموال الزكاة

نرجو التفضل بإفادتنا بالرأي الشرعي فيما يلي:

أولاً: تقوم لجان الزكاة التابعة للجمعية بتقديم أموال الزكاة إلى مستحقيها من العائلات الفقيرة على شكل مخصصات شهرية للوفاء بمتطلباتها على مدار العام، وتضع الأرصدة الخاصة بالزكاة في بيت التمويل الكويتي، بحيث يتم سحب ما يلزم منها للتوزيع شهرياً.

والسؤال: ما حكم الشرع في بقاء مبلغ من الزكاة مودع في الحساب المصرفي فترة من الزمن لحين توصيله إلى مستحقيه؟ وهل يجوز أن تصل هذه الفترة إلى سنة؟ أم ينبغي التصرف في المبلغ قبل أن يحول الحول على بقائه في الحساب المذكور؟

ثانياً: تودع بعض لجان الزكاة التابعة للجمعية جانباً من أرصدة الزكاة والصدقات التي في حوزتها في حساب التوفير لدى بيت التمويل الكويتي، للاستفادة من أرباح التوفير بالنظر لبقاء تلك الأرصدة مودعة في الحساب المصرفي - كما سبق أن أشرنا - فترة قد تطول بعض الوقت بسبب توزيع المخصصات من الزكاة في صورة شهرية منتظمة لمصلحة العائلات الفقيرة.

ولأجل حماية تلك الأموال من التعرض لخسائر - لا سمح الله - بسبب وضعها في حساب التوفير فإن أعضاء لجان الزكاة تكفلوا فيما بينهم بتغطية تلك الخسائر في حال حدوثها من أموالهم الخاصة.

والسؤال: هل إيداع أرصدة الزكاة والصدقات في حساب التوفير لحين صرفها على مستحقيها جائز شرعاً، أم لا يجوز؟ وينبغي سحبها من حساب التوفير؟

- أجابت اللجنة:

أن الأصل حفظ هذه الأموال لتوزيعها على المستحقين، هي وما يتكون لها من نماء بصورة طبيعية عن طريق الدر والنسل في الأنعام، وعن طريق ارتفاع الأسعار في أعيان الزكاة، أما الاستثمار فلم نطلع على تصريح يسوغه شرعاً، لكن لا مانع - إن شاء الله تعالى - من تنمية أموال الزكاة بالصورة التي يُؤمن فيها بعدم نقصها، وذلك إذا توافرت ضمانات بتحمل ما يطرأ من خسارة بحيث تظل المبالغ الأصلية كما هي، ويضم إليها ما ينشأ من عائد لتوزيع الجميع على المستحقين دون إخلال بدواعي التوزيع الدوري أو الطارئ، ويجب ألا يترتب على هذا الصرف تأخير صرفها إليهم بقصد التثمير، بل يقتصر فيه على الحالات التي يحصل فيها التأخير لمراعاة المصلحة الراجحة لوجود الصرف ومواعيده، ولا عبرة بقصد الاستثمار وحده فإنه لا يُصار إليه للسبب المبين ●

إقراض أموال الزكاة للزواج

هل يجوز أن نقرض من أموال الزكاة لأجل الزواج مثلاً، أو نقرض شخصاً يريد أن يتخلص من الربا من ناحية شراء سيارة ونحو ذلك، علماً بأن طريقة توزيع المال عندنا لاثني عشر شهراً، فمثلاً إذا صرفت مرتبات شهر محرم يبقى الرصيد لأحد عشر شهراً، فهل نقرض في مثل هذه الحال للمحتاجين أم لا؟

- أجابت اللجنة:

هذا الإقراض جائز بشرط أن يكون المبلغ المدفوع مضمون السداد بكفالة الأعضاء ●

الإنفاق على الإخوة الذكور والإناث

هل المسلم ملزم بالإنفاق على إخوته الذكور والإناث؟

- أجابت اللجنة:

إنه مما لا شك فيه أن الإنفاق على الأقارب أولى وأحق من الإنفاق على غيرهم، ويمكن احتساب الإنفاق على الأقارب غير الأصول والفروع من الزكاة، اللهم إلا إذا كان هناك حكم قضائي بنفقة على القريب، فإن ما قضي به القاضي لا يحتسب من الزكاة، ولا مانع شرعاً من دفع الزكاة إلى فقير محتاج له أخ قادر على الإنفاق عليه ●

لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم وإن أخطأ في بعض الأمور

هل يجوز نشر مثل هذه الأمور في الجرائد ووسائل الإعلام اعتماداً على فتاوى بعض من يدَّعون الأهلية والعلم؟ وهل يجوز إثارة هذه الأمور وإيقاظ الفتنة النائمة بناء على فتاوى أناس قد يكون لهم أغراض شخصية أو نحو ذلك؟

وقد أجابت الهيئة بما يلي:

لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم وإن أخطأ في بعض الأمور أو جار على بعض الناس أو ارتكب بعض المنكرات لقوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة النساء: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي أجدع» رواه البخاري ومسلم، ولحديث عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» قال: قلنا يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة إلا من وُلِّي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة» رواه مسلم وأحمد.

وحديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن ضُرب ظهرك وأُخذ مالك فاسمع وأطع» رواه مسلم وأحمد. ودرءاً للفتنة وتقديماً لمصلحة الأمن والاستقرار، قال الدسوقي: يحرم الخروج على الإمام الجائر لأنه لا يعزل السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق بعد انعقاد إمامته، وإنما يجب وعظه وعدم الخروج عليه إنما هو لتقديم أخف المفسدتين، وأما الاغتيالات فإنها حرام لما فيها من الإخلال بالأمن، ولما فيها من الافتئات على حق الحاكم.

كما لا يجوز إثارة الفتنة بالتفجيرات التي تصيب الأبرياء لما فيها من الظلم وإضعاف الأمة والإخلال بوحدة الصف.

وأما تكفير المسلمين فحرام أيضاً وإن كانوا عاصين لله تعالى، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

وكذلك تكفير الكافرين لغير حاجة فإنه حرام لما فيه من استعدائهم على المسلمين لقوله تعالى في سورة الأنعام في الآية ١٠٨: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)

رقص النساء أمام الرجال

ارجو إعطائي فتوى رسمية بخصوص ما يجري في الاحتفالات من الاستعراض الراقص للفتيات، علماً بأن أعمار تلك الفتيات تتراوح بين ١٦ ـ ١٨ سنة، وهل هذا جائز أمام مرأى من الرجال؟

ـ وبعد عرض الموضوع على اللجنة لإبداء رأيها أجابت بما يلي:

إن ما يشاهد من رقص الفتيات على الطبيعة، وعلى الصورة التي تعرض في وسائل الإعلام المختلفة يعتبر محرماً شرعاً، فإن هذه الحركات بطبيعتها مثيرة للغرائز، وموجبة لكشف ما أمر الله بستره.

ولهذه المناسبة تقرر لجنة الفتوى أن حرمة الرقص على هذه الصورة التي أوردها السائل ليست قاصرة على من بلغن سن السادسة عشرة، بل يبدأ التحريم من سن السابعة على رأي جمهور الفقهاء، ومن سن التاسعة بإجماع العلماء، ولا بأس من رقص النساء في مجمع لا يحضره الرجال ولا يطلعون عليه بأي وسيلة من الوسائل، على ألا يكون رقصاً ماجناً، وألا ينكشف من المرأة ما لا يحل للمرأة أن تنظر إليه.

لبس المرأة النقاب

وجه المرأة، هل هو عورة أم لا إذا حصلت الفتنة؟ ويسأل هل الرسول صلى الله عليه وسلم قال: المرأة كلها عورة إلاَّ وجهها من دون لبقة «فتنة»، فقال الصحابة رضي الله عنهم وما اللبقة يا رسول الله؟ قال: أن يركز الرجل نظره في وجه المرأة فتكون عورة، فقالوا: يا رسول الله كل رجل يريد أن يرى وجه المرأة من دون حجاب يريد أن يركز نظره فيها، فقال صلى الله عليه وسلم: «كل المرأة عورة من دون استثناء».

وطلب في آخر رسالته بيان كيفية لباس المرأة في الشريعة الإسلامية.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة لعورة المرأة، فإن المرأة كلها عورة ما عدا الوجه والكفين، وبالنسبة للحديث المذكور في الرسالة، فإنه غير صحيح. أما بالنسبة للباس الشرعي للمرأة المسلمة فيجب: أن يكون مستوعباً لجميع البدن إلا الوجه والكفين، وألا يكون زينة في نفسه، وأن يكون سميكاً لا يشف، وأن يكون فضفاضاً غير ضيق كي لا يصف شيئاً من جسمها، ولا يكون مبخراً مطيباً، وأن لا يشبه لباس الرجل، ولا لباس الكافرات، وألا يكون لباس شهرة.

وإذا رأى الرجل المرأة المكشوفة الوجه فعليه أن يغض البصر

قتل الذمي والمعاهد والمستأمن حرام

أفتت الهيئة بأن قتل الذمي والمعاهد والمستأمن حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» أخرجه أبوداود، ولحديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً» رواه البخاري.

ولحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أخفر ذمة الله، ولا يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً» رواه ابن ماجه والترمذي وصححه، لما في ذلك من الإخلال بعقد الذمة والأمان، ولما فيه من الافتيات على الحاكم.

وختمت الفتوى جوابها حول نشر كل ما فيه من فتنة أو إثارة للفتن حرام شرعاً لقوله تعالى في الآية ٢١٧ من سورة البقرة: (والفتنة أكبر من القتل)

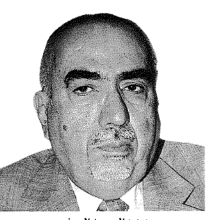
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تجيز استخدام الهندسة الوراثية في العلاج

أجازت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية استعمال الهندسة الوراثية في منع المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه، سواء بالجراحة الجينية التي تبدل جيناً بجين، أو تولج جيناً في خلايا مريض، وكذلك إيداع جين من كائن آخر للحصول على كميات كبيرة من إفراز هذا الجين لاستعماله دواء لبعض الأمراض مع منع استخدام الهندسة الوراثية على الخلايا الجنسية لما فيه من محاذير شرعية.

ودعت المنظمة إلى منع استخدام الهندسة الوراثية في الأغراض غير الأخلاقية التي تستهدف العبث بالإنسان وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها، محذرة من تخطي الحاجز الديني والأخلاقي في هذا الإطار.

وأضافت أنه لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية لتبديل البنية الجينية فيما يُسمَّى بتحسين السلالة البشرية، ولذا فإن أي محاولة للعبث الجيني بشخصية الإنسان أو التدخل في أهليته للمسؤولية الفردية أمر محظور شرعاً.

وقال رئيس المنظمة د.عبدالرحمن العوضي إن الهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني باتت حديث الساعة بعد الإنجاز العلمي الهائل الذي تجسد في رسم الخريطة الجينية للإنسان، متوقعاً أن نجد في الصيدليات قريباً العلاج الجيني لبعض الأمراض بدلاً من استخدام الأقراص والأشربة الحالية.


د.عبدالرحمن العوضي

وأشار العوضي إلى أن المنظمة ناقشت الرؤية الإسلامية لتطبيقات الهندسة الوراثية عبر ندوة متخصصة شارك فيها عدد كبير من الأطباء والكيمياويين، فضلاً عن علماء في الفقه والشريعة «من داخل وخارج الكويت»، حيث أكدوا على عدم جواز استعمال الهندسة الوراثية في الأغراض الشريرة والعدوانية، أو في تخطي الحاجز الديني بين أجناس مختلفة، من المخلوقات، قصد تخليق كائنات مختلطة الخلقة بدافع التسلية أو حب الاستطلاع العلمي.

وحذَّر العوضي من أن يكون التقدم العلمي مجالاً للاحتكار وأن يكون الهدف الأكبر، مما يحول بين الفقراء وبين الاستفادة من هذه الإنجازات، لافتاً إلى أن المنظمة تؤيد توجه الأمم المتحدة إلى إنشاء مراكز الأبحاث الهندسة الوراثية في الدول النامية وتأهيل الأطر البشرية اللازمة وتوافر الإمكانات اللازمة لمثل هذه المراكز.

واعتبر أنه لا حرج شرعاً في استخدام الهندسة الوراثية في حقل الزراعة وتربية الحيوان لكنه أشار إلى عدم إهمال الأصوات التي حذَّرت أخيراً من احتمال حدوث أضرار على المدى البعيد تضر بالإنسان أو الحيوان أو النبات أو البيئة.

وطالب العوضي الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية ذات المصدر الحيواني أو النباتي أن تبين للجمهور فيما يعرض للبيع ما هو محضر بالهندسة الوراثية مما هو طبيعي مئة في المئة، ليتم استعمال المستهلكين لها عن بيِّنة، مؤكداً ضرورة إنشاء مؤسسات لحماية المستهلك وتوعيته في الدول الإسلامية.

ودعا الدول والحكومات الإسلامية إلى أن تتولى توافر خدمات الهندسة الوراثية للمواطنين المحتاجين، وخصوصاً ذوي الدخل المحدود منهم نظراً لارتفاع تكاليف إنتاجها ●

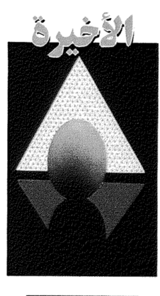
الأزهر: تنظيم الأسرة مباح وليس فيه قتل للجنين

أكد مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر أن تنظيم الأسرة لا يُعتبر قتلاً للجنين لأن التي تستعمل وسائل تنظيم الأسرة لا تكون حاملاً في الأصل، مشيراً إلى أن المباعدة بين الولادات وتأخير الحمل جائز شرعاً لعدم وجود نصوص تحرّمه سواء في القرآن الكريم أو السنَّة النبوية.

وكان الأزهر قد تلقَّى خطاباً من السفارة المصرية في إسلام أباد يتضمن استفساراً من وزارة القوى العاملة في باكستان حول رأي الأزهر في تحديد النسل وتنظيمه، وأوضح مجمع البحوث الإسلامية في رده أن تنظيم النسل لا يتعارض مع التوكل على الله لأن المسلم يجب أن يأخذ بالأسباب في كل الأعمال ثم يتوكل على الله، مؤكداً أنه لم يرد نص في القرآن الكريم يحرِّم تنظيم النسل أو تحديده، لكنه جعل الحفاظ على النسل والذرية من المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، وقال: إن السنة النبوية أباحت العزل كوسيلة لمنع الحمل أو الإقلال منه، وهذا أمر يتفق عليه جميع الفقهاء، موضحاً أن إباحة تنظيم النسل جاءت قياساً على العزل الذي كان المسلمون يعملون به على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل».

وأشار المجمع إلى أن تنظيم الأسرة معناه المباعدة بين فترات الحمل بهدف الحفاظ على صحة الأم وجمالها وحتى تتفرغ لتربية الأبناء وتعطي كل طفل حقه في الرضاعة والتربية والتأديب والتعليم، وقال: إن تنظيم الأسرة ليس فيه شبهة قتل الجنين، لأن المرأة تستعمل تلك الوسائل في غير أوقات الحمل، كما أن العلماء أباحوا العزل سواء كان بهدف تأخير الحمل، أو غير ذلك، بالإضافة إلى أن تنظيم الأسرة لا ينطبق عليه قول الله تعالى الوارد في سورة الإسراء الآية ٣١: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) ●

النافذة الأخيرة





بقلم: د.عبدالعزيز بدر القناعي

من أجل حوار صادق

خطابنا الإعلامي بعيداً عن الانفعال

يقول سبحانه: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة.

إننا في حاجة ماسة في ظل المتغيرات العالمية المعاصرة إلى أن نعيد صياغة خطابنا الإعلامي صياغة جديدة تتناسب والمتغيرات، ولا نخرج عن ثوابتنا وقيمنا الإسلامية الأصيلة.

ومن أجل هذا لابد من تصحيح الأفكار المتعلقة بأسباب ووسائل وآليات العمل الإسلامي، والدعوي، والمنظومة الفكرية التي تعتبر المضخة لكل ذلك، فعلينا أن ننعم النظر في أساليبنا وأن نقومها على ضوء ما نادت به أصول الشريعة الإسلامية في ظل توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة حتى لا تتفرَّق بنا السبل أو نضيع في دروب المتاهات الفكرية، أو المخططات المغرضة.

فلم يعد يخفى على أحد أن هناك تحريضاً خارجياً مدروساً بعناية، تحريضاً مباشراً وغير مباشر، تقوم به بعض المؤسسات الغربية، فتبتكر أساليب غاية في المكر والدهاء تستفز بعضنا، وتولد ردود أفعال غير منضبطة من بعض العناصر «الاستفزازية»، ثم يعمل الإعلام على إبراز هذه العناصر كرموز للعمل الإسلامي، ويبعد بشتى الطرق العناصر الوسطية، وهي الأغلبية العظمى التي تطرح رأي الإسلام الصحيح بهدوء وعلم وموضوعية مع البعد عن استفزاز الرأي العام العالمي.

ومن هنا جاءت دعوتنا إلى أهمية دور البحث في صياغة الخطاب الإسلامي الجديد، وحجب الأضوء عن الفئة الاستفزازية التي يبرزها الإعلام الغربي عمداً وقصداً.

إن مما يسيء إلى الإسلام ويضر بسمعة المسلمين، ومكانتهم، ووسطية دينهم الخالد، وسمو تعاليمه أن يظهر شخص يتحلى بمظهر التدين وملامح المفتي. وما هو بذلك. فيقول بجواز قتل جميع الأمريكان عسكريين ومدنيين، ويؤكد أن هذا الشعب جميعه منحط. هكذا وبالإجمال!!.

مع أن فيهم الملايين من المسلمين وغيرهم ممن يناصرون ويؤيدون القضايا الإسلامية.

إن هذا الخطاب المتوتر هو الذي تبحث عنه الدوائر المعادية للإسلام والمسلمين لإبرازه وتكراره في أجهزة الإعلام المختلفة.

ولكي نتصدى لهذا الأمر ونبرز وجه الإسلام الناصع، ودعوته السمحة، لابد من أن يقوم أهل الاختصاص بطرح قضايانا، والدفاع عنها وعرض ما عندنا من إسهامات وإنجازات، ويمكن أن تفيد البشرية حديثاً كما أفادتهما قديماً، في النهوض بالإنسانية والرقي بالحضارة البشرية إلى أسمى ما يمكن أن تصل إليه في ظل الأخوة الإنسانية.

يقول سبحانه: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات:١٣.

والله سبحانه جعل الإنسان. مطلق إنسان. خليفة في الأرض، ليعمرها وينشئ حضارة عليها.

يقول سبحانه: (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة:٣٠.

هذه هي ثقافتنا ●



هدية العدد